العرب والفرس

قراءة جديدة لدور القوميتين فى سقوط الدولة الأموية وإحداث العصر العباسي الأول



أستاذ دكتور

عبد المنعم عبد الحميد سلطان

استاذ التاريخ والحضارة الإسلامية

كلية الآداب - جامعة سوهاج

وجامعة السلطان قابوس سابقا

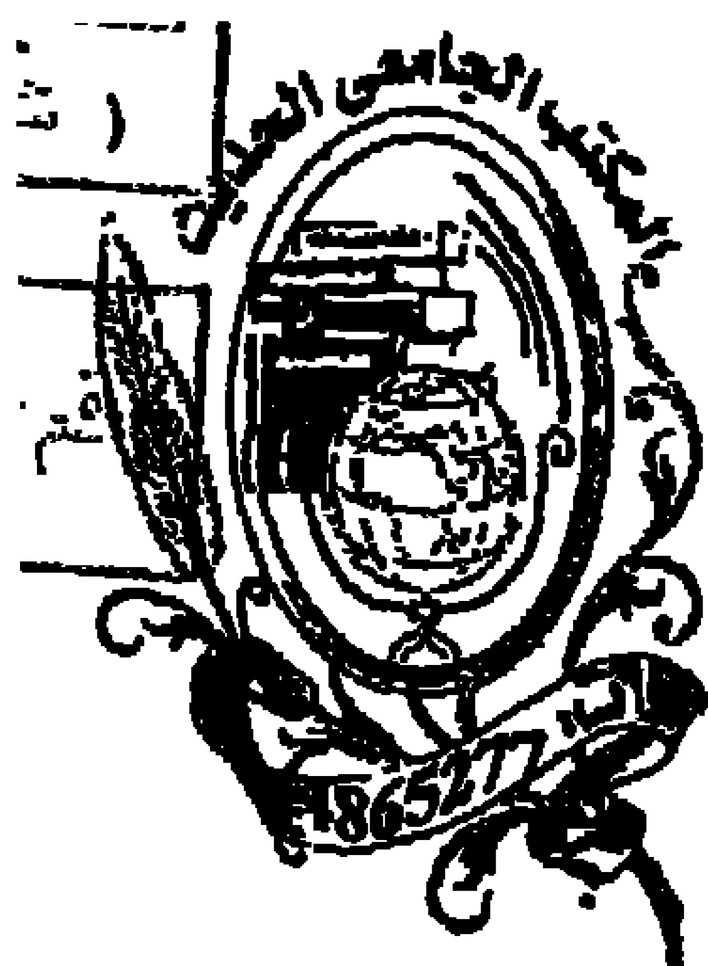


العـرب والفـرس

قراءة جديدة لدور القوميتين
فى سقوط الدولة الأموية وأحداث العصر العباسى الأول

الأستاذ الدكتور ،
عبد المنعم عبد الحميد سلطان
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية
كلية الآداب - جامعة سوهاج
وجامعة السلطان قابوس سابقاً

٢٠١٠



إهــــداء

إلى روح أبى وأمى

وأخى فتحى طيّب الله ثراهم ،،

إلى أبنائى :

محمود، ومنة الله، وعبد الرحمن، ويوسف

حفظهم الله ورعاهم

أهديهم هذا العمل المتواضع ،،

مقدمـــة

بعد أقل من ثلاثة عقود من بداية حركة الفتح الإسلامى خـــارج شــبه الجزيرة العربية، كانت أملاك الدولة الساسانية العريقة قد خـضعت لقــوى المسلمين ودان معظم أهل فارس بالإسلام وإن كان بعضهم قد أعتنق الإسلام عن قناعة ويقين فإن البعض الآخر قد أظهر الإسلام وأبطن المجوسية ديانة فارس القديمة. فإن كهنة المجوسية الذين تمتعوا فى ظل وظـــائفهم القديمـــة بمزايا كثيرة، وفقدوا وظائفهم بدخول معظم أهل فارس فـــى الإســـلام كمـــا خسروا مكانتهم الإجتماعية والدينية، فإنهم كرهوا الإسلام باطنا، وإن أظهروه أمام الناس.

ومن المعروف أن فتح بلاد فارس قد حُسم بعد هزيمـــة الفـــرس فـــى معركة نهاوند سنة ٢١هـــ زمن الخليفة الثانى عمر بن الخطاب، وإن قامت بعض الانتفاضات فى مناطق متفرقة فى بلاد فارس قضى عليهـــا الجـــيش الإسلامى فى عصر الخليفة عثمان، واستقر وضع المسلمين فى فارس بصفة نهائية، ولكن هؤلاء الكارهين للإسلام من الفرس كانوا وقود الحركات التـــى ظهرت بعد ذلك ضد الإسلام والعرب، فقد كان البعض من الفرس ما زالـــوا يؤمنون ببعض الموروثات القديمة فى حضارتهم عن شخص الحاكم وصفاته أهمها قدسية شخص الحاكم وانتقال الحكم عن طريق الوراثة وكانـــت هـــذه المبادئ تقربهم من تأييد التشيع لعلى بن أبى طالب الذى أظهر منـــذ وفـــاة الرسول ﷺ اعتراضه على من تولى الخلافة غيره باعتباره الوريث الوحيـــد لهذا المنصب العظيم بحكم صلة الدم والنسب التى تربطه بالرسول ﷺ.

وقد جذب الفرس إلى حركة التشيع فى العصر الأموى أن نسل الحسين ابن على بن أبى طالب قد امتد لولده على زين العابدين بن الحسين وكانـــت

أمه "سلافة" بنت يزدجرد آخر ملوك آل ساسان الفرس. وبذلك تكون دماء الحسين بن على قد امتزجت بدماء ملوك الفرس مما جعل أئمة الشيعة عند الفرس قد انحسرت فى نسل على زين العابدين بن الحسين هذا دون غيره من نسل الحسين.

وفى البداية كان دخول الفرس إلى الإسلام سواء عن قناعة أو تظاهروا بذلك يعنى أنهم قد أصبحوا مواطنين فى الدولة العربية الإسلامية الناشئة وأن لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات التى يمارسها العربى المسلم ولكن حدثت من الأمور ما جعل الفرس يشعرون بأنهم مهمشون فى ظل حكم الدولة الأموية ذات الطابع العربى، لذلك تحركت المشاعر القومية للفرس خلال الفترة التى بدأت فيها خراسان تتبنى الدعوة لبنى العباس تحت شعار (الرضا من آل محمد)، ثم قاد أحد أعلامهم وهو أبو مسلم الخراسانى الجيوش ليطهر أقاليم المشرق الاسلامى من بقايا الأمويين، ويطاردهم حتى حدود العراق العربى.

هذه الأمور جعلت معظم كتاب المصادر التاريخية الإسلامية عند تعرضهم لتاريخ الدولة العباسية فى مرحلة النشأة يعلنون بأن الدولة العباسية قامت على "أكتاف الموالى الفرس"، وانساق وراء هذا الزعم معظم المؤرخين الحديثين حتى أن البعض عند تقسيمهم لفترات حكم الدولة العباسية صنفوا ما يعرف بالعصر العباسى الأول بأنه "العصر الفارسى الأول" وهذه الآراء بها الكثير من التجنى على الحقائق التاريخية، فهى تتجاهل دور العنصر العربى الذى قام بالنصيب الأكبر فى قيادة الدعوة لبنى العباس بالإضافة إلى المساهمة القوية فى الثورة العباسية وإسقاط دولة بنى أمية.

ومن خلال صفحات هذا الكتاب، واعتماداً على الوثائق التاريخية المرتبطة بالأحداث أوضح العلاقة بين العنصر العربى المسلم، والعنصر

الفارسى الذى لعب دوراً سلبياً أحياناً وإيجابياً فى أحيان أخرى لصالح الدولة العباسية، فقد شعر الفرس بالفخر لأن بلادهم خراسان كانت مهد الدعوة للعباسيين، كما كان زعيمهم أبو مسلم الخراسانى هو القائد المظفر الذى قاد الجيوش لإسقاط الدولة الأموية. لذلك كان اغتيال أبى مسلم الخراسانى فى مجلس الخليفة أبى جعفر المنصور ضربة عنيفة لأحلام الفرس باستعادة نفوذهم مما أشعل الثورات الفارسية ضد الخلافة العباسية وقد تبنت هذه الثورات الموروثات القديمة عند الفرس، فقد ادعى البعض أن أبا مسلم الخراسانى لم يمت وإنما حلت به روح الله، كما أراد البعض الآخر إحياء المجوسية ديانة الفرس القديمة.

ومن أهم هذه الثورات ثورة "سنباذ المجوسى" سنة ١٣٧هـ/٧٥٤هـ الذى بشر أتباعه بنهاية الحكم العربى، وأعلن أنه سيزحف إلى مكة ويدمر الكعبة رمز الدين الإسلامى.

وكان واضحاً من الثورات التى اشتعلت بعد اغتيال أبى مسلم الخراسانى مثل ثورات الروانديه والمسلمية والخرمية وغيرها أن الفرس يتطلعون إلى إحياء قوميتهم وإستعادة نفوذهم على أراضيهم، حتى لو كان هذا على حساب الإرتداد عن الإسلام والقضاء على نفوذ العرب وسيطرتهم.

وكانت أخطر هذه الثورات التى قام بها "استانسيس" الذى جمع حوله كثير من الأنصار سنة ١٥٠هـ/٧٦٧م، وتمكن من الانتصار على عدد من قواد الخليفة المنصور الذين حاولوا القضاء على ثورته، ولم يتمكن المنصور من القضاء على ثورة "استانسيس" إلا بعد أن حشد جيشاً ضخماً أسند قيادته إلى ابنه وولى عهده "المهدى" سنة ١٥١هـ/ ٧٦٨م.

وقد أدرك الخلفاء العباسيون مبكراً خطورة أطماع الفرس ورغبتهم فى السيطرة على مقدرات الدولة من خلال ما أسند إليهم من مناصب رفيعة مثل الوزراة وقيادة الجيوش، فكان العباسيون يراقبون موظفيهم من الفرس عن كثب، ويوجهون لهم الضربات القاتلة عندما تزداد طموحاتهم ويتعدوا الحدود المرسومة لهم، وأصدق الأمثلة على ذلك أحداث مقتل أبى مسلم الخراسانى، ونكبة أسرة البرامكة على يد هارون الرشيد.

وتزداد حدة المواجهة بين القوميتين العربية والفارسية إبان النزاع بين الأخوين الأمين والمأمون على منصب الخلافة، فقد وقف الفرس بقوة وراء -ابن أختهم- المأمون، وخاضوا حرباً ضارية ضد قوات الأمين العربية وكانت ذروة الإنتقام عندما تعمد جيش طاهر بن الحسين الفارسى قتل الخليفة الأمين رغم إستسلامه إمعاناً فى التشفى من العرب، ودون أوامر من المأمون الذى أقسم أمام الملأ "والله ما قتلت، ولا أمرت ولا رضيت، اللهم جلل قلب طاهر حزناً".

ولكن غضب المأمون لم يكن له تأثير أمام سيطرة العناصر الفارسية على المأمون بعد أن تولى الخلافة، فقد تمكن المقربون منه من إقناعه بتحويل الخلافة عن أسرته العباسية إلى بنى عمومته من الشيعة، وقد تم هذا عندما اتخذ المأمون قراره الخطير فى سنة ٢٠١هـ بأن جعل "على الرضا ابن جعفر بن محمد بن على (زين العابدين) بن الحسين بن على بن أبى طالب ولى عهده والخليفة من بعده.

ورغم فشل هذه المحاولة بعد قيام الثورات العنيفة فى بغداد وغيرها من الأقاليم العباسية، وانتهى الأمر بقتل ولى العهد الشيعى على الرضا فقد استمرت المواجهة بين العرب والفرس بالمكائد تارة وبالمواجهة العسكرية

دراسة حول أهم مصادر الدولة العباسية

عند دراسة تاريخ الدولة العباسية يمكننا أن نقسم مصادرنا من حيث الأهمية إلى:

أ- الآثار :

تعتبر الآثار من أهم المصادر التى يعتمد عليها المؤرخون فى كتاباتهم ويمكننا أن نقسم الآثار إلى:

المنشآت الدينية:

مثل المساجد والزوايا والأضرحة والأربطة، وترجع أهميتها إلى ما تتضمنه من نقوش زخرفية وكتابية تعد مادةً تاريخية طيبة فإن ما تضمه بين جدرانها من أساليب فنية ذات مستويات مختلفة تعكس روح العصر الذى أقيمت فيه، وتعطينا فكرة جلية عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى العصر الذى نقوم بدراسته.

المنشآت الحربية :

مثل القلاع والقصاب والأسوار والتحصينات التى قصد منها تحصين المدن والدفاع عنها. ومن حسن الحظ أن عواصم الدولة العباسية ومدنها الهامة لا تزال تحتفظ بالكثير من أطلال هذه المنشآت الحربية.

المنشآت المدنية :

ويقصد بها المنشآت التى أقيمت للنفع العام مثل الخزانات والجسور والقناطر والحمامات والدور والقصور والمصانع والفنادق والبيمارستانات (المستشفيات) .... وغيرها.

الآثار المنقولة :

كالتحف وقطع الآنية وبقايا المنسوجات والأبسطة والأبواب والنوافذ ... وغير ذلك مما تزخر به المتاحف فى بلاد العالم المختلفة.

كل هذا كما ذكرت يعيننا على دراسة الأعمال التى قام بهـا الخلفـاء والحكام والأمراء. ومدى ما وصل إليه رجال الفن والصناعات من تقدم، ومن نقوشها أمكننا ان نصحح كثيراً من الأخطاء التاريخية ونلقـى الـضوء علـى الصلات الحضارية المختلفة بين المسلمين والبلاد المجاورة لهم فـى العـصر العباسى.

ب- السكة :

يعرف ابن خلدون السكة بأنها: "الختم على الدنانير والدراهم المتعامـل بها بين الناس بطابع جديد ينقش به صوراً أو كلمات مقلوبة ويضرب بها على الدينار أو الدرهم فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة بعد أن يعتبر عيار النقد من ذلك الجنس فى خلوصه بالسبك مرة بعد أخـرى وبعـد تقريـر أشخاص الدراهم والدنانير بوزن معين صحيح مصطلح عليه. والسكة تعـرف أيضاً باسم النقود أو النميات، والنميات جمع نمى ومعناها فلوس أو الدراهم.

وتعتبر السكة من المصادر الهامة لدراسة التاريخ والكتابات المنقوشـة عليها تشتمل على ألقاب الخلفاء والأمراء والولاء وتـاريخ الـضرب ومكانـه وشعارات الدولة ومذهبها الدينى، فهى بهذا سجل للألقاب والأسماء، ثم أنها تبين تبعية الولاة للحكومة المركزية أو استقلالهم عنها، ومدى هذا الاستقلال، كـذلك فإن العثور على السكة العباسية فى مكان من الأماكن يبين لنـا إلـى أى حـد انتشرت التجارة العباسية فى خارج الحدود.

وترجع أهمية المسكوكات إلى اعتبار انها وثائق صحيحة ومعاصـرة رسمية لا يمكن الطعن فيها.

ومن أهم المصادر الخاصة بدراسة النميات: كتاب "النقود الإسـلامية" للمقريزى ومن الكتب الحديثة كتاب "النقود العربية وعلم النميات" للأب أنستاس مارى الكرملى.

جـ- المصادر المكتوبة :

تاريخ الرسل والملوك :

لشيخ المؤرخين الطبرى (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٣م)، ويعتبر تاريخ الطبرى المعروف بتاريخ الرسل والملوك من أهم المصادر لدراسة تاريخ الدولة العباسية، وصاحب هذا الكتاب ولد فى إقليم طبرستان القريب من بحر قزوين عام ٢٢٤هـ / ٨٣٩م ولذا عرف بالطبرى.

وقد رحل الطبرى لطلب العلم فى بلاد العالم الإسلامى المختلفة فزار مصر والشام وفارس والبصرة والكوفة. واهتم الطبرى بالدراسات القرآنية والحديث والفقه والتاريخ، ووضع كثيراً من المصنفات لهذه المعارف منها كتاب "جامع البيان فى تفسير القرآن"، وكتاب "تاريخ الرسل والملوك" الذى يعتبر من أهم المصادر فى دراسة تاريخ الدولة العباسية.

ويسير الطبرى فى كتابه هذا على نفس الطريقة التى كانت متبعة لهذا العصر فيبدأ بالحديث عن خلق العالم ثم يمضى فى تاريخه حتى عام ٣٠٢هـ، والكتاب مرتب على طريقة الحوليات أى على حسب السنين، بالإضافة إلى طريقة الإسناد وذلك لضبط صحة الأقوال التاريخية التى يوردها.

إلا أنه يؤخذ على الطبرى فى كتابه هذا انه لم يهتم بتنسيق المعلومات التى يوردها أو يرتب عرضها فكتابه هذا أشبه بخزانة من المعلومات التاريخية الغير منتظمة حشدها المؤلف فى كتابه دون نقد او تأويل لدرجة أنه يذكر عدة روايات لحادثة واحدة، فتاريخ الطبرى عبارة عن ثروة تاريخية هائلة نقلها الطبرى عن أصل ضاع معظمها وهذا هو السر فى أهمية هذا الكتاب.

وقد قام المستشرق دى جويه بنشر هذا الكتاب فى ١٣ جزء بالإضافة إلى طبعات أخرى لهذا الكتاب بعضها مصرى والآخر أجنبى من اهمها طبعة الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم بدار المعارف بالقاهرة.

وعلى الرغم من ضخامة هذا الكتاب فإن الطبرى يذكر فى مقدمته أنه عبارة عن اختصار لكتاب آخر ضخم جداً كان يتناول نفس هذا الموضوع ثم رأى المؤلف اختصاره حتى تتاح للناس قراءته.

وقد كتب المؤرخ الأندلسى عريب بن سعد (ت ٣٧٠هـ) نيلا لتاريخ الطبرى، استكمل فيه الأخبار التى لم يذكرها الطبرى ثم استكملها حتى عام ٣٢٠هـ، واهتم بتاريخ المغرب والأندلس الذى لم يهتم به الطبرى.

كتاب الكامل فى التاريخ:

لعمدة المؤرخين عز الدين بن الأثير (ت عام ٦٣٠هـ). ولد عز الدين بن الأثير صاحب هذا الكتاب فى عام ٥٥٥هـ، بالقرب من الموصل فى العراق ونشأ فى بيت علم ودين، وتذكر المصادر أن أخاه الأكبر مجد الدين كان عالماً فى الحديث، وأن أخاه الأصغر ضياء الدين كان عالماً فى الدراسات القرآنية.

وقد صنف عز الدين بن الأثير العديد من المؤلفات نذكر منها، "أسد الغابة فى معرفة الصحابة"، "الباهر فى تاريخ الدولة الأتابكية فى الموصل"، و"كتاب الكامل فى التاريخ".

وبدأ ابن الأثير كتابه الكامل فى التاريخ بالحديث عن بدء الخليقة وينتهى إلى عام ٦٢٨هـ/ ١٢٣١م. وقد طبع هذا الكتاب فى بولاق فى ١٢ مجلداً، كما نشره المستشرق الألمانى تور نبرج فى ١٤ مجلداً. وطبع طبعة حديثة ومحققة بدار الكتب العلمية ببيروت سنة ١٩٨٧م.

وعلى الرغم من أن ابن الأثير قد إعتمد على الطبرى اعتماداً يكاد يكون كلياً حتى أنه كان ينقل عنه أحياناً بالحرف الواحد، إلا أنه قام بحذف الإسناد وأسماء الرواة، وجمع أخبار الحادثة الواحدة فى موضوع واحد بدلاً من توزيعها فى أجزاء متفرقة على طريقة السنويات التى كان يسير الطبرى عليها

فى كتاباته، وشرح بعض الأخبار الغامضة التى أوردها الطبرى، واستكمل الأخبار التى لم ترد لدى الطبرى أو التى وقعت بعد وفاته عام ٣١٠هـ، واهتم بتاريخ المغرب والأندلس.

مروج الذهب ومعادن الجوهر:

لأبى الحسين على المسعودى (ت ٣٤٦هـ). وينتسب هذا الكتاب إلى الصحابى عبدالله بن مسعود، ولد فى بغداد فى القرن الثالث الهجرى، ورحل فى طلب العلم فزار فارس وجزيرة سرنديب والصين وعمان والشام وفلسطين ومصر. وقد أفادته تلك الرحلات فى جمع الكثير من المعلومات التاريخية والجغرافية حتى وصفه بعض المستشرقين الأوربيين بأنه هيروديت العرب.

وكتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر يبدأ بالحديث عن قصة الخلق وقصص الأنبياء ويمضى حتى عهد الخليفة العباسى المطيع لله عام ٣٢٤هـ / ٩٣٥م.

كتاب التنبيه والإشراف ، للمسعودى أيضا :

أورد المسعودى فى هذا الكتاب الكثير من المعلومات التى لم ترد فى كتابه السابق "مروج الذهب" ولا سيما الأخبار الخاصة بتاريخ القرامطة وعلاقاتهم بالدولة العباسية كما أورد الكثير من المعلومات الجغرافية مثل الحديث عن الأرض وسكانها وأنهارها والنجوم والرياح وغيرها. وقد نشر المستشرق دى جويه هذا الكتاب عام ١٨٩٤، ثم طبع فى مصر عام ١٩٣٨م وأخيراً ظهرت فى بيروت طبعة حديثة له.

تاريخ اليعقوبى (ت عام ٣٨٣هـ / ٨٩٥م):

رحل اليعقوبى فى طلب العلم فزار فارس وأرمينيا والهند والشام ومصر والمغرب والأندلس.

ويبدأ الكتاب بالتاريخ القديم ثم التاريخ الإسلامى حتى عهد الخليفة العباسى المعتمد على الله (عام ٢٥٦هـ) وقام اليعقوبى بترتيب الكتاب على حسب الخلفاء.

ولكتاب اليعقوبى طبعات كثيرة نذكر منها طبعة ليدن بهولندا عام ١٨٨٣م، وطبعة مدينة النجف بالعراق عام ١٩٤٠ فى ثلاثة أجزاء. وطبعة ثالثة حديثة بدار صادر بيروت سنة ١٩٩٢م فى جزئين.

كتاب "*الوزراء والكتاب*":

لأبى عبد الله محمد بن عبدوس الكوفى المعروف بالجهشيارى (ت٣٣١هـ).

ويتناول الجهشيارى فى كتابه تاريخ الوزارة والكتابة فى الدولة الإسلامية منذ قيامها حتى عصر الخليفة المأمون، كما أنه يتناول إلى جانب ذلك تاريخ الخلفاء بحكم اتصال الوزراء والكتاب بهم، وفى خلال ذلك يتحدث عن حياة القصور ومظاهر الحضارة الفارسية وتأثير تلك الحضارة على الحياة الإسلامية فى العصر العباسى، ولذا يعد هذا الكتاب من المصادر المهمة لدراسة الدولة العباسية وخاصة إذ عرفنا أن الجهشيارى كان مؤرخا ثقة يعد من طبعة كبار مؤرخى العصر العباسى.

وقد قام أحمد السقا وإبراهيم الإبيارى بنشر الكتاب عام ١٩٣٣م. بالقاهرة، وقد قام هلال بن الحسن الصابى (ت ٤٤٨هـ) بكتابة ذيل لكتاب الجهشيارى أسماه "تحفة الوزراء فى تاريخ الوزراء" وصل به كتاب الجهشيارى حتى عام ٣٩٣هـ. وقد نشر هذا الكتاب فى بيروت عام ١٩٣٣م.

كتاب *الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى* (ت ٣٥٩هـ):

هذا الكتاب من المصادر المهمة فى دراسة الحياة الاجتماعية والفنية فى العصر العباسى ويقع فى ٢١ جزء، ولذا قام جمال الدين بن واصل (القرن

السابع الهجرى) باختصاره وأسماه "تجريد الأغـــانى" وقـــام الأســـتاذ إبـــراهيم الإبيارى بنشر هذا المختصر فى جزئين.

تاريخ بغداد أو مدينة السلام:

لأبى بكر أحمد بن على المعروف بالخطيب البغدادى (ت ٤٦٣هـــ / ١٠٧٠م): يعد هذا الكتاب من المصادر الأساسية لدراسة العصر العباسى، وهو عبارة عن تاريخ مدينة بغداد ووصفها منذ تأسيسها عى يد الخليفة أبى جعفـــر المنصور حتى عصر المؤلف (القرن الخامس الهجرى) وفى أثناء الحديث عن بغداد يتناول المؤلف أخبار الخلفاء والوزراء والأمراء والعلماء الـــذين عاشـــوا فيها او وفدوا عليها لتلقى العلم أو القيام بالتدريس فيها. وكتاب "تاريخ بغداد" يقع فى ١٤ جزءاً ونشر فى القاهرة عام ١٩٣١م.

رفع الإصر عن قضاة مصر:

لابن حجر العسقلانى "ت ٨٥٢هـــ / ١٤٤٩م": ويتناول الكتاب تاريخ مصر فى عهد الطولونيين والأخشيديين من خلال حديثه عن القضاء والقـــضاة فى هذه العصور.

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار :

وهو المعروف بالخطط لتقى الدين أحمد بـــن علـــى المقريـــزى: (ت ٨٤٥هـــ / ١٤٤٢م):

ولد المقريزى بالقاهرة وتوفى بها، وكانت أسرته من قبل تعـــيش فـــى مدينة بعلبك بالشام فى حارة تعرف بالمقاريزة ونسبت الأسرة إلى تلك الحارة.

وقد أعطانا المقريزى فى هذا الكتاب صـــورة حيـــة لحيـــاة الـــشعب المصرى على عهده فتحدث عن المواسم والأعياد (مواكب الخلفـــاء والأمـــراء والولاة وكيفية الاحتفال بهذه المناسبات، كما تناول الحديث عن عواصم مـــصر

الإسلامية (الفسطاط والعسكر والقطائع والقاهرة) ووصفها وصفاً شاملاً. وللكتاب طبعات عدة منها طبعة بولاق القاهرة فى جزئين.

كتاب إغاثة الأمة بكشف الغمة للمقريزى أيضاً:

يتناول المقريزى بهذا الكتاب دراسة الاقتصاد المصرى ويتحدث عن السكة والأوزان والمقاييس والمكاييل، والمجاعات والطواعين وأسبابها وتأثيرها على الحياة فى مصر. وقد قام بنشر هذا الكتاب الدكتور محمد مصطفى زيادة والدكتور جمال الدين الشيال.

كتاب "النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة":

لأبى المحاسن بن تغرى بردى (ت ٨٧٤ هـ/ ١٤٦٩م):

هذا الكتاب عبارة عن تاريخ مصر منذ الفتح الإسلامى حتى عصر المؤلف فى القرن التاسع الهجرى. وقام المؤلف بتخصيص ترجمة خاصة لكل خليفة أو حاكم أو أمير حكم مصر، وفى نهاية كل ترجمة يذكر أخبار العالم الإسلامى على عهد صاحب الترجمة مرتبة على حسب السنوات.

كتاب "سيرة أحمد بن طولون"

لأبى عبد الله محمد البلوى: (عاش فى القرن الرابع الهجرى) قام بنشره محمد كرد على فى دمشق عام ١٩٣٩.

كتاب المكافأة:

"لابن الداية" (عاش فى القرن الرابع الهجرى): وقد خصصه المؤلف للحديث عن سيرة أحمد بن طولون.

كتاب "العيون الدعج فى حلى دولة بنى طفج":

لابن سعيد المغربى (عاش فى القرن السابع الهجرى): ويتناول هذا الكتاب الحديث عن تاريخ دولة الأخشيديين، وقد نقل ابن سعيد مادته عن

المؤرخ المصرى ابن وزلاق الذى فقدت مؤلفاته للأسف. فاحتفظ لنا ابن سعيد بالنص الذى ضاع وأورده فى كتابه "المغرب فى حلى المغرب".

كتاب "آثار الأول فى ترتيب الدول":

للحسن بن عبدالله (ت ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م): ويتضمن هذا الكتاب معلومات عامة عن دولة الصفاريين ودولة السامانيين وهما من الدويلات المستقلة عن الدولة العباسية فى المشرق الإسلامى. وقد طبع هذا الكتاب فى القاهرة عام ١٣٠٥هـ.

كتاب "سياسة نامة":

للكاتب نظام الملك (ت ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م): كتبه المؤلف باللغة الفارسية، وقام المستشرق الفرنسى شارل شيفر بترجمته إلى الفرنسية فى ثلاثة أجزاء (باريس ١٨٩١ – ١٨٩٧م). والكتاب يتضمن معلومات مهمة عن نظام الحكم والإدارة فى الدولة السامانية والدولة السلجوقية.

كتاب "تجارب الأمم":

لأبى على أحمد بن مسكويه (ت ٤٢١هـ / ١٠٣١م): يتناول هذا الكتاب الحديث عن الدولة البويهية وأحوالها الاقتصادية والعمرانية، وقد قام المستشرق أمد روز بنشر هذا الكتاب بالقاهرة عام ١٩١٥م.

كتاب "دولة آل سلجوق":

لعماد الدين الأصفهانى (ت ٥٩٧ / ١٢٠١م): وقد نشر هذا الكتاب بالقاهرة عام ١٩٠٠م.

كتاب "أخبار الدولة السلجوقية":

لعلى بن ناصر بن على الحسينى (ت فى أوائل القرن التاسع الهجرى): وقد قام محمد إقبال بنشر هذا الكتاب فى لاهور عام ١٩٢٣م.

كذلك فقد تناول عدد كبير من المصادر الحديث عن نظم الحكم والإدارة فى العصر العباسى نذكر منها:

كتاب "الأحكام السلطانية" للماوردى (ت ٤٥٠هـ) وكتاب "الفخرى فى الآداب السلطانية" لابن طباطبا (ولد عام ٦٦٠هـ) وكتاب "مقدمة ابن خلدون" (ت ٨٩٨هـ) وغيرها.

أما الكتب الحديثة فقد تناولت الحديث عن تاريخ الدولة العباسية والحضارة الإسلامية فى هذا العصر فهى كثيرة نذكر منها:

أحمد أمين : فجر الإسلام – ضحى الإسلام – ظهر الإسلام.

أحمد على : ثورة الزنج وقائدها على بن محمد.

بارتولد : الحضارة الإسلامية.

حسن أحمد محمود، وأحمد، إبراهيم الشريف: العالم الإسلامى فى العصر العباسى الدورى (عبد العزيز): العصر العباسى الأول، دراسات فى العصور العباسية المتأخرة.

سيدة الكاشف : مصر فى عصر الأخشيديين.

ضياء الدين الريس : الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية.

عبد الجبار الجومرد : هارون الرشيدى.

عبد الحميد العبادى : صور وبحوث من التاريخ الإسلامى.

عبد الفتاح السرنجاوى : النزعات الاستقلالية فى الخلافة العباسية.

على ظريف الأعجمى : مختصر تاريخ بغداد.

لى سترينج : بغداد فى عهد الخلافة العباسية ترجمة إلى العربية بشير فرنسيس.

محمد أحمد براتق : الوزراء العباسيون، البرامكة فى ظل الخلافة العباسية.

تمهيد :

أوردت العديد من المصادر التاريخية من الروايات التـى تبـرز دور الموالى الفرس وأهل خراسان أو الخراسانية فى نشاة الدولة العباسية بحيث بدا للباحثين الحديثين وكأن تلك الدولة قامت على أكتاف الفرس وبجهودهم الدعائية والعسكرية. فأنساق البعض وراء هذا الزعم. وأصبح من البديهات التى تتكرر فى كتاباتهم. فقد كثر القول فى المصادر والمراجع أن العباسيين أقاموا دولـتهم "بأيدى العجم أهل خراسان ... وأزالوا بعجم خراسان دولة بنى أميـة"(١). وأن الدعوة العباسية تدين بنجاحها لتأييد أهل خراسان. لذلك فإن "دولـتهم أعجميـة خراسانية"(٢)، كما ينسبون إلى العباسيين قولهم أن شيعتهم هم أهل خراسـان لا ينصرون إلا بهم(٣). اعتماداً على أن الدعوة قد بدات فى بيئة أعجمية. واستندت إلى قوم أعاجم، فقد نشأت فى خراسان ودعمها أهل خراسان(٤).

وقد استند البعض فى تأييدهم لهذا الرأى على ما يقال عن تذمر الموالى فى العصر الأموى من عدم المساواة والضرائب الباهظة والتمييز العنصرى مما دفعهم إلى تأييد شعارات الدعوة العباسية عن الإصلاح والمـساواة(٥). ويـالغ بعض المؤرخين فى الأخذ بهذا الرأى. حتى أنهم نسبوا كل الفضل فـى نـشأة الدولة العباسية إلى حسن قيادة وتدبير فرد واحد من الموالى الفرس. وهو أبـو

---

(١) تقى الدين المقريزى، النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة ١٩٨٤، ص ٩٥.

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق / حسين السندوبى، القاهرة ١٩٣٢م، جـ٢ ، ص ٢١٧.

(٣) انظر: ابن الفقيه الهمذانى، مختصر كتاب البلدان، ليدن ١٨٨٥م، ص٢١٥، ص٢١٨.

(٤) محمد ماهر حمادة ، الوثـائق السياسية والإدارية العائدة للجزيرة العربية، بيروت ١٩٨٧، ص ٢٦ .

(٥) راجع: حسن احمد محمود، احمد إبراهيم الشريف، العالم الاسلامى فى العصر العباسى، القاهرة "الطبعة الخامسة بدون تاريخ" ص٢١، ٢٦، ٢٧. فان فلوتن السيادة العربية والشيعة، والإسرائيليات فى عهد بنى أمية. ترجمة حسن إبراهيم حسن، محمد زكى إبراهيم، سنة ١٩٦٥، ص ٩٥.

مسلم الخراساني، فهو فى نظرهم "صاحب الدولة"[1] وصاحب الدعوة ويـــروى ابن قتيبة أن أبا مسلم قد حمل أمر الدولة والدعوة وهو ابن إحــدى وعــشرين سنة[2].

والواقع أن هذه الأقوال تحمل الكثير من التجاوزات والمبالغة، وتنظــر إلى أحداث نشأة الدولة العباسية نظرة ينقصها الشمول، حيث تركز كل الأضواء على أقاليم خراسان، وأهل خراسان وتبرز دورهم فى نشأة الدولة العباسية دون النظر بعين الاعتبار إلى العناصر الأخرى وتأثيرها الفعال فــى هــذا المجــال وخاصة العرب.

ولكى يتضح لنا دور العرب فى نشأة الدولة العباسية، لابد أن نبحث فى الأسباب والعوامل التى أدت إلى ضعف الدولة الأموية وانهيارها وقيام الدولــة العباسية على أنقاضها، فنجد أن تلك العوامل والأســباب تكــاد تنحــصر فــى الصراعات القبلية بين القيسية واليمنية والصراعات الإقليمية بين أهل الحجــاز وأهل الشام والتى تمخضت عن نقل مركز الخلافة من الحجــاز إلــى الــشام، والثورات المذهبية المتمثلة فى ثورات الشيعة والخوارج، والثــوارت العربيــة العامة المناوئة للحكم الأموى، والتى لم تعترف بأحقية الأمــويين فــى خلافــة المسلمين.

ومن خلال أحداث تلك الصراعات والثورات يتبين لنا أن جل قادتهــا وجندها من العرب ، فالعرب هم المعنيون بتلك الأحداث والقائمون بها فى المقام الأول وإذا وجدنا بعض الموالى يسهمون فى بعض الثورات المذهبية غيــر أن أعداداهم كانت ضئيلة لا تقارن بأعداد العرب، ودورهم محدود وغير مؤثر فى الأحداث.

---

(١) انظـر: محمـد بـن حبيـب، كتـاب أسـماء المغتـالين مـن الأشـراف، مـن سلـسلة نـوادر المخطوطات، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٧٢م، مجلد٢، ص١٩٢.
(٢) ابن قتيبة: عيون الأخبار، القاهرة ١٩٧٢م، جـ٢ ص١٢٤، ص ٢٢٠.

ومن جهة أخرى فإن بعض المؤرخين تذرعوا بتذمر الموالى ضد الحكم الأموي واستياءهم من التمييز وعدم المساواة بينهم وبين العرب فى الحقوق والواجبات، غير أن استقراء الأحداث بدقة وتأن أثبت أن هذا الرأى تنقصه الدقة ويجانبه الصواب، حيث نجد أن الأمويين استخدموا الموالى واستعانوا بهم فى إدارة الدولة، وأنهم سووا بينهم وبين العرب فى الحقوق والواجبات مساواة تكاد تكون تامة في معظم الأحيان، وإن بدت بعض مظاهر التمييز فإنها كانت حالات فردية واستثنائية لا ترقى إلى مستوى التعميم ولا تصل إلى حد الثورة المسلحة التى تؤدى إلى سقوط حكم وقيام حكم بديل.

أما الذين تذرعوا ببدء الدعوة وتفجر الثورة العباسية فى خراسان وعلى أيدى أهل خراسان، فالواقع أن هذا الرأى يحتاج إلى تفسير لأنه يشوبه الكثير من المبالغة والخلط والتعميم فخراسان لم تكن المركز الوحيد للدعوة والثورة بل كانت هناك مراكز أخرى مهمة كالكوفة والحميمة بالشام(١)، كما أن أهل خراسان لم يكونوا كلهم عجم بل على العكس فإن العرب كانوا يمثلون قوة ضاربة فى خراسان، وسنجد أن معظم الدعاة العباسيين وأكثر القادة العسكريين كانوا من العرب وينطبق هذا على الجند أيضاً، وأن مشاركة بعض الموالى فى الدعوة والثورة كانت محدودة المكان والزمان بمعنى أن دورهم انتهى بمجرد انتقال الثورة من خراسان إلى الأقاليم العربية، وقد أثبت الموالى عدم جديتهم فى الإخلاص والولاء للحكم العباسي وظهر تطلعهم إلى الهيمنة وفرض النفوذ مما دعا العباسيون إلى القضاء عليهم والتخلص منهم، مثلما حدث لأبى سلمة الخلال ولأبى مسلم الخراساني وغيرهما.

---

(١) الحميمة: إحدى القرى التابعة لدمشق وهى فى أطراف الشام شرقى الأردن. ويذكر أن الخليفة عبد الملك بن مروان منح هذه القرية للعباسيين كإقطاعية مملوكة لهم فقدموا إليها واستوطنوها وأصبحت خاصة بهم، وأول من قدم إليها واسوطنها هو على بن عبد الله بن العباس فيما بين سنتى ٦٧، ٦٨هـ (ياقوت: معجم البلدان، دار صادر ، بيروت، د/ت، جـ٢، ص٣٠٧).

ومن المعروف أن الخلفاء العباسيين كلهم عرب هاشميون، وكانوا يفخرون بعروبتهم ويتمسكون بها ويشرفون بإسلامهم ويعتزون به، وقد نجحوا في ترسيخ طابعي العروبة والإسلام على نظام حكمهم طوال العصر العباسي الأول، وتصدوا لكل محاولات الفرس وحركاتهم السياسية والدينية المناهضة للعروبة والإسلام وقضو عليها، وكان العنصر العربي ظهيراً قوياً في دعم العباسيين ومساندتهم ضد الحركات العدائية المعروفة بالشعوبية.

ونحن لا ننكر الدوَر الذي قام به الموالي في نجاح الدعوة العباسية وقيام الدولة ولكن لا يمكننا في نفس الوقت أن نقلل من قدر الدور الذي ساهم به العرب في هذا الشأن، فهم في اعتقادنا قد قاموا بالدور الرئيسي والأساسي في نشأة الدولة العباسية، وهذا ما سنحاول توضيحه في الصفحات التالية.

الباب الأول

دور العرب فى نشأة الدولة العباسية

الفصل الأول :

الثورات العربية التى هزت أركان الدولة الأموية .

الفصل الثانى :

دور العرب فى نشر الدعوة لبنى العباس.

الفصل الثالث :

دور العرب فى الحرب ضد الأمويين حتى مقتل مروان بن محمد .

الفصل الأول

الثورات العربية
التى هزت أركان الدولة الأموية

أولاً : ثورات الشيعة .

ثانياً : ثورات الخوارج.

ثالثاً : ثورات القبائل العربية.

أولا - ثورات الشيعة :

ظهرت فرقة الشيعة علي ساحة العالم الإسلامي علي أثر الصراع بين الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ وبين معاوية بن أبي سفيان الذي كان واليا علي الشام من قبل الخليفة عثمان بن عفان ﷺ ، وقد بلغ الصراع بينهما ذروته في معركة صفين سنة ٣٧هـ/٦٥٧م(١)، التي لم تحسم الصراع حيث عقدت بينهما هدنة واتفقا علي تحكيم القرآن الكريم، غير أن التحكيم كان مجحفا لعلي وفي مصلحة معاوية مما آثار غضب علي فرفضه وقرر معاودة القتال، وبينما يستعد للتحرك إذ لقي حتفه علي يد عبد الرحمن بن ملجم المرادي في رمضان سنة ٤٠هـ/٦٦٠م(٢).

واتفق العلماء علي تحديد مفهوم لفظ الشيعة بأنهم الأصحاب والأتباع المشايعون لعلي بن أبي طالب وبنيه من بعده فقال الشهر ستاني(٣): "الشيعة هم الذين شايعوا عليا ﷺ علي الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية إما جليا، وإما خفيا واعتقدوا أن الإمامه لا تخرج من أولاده ، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره ، أو بتقيه من عندة " ، ويقول ابن خلدون(٤): "أعلم أن الشيعة لغة هم الأصحاب والأتباع، ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف علي اتباع علي وبنية ﷺ " .

ومن ذلك يتبين أن فرقة الشيعة ظهرت كجماعة سياسية تؤمن بأحقية علي وبنيه من بعده في إمامه المسلمين وخلافتهم، غير إنها لم تكن تمثل حزبا

---

(١) البلخي : البدء والتاريخ ، دار صادر بيروت ، د/ت ، جـ٥ ص٢١٧ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولي سنة ١٩٨٧م.

(٢) اليعقوبي : تاريخه ، دار صادر بيروت ، سنة ١٩٩٢م ، جـ٢ ، ص٢١٢٢ . السيوطي : تريخ الخلفاء ، تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل بيروت. سنة ١٩٨٨، ص٢٠٧.

(٣) الملل والنحل، القاهرة سنة ١٩٤٨م ، جـ١ ص ١٤٦ .

(٤) المقدمة ، الطبعة البهية المطرية ، القاهرة د/ت ، ص١٣٨.

نظاميا موحدا بل كان اتباعها منتشرين في مختلف الأمصار الإسلامية يجمعهم رأي موحد في تأييد الإمام علي وأهل بيته، والجدير بالملاحظة أن جيش الإمام علي في معركة صفين كان من كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار أي أنهم عرب خلص(١).

وعقب مقتل علي بايع الشيعة لأبنه الحسن ﷺ " كخليفة للمسلمين، لكن الحسن لم تكن له رغبة ولا استعداد في ممارسة العمل السياسي فتصالح مع معاوية وتنازل له عن الخلافة في ربيع الأول سنة ٤١هـ /٦٦١م . ولم يجد الشيعة بدا من الخضوع والاستسلام أمام رغبة الحسن وقوة معاوية(٢)، وامتنع الحسين بن علي عن مبايعة معاوية(٣) وآثر الهدوء والانتظار حتي تحين الفرصة المناسبة للثورة ضده والمطالبة بحقه في الخلافة، فقام بالثورة ضد الخليفة يزيد بن معاوية، ولم تكن القوى متكافئة بينهما فقتل الحسين في معركة كربلاء الشهيرة في المحرم ٦١هـ/٦٨٠م(٤).

وعلي الرغم من فشل ثورة الحسين ومقتله، فقد تمخض عنها ظهور الشيعة كفرقة منظمة ذات أفكار ومبادئ وأهداف سياسية ودينية معينة وحزب معارض قوى وفعال أسهم بشكل مباشر في ضعف الدولة الأموية وسقوطها(٥).

وأول جماعة سياسية وعسكرية ثارت في وجه الأمويين هي جماعة التوابين والتي تولي زعامتها هو سليمان بن صرد الخزاعي(٦)، وعاونه في

---

(١) انظر : ابن الأثير : الكامل ، جـ٣ ص ١٦١ ، ١٦١ ، ١٧٧.

(٢) النويختي والقمي : فرق الشيعة ، تحقيق وتصحيح / عبد المنعم الحفني ، القاهرة الطبعة الأولي سنة ١٩٩٢م ، ص٣٠. البلخي : البدء والتاريخ ، جـ٥ ص٢٢٩ .

(٣) شهاب الدين الحموي ، التاريخ الإسلامي المعروف بالتاريخ المظفري ، تحقيق / حامد زيان غانم ، دار الثقافة ، القاهرة سنة ١٩٨٩م ، تحقيق / حامد زيان غانم ، دار الثقافة ، القاهرة سنة ١٩٨٩م ، ص١٨٩ ، ١٩٠.

(٤) ابن الأثير : الكامل، جـ٣ ، ص٤١٢، ٤١٧، شهاب الدين: المصدر السابق، ص٢١٠. وانظر: سميرة مختار الليثي : جهاد الشيعة ، نشر البطحاء سنة ١٤٠٤ هـ ، ص٢٧.

(٥) انظر : سميرة مختار الليثي : المرجع السابق ، نفس الصفحة.

(٦) انظر: اليعقوبي : تاريخه ، جـ٢ ص ٢٢٨، ٢٥٧ . ابن الأثير . الكامل ، جـ٣ ص ٤٨٦، ٤٨٧، جـ٤، ص٣.

زعامة الثورة أربعة من رؤساء القبائل العربية وهم المسيب بن نجبة الفزاري، وعبدالله بن سعد بن نوفيل الأزدي وعبد الله بن وداع التميمي، ورفاعة بن شداد البجلي وكتب سليمان إلي الأمصار العراقية يدعو آهلها للإنضمام إلي الثورة فاستجابوا لدعوته(١).

واشتبك الشيعة مع الجيش الآموي في معركة طاحنة بعين الوردة(٢) في ربيع الأول سنة ٦٥هـ/٦٨٤م، وانتهت الثورة بالفشل وقتل زعيمها(٣). وآلت زعامة الشيعة إلي المختار بن أبي عبيد الثقفي فأسس فرقة شيعية بالكوفة أطلق عليها الكيسانية أو المختارية نسبة إليه(٤)، وجهز جيشا لقتال الأمويين وجعل إبراهيم بن مالك بن الأشتر النخعي قائدا له، وتمكن جيش المختار من الإستيلاء علي الكوفة وأصبح سيدها بلا منازع وذلك في ربيع الأول سنة ٦٦هـ/ ٦٨٥م(٥).

ثم بعث المختار جيشا آخر للاستيلاء علي الموصل ، وتجلي الصراع القبلي في تلك المعركة بوضوح ، فقد كان جل جيش المختار من القيسية بينما كان جل الجيش الأموي من الكلبية (اليمنية)، وانتهت المعركة بانتصار الشيعة واستيلاءهم علي الموصل(٦). ثم زحف الشيعة نحو المشرق فبسطوا سيطرتهم علي معظم أقاليمه وذلك في المحرم سنة ٦٧هـ /سنة ٦٨٧م(٧). وكان عبد الله ابن الزبير قد ظهر آنذاك كمنافس قوي لكل من الآمويين والشيعة ، فنجح في

---

(١) انظر : البلاذري : أنساب الأشراف ، فلسطين سنة ١٩٣٨م ، جـ٥ ، ص٢٠٧ . المسعودي : مروج الذهب ، دار الرجاء ، القاهرة د/ت ، جـ٣ ص ١٠٠، ١٠١.

(٢) عين الورده أو رأس العين : إحدي مدن ديار ربيعة بنواحي الموصل : ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، تحقيق دي جوية ، نشر مكتبة الثقافية الدينية القاهرة د/ت ، ص٢٤٥.

(٣) اليعقوبي : تاريه ، جـ٢ ص٢٥٧ . البلخي : البدء والتاريخ جـ٦ ص١٩ .

(٤) انظر : النوبختي والقمي : فرق الشيعة ، ص٣٣، ٣٤ . البغدادي : الفرق بين الفرق ، تحقيق / عثمان الخشت ، القاهرة سنة ١٩٨٨م ، ص٤٦، ٤٧، ٥٠ .

(٥) البلخي : البدء والتاريخ ، جـ٦ ص ٢٠ . ابن الأثير : الكامل ، جـ٤ ص ٣٢ : ٣٧ .

(٦) البلخي : البدء والتاريخ جـ٦ ص ٢٠ . ابن الأثير : الكامل ، جـ٦٠ ، ٥٧، ٤، ٦٢ .

(٧) اليعقوبي : تاريخه ،جـ٢ ، ص ٢٥٧، ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٤ ص٦٤، ٦٥.

هزيمة الشيعة والقضاء علي زعيمهم المختار الثقفي، وتمكن من الاستيلاء علي الكوفة – مركز إدارتهم – وكافة الأقاليم التي كانت تحت سيادتهم وذلك في رمضان سنة ٦٧هـ /٦٨٦م(١) ، بينما كان الآمويون قد فشلوا في ذلك .

وبعد مقتل المختارر أدرك الشيعة فشلهم في الكفاح الثوري فأقلعوا عنه ولجأوا إلي حياة التقية والكتمان ، وبدأوا يمارسون نشاطهم في الدعوة بشكل سري، وتولي محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية أمر الدعوة السرية لنفسه، وأوصي لابنه عبد الله المعروف بأبي هاشم بمواصلة الدعوة وبايع له بالإمامة من بعده(٢). فأسس أبو هاشم فرقة شيعية جديدة نسبت إليه وهي الهاشمية(٣)، ويعد أبي هاشم المؤسس الأول للدعوة الهاشمية العامة لآل البيت والتي قامت عليها الدولة العباسية فيما بعد .

وبلغت أخبار الدعوة الهاشمية إلي مسامع الخليفة الآموي سليمان بن عبد الملك سنة (٩٦هـ/٧١٤م- ٥٩هـ /٧١٧م) فخشي من خطرها وعزم علي القضاء عليها في مهدها، فبعث إلي أبي هاشم وأظهر له الود والإعجاب ثم دس إليه جماعة ليقتلوه سما ففعلوا(٤)، فلما شعر أبو هاشم بدنو أجله التقي بزعيم العباسيين بالحميمة وهو محمد بن علي بن عبد الله بن العباس آنذاك، فأفضي إليه بأسرار الدعوة وأمره بمواصلتها من بعده فقال له: "يا بن عم، أنا ميت وقد صرت إليك، وهذه وصية أبي إلي، وما فيها أن الأمر صائر إليك وإلي ولدك،

---

(١) العقوبي : تاريخه ، جـ٢ ، ص٢٦٣ ، ٢٦٤ . المسعودي : التنبيه والإشراف ، دار صادر بيروت ، الطبعة الأولي سنة ١٩٨٧م ، ص٢٧٠ . ابن الأثير : الكامل ، جـ٤ ، ص٦٤، ٦٥ .

(٢) توفي ابن الحنفية بالمدينة المنورة في ذي الحجة سنة ٨٠هـ وقيل في المحرم سنة ٨١هـ. انظر محمد بن حبيب : أسماء المغتالين من الإشراف في الجاهلية والإسلام ، جـ٢، ١٧٩. النوبختي : الفرق الشيعة ص٣٩، ٤٤.

(٣) النوبختي : فرق الشيعة ، ص٤٤ . البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص٤٧.

(٤) محمد بن حبيب: المصدر السابق، جـ٢، ص١٧٩. اليعقوبي: تاريخه، جـ٢ص ٢٩٧، ٢٩٨.

والوقت الذي يكون ذلك والعلامة وما ينبغي لكم العمل به علي ما سمع وروي عن أبيه علي بن أبي طالب"[١] وأشهد علي ذلك رجالا من الشيعة ثم مات فيما بين سنتي سنة ٩٧هـ/٧١٥م، سنة ٩٩هـ/٧١٦م علي لختلاف الآراء[٢].

ومهما أثير من جدل حول صحة هذه الرواية والثقة في مصادرها، فإن الدعوة لبني العباس قد بدأت بصفة سرية منذ السنوات الأولي من القرن الثاني الهجري بزعامة محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وظلت بيد العباسيين حتي ظفروا بالخلافة. وقد اتفق معظم العلماء علي صحة البيعة بالإمامة والخلافة للعباسيين وأحقيتهم لها وشرعية انتقالها إليهم من أيدي العلويين[٣].

ومما زاد الدعوة العباسية قوة وانتشارا أن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ /٧١٧- ٧١٩م) أظهر تعاطفا وتسامحا وإكراما تجاه الهاشميين ورد إليهم مظالهم وأعاد لهم حقوقهم وأعطياتهم، وامتنع عن سب على بن أبي طالب علي المنابر كما كان متبعا من قبل، وقيل إنه أراد أن يجعل الخلافة فيهم[٤]، ويبالغ البعض بالقول أن بعض الهاشميين أمروا المستهل بن الكميت الأسدي الشاعر المعروف آنذاك بالطواف في مدن الشام والدعوة لبني هاشم بالشعر والخطابة، فصعد علي منابر الشام ودعا لهم وذكر مناقبهمن وحرض الناس علي مناهضة الأمويين وأظهر مثالبهم[٥].

وتزامن إنتشار الدعوة العباسية مع عودة الشيعة إلي الكفاح الثوري المسلح ضد الأمويين من جديد وبشكل أكثر قوة وجدية، فقد شهدت العقود

---

(١) اليعقوبي : تاريخه ، جـ٢، ص٢٩٧.

(٢) ابن قتيبة الدينوري : الإمامة والسياسة ، تحقيق / طـة الزيني، القاهرة سنة ١٩٦٧م، ص١٥٩. المسعودي : التنبيه والإشراف، ص٢٩.

(٣) انظر: النوبختي : فرقة الشيعة ، ص٤٥. ابن عمراني : الأنباء في تاريخ الحلفاء، إيران، مشهد سنة ١٣٦٣هـ ، ١٧، ١٨.

(٤) انظر: يحي بن آدم القرشي: الخراج، شرح وتصحيح/ أحمد محمد شاكر، دار التراث، القاهرة الطبعة الثانية ص٣٧. البلخي.

(٥) انظر : الكلبي: جمهرة النسب، تحقيق / ناجي حسن ، بيروت الطبعة الأولي سنة ١٩٨٦م، ص١٨١. شهاب الدين الحموي .

الثلاثة الأولي من القرن الثاني الهجري (١٠٠ -١٣٠هـ/٧١٨- ٧٤٧م) ثورات شيعية عنيفة قادها زيد بن علي بن الحسين وابنه يحيي، وعبد الله بن معاوية الجعفري[١]، وقد شغلت تلك الثورات بال الخلفاء الأمويين. واستنفذت كثيرا من جهودهم، ومن ثم صرفتهم عن مواجهة الدعوة العباسية مما دعم الدعوة العباسية وأفسح لها المجال في الشيوع والإنتشار.

وقد أسس الإمام زيد بن علي فرقته المعروفة باسمه" الزيدية"[٢]. والتي حملت أفكارا سياسية واتخذت طابعا عسكريا منذ نشأتها، فكان الكفاح الثوري المسلح ضد نظام الحكم القائم من أهم مبادئها وأهدافها وهو واجب مقدس في نظر اتباعها[٣].

وكان زيد بن علي مقيما بالكوفة وقت عزمه علي الثورة ضد الأمويين، فخشي والي الكوفة يوسف بن عمر الثقفي من خطره وقرر إبعاده عنها[٤]. غير أن أهل الكوفة التفوا حوله وتمسكوا به وقالوا له: "إنا لنرجو أن تكون أنت المنصور، وأن يكون هذا الزمان الذي يهلك فيه بنو أمية .. أين تذهب عنا ومعك مائة ألف رجل – أو مائة ألف سيف – من أهل الكوفة والبصرة وخراسان يضربون دونك بأسيافهم غدا وليس قبلنا من أهل الشام إلا عدة قليلة"[٥]. واستجاب زيد لرغبة مؤيدية فاستقر بالكوفة، وتوافد عليه الشيعة من كل مكان فبلغ عددهم أربعين آلفا[٦].

---

(١) عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.
(٢) عن الزيدية وتعاليمها انظر النوبختي: فرق الشيعة، ص٧٣:٧١. البغدادي : الفرق بين الفرق، ص٤١: ٤٥.
(٣) النوبختي: المصدر السابق ، ٣١. البغدادي : المصدر السابق، ٤١.
(٤) اليعقوبي : تاريخه، جـ٢، ٣٢٥، ٣٢٦.
(٥)الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة. سنة ١٩٦٥م، جـ ٧، ص١٦٢، ابن الأثير: الكامل ، جـ٤ ، ص٤٦.
(٦) الطبري : المصدر السابق، جـ٧، ص١٦٧ ، ١٦٨.

وقبل الخوض في غمار الثورة الزيدية يهمنا أن نبين موقف العباسيين منها وعلاقتهم بالشيعة آنذاك، ومدي التشابه أو الإختلاف بين أهداف وتعاليم كل من الثورة الشيعية والدعوة العباسية، فقد وضع زيد لحركته ثلاثة مبادئ: أولها: أن الإمامه لابد أن تنحصر في العلويين من أبناء فاطمة الزهراء، وثانيها: وجوب طاعة كل فاطمي يطلب الإمامة سواء من بني الحسن أو الحسين، وثالثهما: جواز خروج إمامين في قطرين يشتركان في نفس الشروط فتكون طاعتهما واجبة(١).

وقد فتح الشرط الأخير ثغرة تنفذ منها الدعوة العباسية، فقد كان العباسيون علي درجة عالية من الذكاء والحكمة حين جعلوا شعار دعوتهم البيعة للرضا من آل محمد ﷺ ويمكن وصف مبادئ الشيعة الزيدية بالتوسط والإعتدال ويمكن القول بأنها أقرب إلي مبادئ السنة منها إلي مبادئ الشيعة"(٢).

ويبدوا هذا الاعتدال واضحا في شروط البيعة التي آعلنها زيد لأصحابه حيث قال لهم :" إنا ندعوكم إلي كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وجهاد الظالمين، والدفاع عن المستضعفين وإعطاء المحرومين، وقسم هذا الفئ بين أهله سواء، ورد المظالم، وإقفال المجمر ونصرنا أهل البيت علي من نصب لنا وجهل حقنا"(٣).

وكان أحد زعماء العباسيين مرافقا لزيد بن علي آنذاك وهو داود بن علي بن عبد الله بن العباس، وهنا نجد أن الطموحات السياسية تتصادم بين الشيعة وبين العباسيين، فقد أظهر داود العباسي خوفه علي زيد بن علي من عواقب الثورة وخشيته من فشلها ونصحه بعدم الإقدام عليها، وهو في الحقيقة

---

(١) الشهرستاني: الملل والنحل، جـ١ ، ص٣٤٩. البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٢٥.

(٢) Gibb and Kramers: Shorter, Encyclop Opaediaof Islam, 10 nd on 1953, p.535.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ٧ ص٢٦٧.

يريد أن تكون الدعوة وزعامة الثورة بيد أحد بني العباس كي تـؤول الخلافـة إليهم، غير أن الشيعة فطنوا لذلك ودعوا زيد إلي مواصلة الثورة وأعلنوا ولائهم وتأييدهم المطلق له ونصحوه بعدم الإذعان لرأي داود العباسي وقالوا لـه:" إن هذا لا يرد أن تظهر أنت ويزعم إنه وأهل بيته أحق بهذا الأمر منكم"[١]. عندئذ اعتزل داود العباسي العمل السياسي مع زيد وكر عائدا إلي المدينـة المنـورة وبقي زيد في شيعته بالكوفة، وجهز زيد جيشا والتقي بالجيش الأموي في محلة بالكوفة تعرف بالكناسة[٢]، وانتهت المعركة بهزيمة الشيعة ومقتل زعيمهم زيد وكان ذلك في صفر سنة١٢٢هـ/٧٣٩م[٣].

وعلي الرغم من فشل ثورة الزيدية ومقتل زعيمها، فقـد كـان لتلـك الأحداث أثر كبير في نجاح الدعوة العباسية بخراسـان، فقـد أعلـن الـشيعة بخراسان نقمتهم وسخطهم علي الأمويين لما ارتكبوه مـن مـذابح فـي حـق العلويين، وكثر إتباع الدعوة الهاشمية ومؤيديها وفشت وانتشرت فـي معظـم أنحاء خراسان[٤].

وواصل يحي بن زيد الثورة المسلحة ضد الأمويين بعد مقتل أبيه، وقد أعد جيشا لقتال الوالي الأموي عمر بن زرارة القسري في نيسابور إحدي مدن خراسان[٥]، وألحق به هزيمة ساحقة وقتله واستولي علي مخلفات جيشه وذلـك في سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م[٦]. ثم زحف صوب الجوزجان[٧]، فالتقي هناك بالجيش

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ٧ ص١٦٨.
(٢) الطبري: المصدر السابق ، جـ٧، ص١٨٥، ١٨٦. ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص٤٥٤.
(٣) ياقوت : معجم البلدان، جـ٤ ، ص٤٨١.
(٤) انظر : اليعقوبي: تاريخه ، جـ٢، ٣٢٦.
(٥) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٤٧٣.
(٦) الطبري تاريخ الرسل والملوك، جـ٧ ص٣٢٩. ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص٤٧٢.
(٧) الجوزجان : ناحية من نواحي مدينة بلخ التابعة لخراسان. ياقوت : معجم البلدان، جـ١، ص٤٧٩، جـ٢، ص١٨٢.

الأموي بقيادة سالم بم أحوز التميمي فهزم يحيي وقتل في تلك المعركة[١]. وكان لهزيمة الزيدية ومقتل يحيي وقع عظيم في نفوس أهل خراسان فقد حزنوا عليه كما حزنوا علي أبيه من قبل، ونصبوا له جنازة لمدة سبعة أيام، وسموا كل مولود لهم باسمه أو اسم أبيه تعظيما لهما وتخليدا لذكراهما[٢]. واغتنموا فرصة الدعوة العباسية فانضموا إليها وعزموا علي الثأر والانتقام من بني أمية.

وفي سنة١٢٨هـ/٧٤٥م، قاد عبد الله بن معاوية بن عبد الملك بن جعفر ابن أبي طالب ثورة عسكرية جديدة ضد الأمويين واتخذ من مدينة أصبهان[٣]. مقرا لدعوته ومركزا لنشاطه الثوري، وأعلن شعار ثورته الدعو إلي الرضا من آل محمد وهو نفس الشعار الذي دعا به العباسيون[٤]، وبعث ابن معاوية الطالبي إلي الهاشميين من علويين وعباسيين إلي الإنضمام لثورته ومشاركته في إدارة البلاد التي يستولي عليها، فلحق به عدد كبير من الهاشميين، وقدم إليه من العباسيين أبي جعفر المنصور فولاه علي إحدي الكور بخراسان وفوض إليه جباية أموالها[٥].

واتسع نطاق دعوة ابن معاوية الطالبي فشملت معظم بلاد العراق والمشرق، وبسط سيطرته ومد نفوذه علي تلك البلاد، عندئذ شعر العباسيون بخطورته علي دعوتهم، وخاصة بعد ما غير شعاره ودعا إلي نفسه[٦]، لذلك نجد أن العباسيين يتحفظون علي تأييده ومساندته، ثم يقوم أحد قادتهم وهو أبو

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، جـ٧ ص٢٢٨ : ٢٣٠. ابن الأثير: الكامل، جـ٤. ص٤٢٧.
(٢) المسعودي: مروج الذهب، جـ٢، ٢٢٥.
(٣) أصبهان: مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها، وهي إحدي مدن بلاد الجبل بفارس : ياقوت : معجم البلدان ، جـ١، ص٢٠٦.
(٤) انظر: الأصفاني: مقاتل الطالبين ، القاهرة سنة ١٩٤٩م، ص١٦٧.
(٥) المصدر السابق ، نفس الصفحة.
(٦) انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ٧، ص٣٧١. ابن الأثير: الكامل ، جـ٤ ، ص ٣٧.

مسلم الخراساني بالقبض عليه وسجنه والتخلص منه وذلك سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م[١].

والجدير بالذكر أن ابن معاوية جعفريا وليس علويا، لذلك فقد حرص علي إضفاء صفة شرعية لثورته، فإدعي أن أبا هاشم بن محمد بن الحنفية أوصي له بالإمامة قبل وفاته، كما أدعي هو واتباعه إنه المهدي المنتظر الذي بشربه النبي ﷺ[٢].

من جهة أخري، فقد تبين من أحداث الثورة أن معظم جندها كانوا من العرب اليمنية والمضرية، فيذكر الطبرى[٣] ان ابن معاوية "جعل اليمن في الميمنة ومضر وربيعة في الميسرة" ممل يدل دلالة واضحة على دور العرب في الدعوة العباسية.

وعلى الرغم من فشل الثورات الشيعية فمن الواضح أنها آثرت بشكل مباشر فى ضعف الدولة الأموية وانهيارها وأسهمت بدور كبير في سقوطها، وفى مقابل ذلك كان كفاح الشيعة أحد العوامل الأساسية في نجاح الدعوة العباسية وقيام الدولة .

ثانيا- ثورات الخوارج :

تزامن ظهور الخوارج على مسرح الأحداث مع ظهور الشيعة على إثر الصراع بين على ومعاوية، ففى أعقاب موقعة صفين تحالف الشيعة مع على وصاروا أنصاره ومؤيديه، وانشق الخوارج عنه وقاتلوه في معركة النهروان[٤]

---

(١) ابن حبيب : أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام، جـ٢،١٨٩. ابن الأثير: المصدر السابق، جـ٤.

(٢) النويختي والقمي : فرق الشيعة، ص٤٥، ٤٦.

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك، جـ ٧، ٣٠٦.

(٤) النهروان: ناحية من نواحة بغداد، بينها وبين بغداد أربع فراسخ. (ابن خرداذبة، المسالك والممالك ، ص١٨، ٩٧) .

سنة ٣٨ هـ/ ٦٥٨م، ولقى حتفه على يد أحدهم وهو عبد الرحمن بن ملجم المرادى وذلك في رمضان سنة ٤٠ هـ/٦٦٠م[١] كما أشرنا من قبل.

وإذا دققنا النظر في عداء الخوارج للخليفة على نجد أن موقفهم تجاه معاوية يمثل موقفا عدائيا أيضا. فقد طالبوا على بقتال معاوية والتمسك بحقه في الخلافة، فلما رفض على العودة إلى القتال والتزم بالهدنة والتحكيم انقلبوا عليه وقاتلوه وقتلوه، ثم أسسوا فرقتهم المناهضة للخلافة الأموية[٢].

وبدأ الخوارج نشاطهم الثورى ضد الأمويين منذ بداية حكمهم، وذلك من منطلق الأفكار والمبادئ التى كانوا يؤمنون بها، ومن أهمها إعادة الخلافة إلى نظام الشورى والاختيار الحربين المسلمين، وضرورة الخروج الثورى ضد الحاكم الجائر، وغير ذلك من المبررات التى أعلنوها لمعارضة أنظمة الحكم المختلفة.

وقد ظهرت بعض القيادات الثورية المعارضة لخلافة معاوية وحاولوا التخلص منه، غير أن محاولاتهم باءت بالفشل وأمر معاوية جنده بقتالهم فقاتلوهم بالكوفة وانتصروا عليهم[٣] وإن لم يقضوا عليهم تماما.

وفى جمادى الآخرة سنة ٤٢هـ/ ٦٦٢م، ظهر بالكوفة جماعة ثورية من الخوارج عدتها أربعمائة رجل يتزعمهم المستورد بن غلفة التيمى[٤]، واتفقت على إعلان الثورة في شعبان سنة ٤٣ هـ/ ٦٦٣م وبايعوا لزعيمهم

---

(١) شهاب الدين الحموى : التاريخ المظفرى، ص١٨٠ ، ١٧٩.
(٢) عن نشأة الخوارج ومبادئهم. انظر : البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٧٢، ٧٤ .
(٣) ومن هؤلاء الزعماء الذين حاولوا قتل معاوية بالكوفة: فروة بن نوفل الأشجعى وحوثرة بن وداع الأسدى، وشبيب بن بجرة الأشجعى، ومعين بن عبد الله المحاربى .
- انظر البغدادى : الفرق بين الفرق، ص٧٨. ابن الأثير: الكامل جـ٣، ص٢٧٥.
(٤) من تيم الرباب التميمية المضرية. الكلبى : جمهرة النسب، ص٢١٦.

بإمرة المؤمنين[١]. فجرد لهم المغيرة بن شعبة الثقفى جيشا كبيراً بقيادة معقل ابن قيس الرياحى[٢] فأوقع بهم هزيمة ساحقة وقتل معظمهم، ثم تبارز القائدان فقتل كل منهما الآخر[٣] .

وتوالت ثورات الخوارج ضد الأمويين طوال خلافة معاوية، وانتشرت في كثير من الأقاليم، غير أنها لم تكن تشكل خطراً كبيراً على الدولة، حيث أنها لم تزل في طور البحث عن القوة والتماسك، وقد تصدى لثورات الخوارج ولاة الأقاليم وتمكنوا من القضاء عليها.

وتعد فرقة الخوارج الأزارقة[٤] من أخطر فرق الخوارج[٥] وأكثرها عدداً وأشدها عداء للأمويين، وقد أعلن زعيمهم نافع ثورته بالبصرة، ثم زحف نحو الأقاليم المجاورة فاستولى على الأهواز وفارس وكرمان، وجمع الخراج ولقب بأمير المؤمنين[٦]، ثم قتل نافع بالأهواز في جمادى الآخرة سنة ٦٥هـ/ ٦٨٥ م فخلفه على الزعامة قطرى بن الفجاءة المازنى التميمى[٧].

وكلف الخليفة عبد الملك بن مروان القائد المحنك المهلب بن أبى صفرة الأزدى[٨] لقتال الأزارقة، فتمكن من هزيمتهم وتشتيت شملهم، وحرر العراق والمشرق من سيطرتهم، وأنقذ الدولة الأموية من خطرهم[٩].

---

(١) البغدادى: المصدر السابق، نفس الصفحة . ابن الأثير: المصدر السابق ، جـ٣ ص٢٨٤، ٢٨٧.

(٢) الرياحى : من بنى رياح التميمية المضرية . الكلبى : جمهرة النسب ، ص ٢١٦.

(٣) ابن الأثير: اللكامل، ج٣ ص٢٨٨، ٢٩٥.

(٤) الأزارقة : نسبة إلى زعيمهم ومؤسس فرقتهم نافع بن الأزرق الحنظلى التميمى والصفرية، العجاردة، وتفرعت من تلك الفرق عشرين فرقة فرعية. البغدادى : المصدر السابق، ص ٣٥، ٣٧، ٧٢.

(٥) افترق الخوارج إلى خمس فرق رئيسية وهى : المحكمة ، الأزارقة ، النجدات، والصفرية، العجاردة، وتفرعت من تلك الفرق عشرين فرقة فرعية. البغدادى : المصدر السابق ، ص٣٥، ٣٧، ٧٢.

(٦) البغدادى : المصدر السابق، ٨٠، ابن أير: المصدر السابق، ج٣، ص٤٩٢.

(٧) البلخى : البدء والتاريخ، جـ٦، ص٣٢. ابن الأثير : المصدر السابق، جـ٤، ص٧٨.

(٨) انظر : العوتبى : الأنساب، عمان ، الطبعة الثانية سنة١٩٩٠م، جـ٢، ص١٢٨ ،١٢٩.

(٩) البلخى : البدء والتاريخ، جـ٦، ٣٢ ، ٣٣.

أما الخوارج الصفرية[١]، فقد اتخذوا بلاد الموصل والجزيرة الفراتية مسرحا لنشاطهم الثورى، ثم مدوا نفوذهم صوب العراق، وكان شبيب بن يزيد الشيبانى من أشد زعمائهم بطشاً وأكثرهم خطراً[٢]، فقيل إنه هزم جيوش الحجاج بن يوسف الثقفى عشرين مرة خلال سنتين، واستنجد الحجاج بالخليفة عبد الملك بن مروان فأمده بجيش كبير من اهل الشام، فتمكن من هزيمة الصفرية وفر زعيمهم شبيب هاربا صوب المشرق[٣]. ثم بعث الحجاج جيشاً آخر لتعقب فلول الصفرية، فلحق بهم عند الأهواز، وقضى عليهم وغرق زعيمهم شبيب في نهر دجيل[٤] أثناء محاولة الهرب وذلك سنة ٧٧هـ/ ٦٩٦م[٥]. ومنذ ذلك الوقت خمدت ثورات الخوارج وفتر نشاطهم حتى نهاية القرن الأول الهجرى "السابع الميلادى"، ويرجع الفضل في ذلك إلى المهلب بن أبى صفره فقد قيل أنه لولا المهلب لقضى الخوارج على الدولة الأموية[٦].

والجدير بالذكر أن فرق الخوارج كانت من صميم العرب، ومن مختلف القبائل العربية وكان لأصلهم العربى البدوى أثر كبير في شدة بأسهم وطول صبرهم في الحروب، وقد أعترف بذلك المهلب حين قال لأحد قادته:" يا ابن أخى لا يهونوا عليك فإنهم سباع العرب"[٧].

---

(١) الصفرية : نسبة إلى زعمهم صالح بن مسرح ، وقيل إنه كان أصفر الوجه من كثرة العبادة . البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٨٤ ، ٨٥.
(٢) انظر : الكلبى: جمهرة النسب، ص٥١٢.
(٣) البغدادى : المصدر السابق، ص١٠٢، ابن الأثير : الكامل، جـ٤، ١٧٣ ، ١٧٥.
(٤) نهر دجيل: نهر عظيم بالأهواز ينبع من أصبهان . ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص١٧٦ .
(٥) ابن الأثير: الكامل ، جـ٤. ص ١٧٧ ، ١٧٨. ،
(٦) ابن أعثم : الفتوح، تحقيق/ نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م ، ج٧، ص٣٣، ابن الأثير.: الكامل ، جـ٤، ص١١٨.
(٧) ابن أعثم: المصدر السابق، جـ٧، ٦٢. ابن الأثير : المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

ومع بداية القرن الثاني الهجرى (الثامن الميلادى) جدد الخوارج نشاطهم الثورى بشكل أقوى وأعنف مما كانوا عليه في القرن الأول، وتحالفوا مع قوى المعارضة الأخرى ضد الأمويين وأسهموا بشكل مباشر في إسقاط دولتهم وقيام الدولة العباسية على انقاضها.

ففى سنة ١٠١هـ/ ٧٢٠م ، قاد بسطام بن قيس اليشكرى[١] المعروف بشوذب حركة معارضة ثورية بالكوفة، وهزم الجيش الأموى في عدة مواقع، ثم تمكن امير الكوفة مسلمة بن عبد الملك من هزيمته وقتله[٢].

ثم أعلن الخوارج ثورة أخرى بالموصل سنة ١١٩ هـ/ ٧٣٧م بزعامة بهلول بن بشر الموصلى الشيبانى، وتمكن من الاستيلاء على الموصل وقتل عاملها عابد الشيبانى آنذاك[٣]، ثم زحف الخوارج صوب الشام طمعاً في الاستيلاء عليها، غير أن جيش الأمويين تصدى لهم ، ودارت بين الطرفين معركة فاصلة على الحدود بين الموصل والجزيرة، وانتهى الأمر بهزيمة الخوارج ومقتل زعيمهم بهلول في تلك المعركة[٤].

وفي رجب سنة ١٢٨هـ /٧٤٦م ، تزعم الضحاك بن قيس الشيباني قيادة الثورة بالجزيرة الفراتية ،وتمكن من الاستيلاء عليها وعلي الموصل ودخل قصر الخلافة بالعاصمة حران[٥] آنذاك وجلس علي عرش الخليفة مروان بن

---

(١) اليشكرى : من بنى يشكر. وهم بطن من بكر بن وائل الربعية المضرية. الكلبى: جمهرة النسب، ص٥٠٦.
(٢) ابن الأثير: الكامل ، جـ٤، ص٣٣٢ ، ٣٣٣.
(٣) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـ٧، ص ١٣٠، ١٣١.
(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، جـ٧،ص١٣٣. ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتب العلمية، بيروت Kالطبعة الأولي، سنة١٩٩٢م، جـ٣ ص٢٠٠.
(٥) حران: مدينة عظيمة مشهورة، وهي قصبة ديار مضر في تقاطع الطرق بين الموصل والشام وبلاد الروم، وكان الخليفة مروان بن محمد قد نقل العاصمة من دمشق إليها. (انظر ياقوت: معجم البلدان، جـ٢ ص٢٣٥. الأزدي: تاريخ الموصل، تحقيق/ علي حبيبة، القاهرة، ١٩٦٧م، ص٦٩).

محمد الأموي[١] . ثم زحف بجيشة صوب العراق فبسط سيطرته الكاملة على العراق بأسره، وعين عليها الولاه والعمال من قبله "ولم يغلب أحدا من الخوارج قبله ولا بعده عليها"[٢].

عندئذ أعد الخليفة مروان جيشاً عظيماً تولى قيادتـه بنفسه، والتقـى الجيشان في موقعة كفرتوثا[٣]، وهزم الخوارج وقتل زعيمهم الضحاك ومعظم جنده وذلك في ذي الحجة سنة ١٢٨ هـ/٧٤٦م[٤].

وبعد مقتل الضحاك تولى القيادة سعيد بن بهدل الخيبرى[٥]، وتمكـن هو الآخر من دخول قصر الخلافة والجلوس على عرش الخليفة، غير أن جند الخليفة أحاطوا به وقتلوه، فآلت القيادة من بعده إلى شيبان بـن عبـد العزيـز اليشكرى[٦] . فانسحب اليشكرى من الجزيرة واتجه صوب الموصل وعسكر بها قرابة تسعة أشهر حتى بعث الخليفة مروان إليه جيشاً كبيراً تمكن من طرده منها فاتجه شيبان بجيشه نحو المشرق فبلغ خراسان وانضم إلى صفوف الثورة العباسية المعلنة هناك[٧].

ثالثا - ثورات القبائل العربية:

ظهرت إلى جانب الثورات المذهبية ثورات عربية ذات طـابع آخـر ونعنى به طابع العصبية القبلية بين اليمنية والمضرية، وطابع العصبية الإقليمية

---

(١) اليعقوبي: تاريخه، جـ٢، ص٣٣٩،٣٣٨.
(٢) المسعودي: التنبيه والإشراف، ص٢٨٢. وإنظر الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص٣٢٨، ٣٤٥.
(٣) كفرتوثا: قرية كبيرة من قرى ديار ربيعة بالجزيرة الفراتية بين دارا ورأس العين. ياقوت: معجم البلدان، جـ٤، ص ٤٦٨.
(٤) ابن خياط: تاريخه، جـ٢، ص٣٩٩ ، ٤٠٠. الطبرى: تاريخ الرسل ووالملوك، جـ٧، ص٣٤٧.
(٥) الخيبرى الأسدى الربعى المضرى. ابن الخياط: المصدر السابق، جـ٢، ص ٣٩٠.
(٦) ابن خياط: تاريخه، جـ٢، ص٤٠٠. الطبرى : تاريخ الرسل والملوك، جـ٧ ص ٣٤٧، ابن الاثير: الكامل، جـ٥،ص٢٢، ٢٣.
(٧) انظر: اليعقوبى : تاريخه ، جـ٢ ص٣٣٩، الطبرى: المصدر السابق، جـ٧ ص٣٥٢.

بين أهل الحجاز والعراق من جهة وأهل الشام من جهة أخرى. والواقع أن الثورات القبلية والإقليمية ضد الخلافة الأموية مختلطة ومتشابكة الأحداث بحيث لا نستطيع الفصل بينها ولذلك سوف نتناول أحداثها وفقا لتسلسلها الزمني .

وترجع أحداث الصراع القبلى والإقليمى إلى الصراع بين على ومعاوية، فمن الناحية القبلية نجد أن على بن أبى طالب يمثل البيت الهاشمى من قريش، أما معاوية فيمثل البيت الأموى، ومن الناحية الإقليمية نجد أن أهل العراق والحجاز يساندون على ويؤيدونه أملا في بقاء مقر الخلافة في بلادهم ، بينما نجد أن أهل الشام يساندون معاوية أملا في نقل عاصمة الخلافة إلى بلادهم. هذا بالإضافة إلى التأثيرات المذهبية والسياسية للصراع.

والجدير بالذكر أن معاوية اتخذ العصبية اليمنية وبخاصة الكلبية عصبية قوية له ببلاد الشام. أما القيسية المضرية فكانوا يمثلون العصبية المناهضة له[١] إلا أنه لم تظهر خلال خلافة معاوية (٤٠-٦٠هـ/ ٦٦٠-٦٧٩م) أية ثورات قبلية أو إقليمية ذات شأن يذكر، نظرا لقوة العصبية الكلبية من جهة ولقوة معاوية وسيطرته على الأمور من جهة أخرى[٢].

وكان عبد الله بن الزبير أحد زعماء المعارضة ضد الخلافة الأموية منذ أن تولى يزيد بن معاوية بعد وفاة أبيه[٣]، غير ان ابن الزبير لم يعلن معارضته الثورية إلا بعد مقتل الحسين بن على بكربلاء في المحرم سنة ٦١ هـ/٦٨٠م ، احتراما له واعترافا بأحقيته في الإمامة والخلافة دون غيره[٤]،

---

(١) انظر : يوسف العش : الدولة الأموية، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٥م ، ص١٨٥. جمال الدين سرور: الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثانى بعد الهجرة، دار الفكرة العربي، القاهرة ، ص٧٧، ٨٠.

(٢) انظر : السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٣٣.

(٣) توفى معاوية في منتصف رجب سنة ٦٠هـ وبويع ابنه يزيد خلفا له . ابن حزم : موجز تاريخ الإسلام ص٢١، ٢٠.

(٤) انظر : ابن الأثير : لكامل ، جـ٣، ص٣٨١، ابن خلدون: العبر، جـ٣ ص٢٩.

فلما قتل الحسين دعا ابن الزبير لنفسه بمكة فلقى تأييدا كبيرا بها، ثم كاتب أهل المدينة يدعوهم إلى نبذ خلافة يزيد وطرد أهله وعماله منها ففعلوا، ونال ابن الزبير تأييد أهل الحجاز بالإجماع عقب وفاة يزيد في ربيع الأول سنة ٦٤ هـ/ ٦٨٣ م، ولقب بأمير المؤمنين(١).

والجدير بالذكر أن ابن الزبير كان يمثل العصبية القبلية القيسية من جهة والعصبية الإقليمية للعراق والحجاز من جهة أخرى، بينما كان الخليفة مروان بن الحكم(٢) يمثل العصبية الكلبية اليمنية من جهة والعصبية الإقليمية لبلاد الشام من جهة أخرى(٣). ولم يقتصر تعصب القيسية لابن الزبير على العراق والحجاز فحسب بل تعصبوا له في بلاد الشام ذاتها، وتزعم قيادتهم الضحاك بن قيس الفهرى أمير دمشق آنذاك، واصطدم مع الأمويين في معركة حامية الوطيس بمرج راهط(٤) في المحرم سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م، غير ان مروان ابن الحكم تمكن من هزيمته، وكانت تلك الهزيمة سبب رد ملك بنى أمية وكان قد زال عنهم إلى بنى أسد بن عبد العزي(٥).

ويذكر ابن حزم(٦) أن عبد الله بن الزبير :" بويع له بمكة سنة أربع وستين، بعد ثلاثة أشهر منها، وأجمع عليه المسلمون كلهم من أفريقية إلى خراسان حاشا ابن الأعرابية(٧) بالأردن، فوجه إليهم رسوله مروان بن الحكم

---

(١) اليعقوبي : تاريخه ، جـ٢ ص٢٥٠، ٢٥٠٠ . السيوطي : تاريخ الخلفاء، ص٢٤٩.
(٢) تولى مروان بن الحكم الخلافة بعد يزيد بن معاوية لمدة عشرة أشهر ومات في رمضان سنة ٦٥ هـ (ابن حزم: موجز تاريخ الإسلام، ص٢٥).
(٣) يوسف العش: الدولة الأموية ، ص١٨٦.
(٤) مرج راهط: من نواحي دمشق : ياقوت: معجم البلدان، جـ٥، ص١٠١.
(٥) المسعودي: التنبيه والإشراف، ص٢٦٧.
(٦) موجز تاريخ الإسلام ص٢٤.
(٧) ابن الأعرابية: حسان بن مالك بن بجدل الكلبي الأعرابي. المصدر السابق، نفس الصفحة.

ليأخذ بيعتهم بعد أن بايعه مروان بن الحكم(١)، فلما ورد عليهم خلع الطاعة، وهو أول من شق عصا المسلمين بلا تأويل ولا شبهة، وبايعه أهل الأردن".

ويعترف معظم المؤرخين بصحة خلافة ابن الزبير وشرعيتها، حيث يعتقدون أن الخلافة لا تصح إلا لمن ملك الحرمين الشريفين، ويرون أن خلافة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/ ٦٨٤- ٧٠٥م) لا تصح إلا بعد مقتل ابن الزبير في جمادى الآخره سنة ٧٣ هـ/ ٦٩٣م(٢). وقد سيطر ابن الزبير على الحجاز والعراق والمشرق واتخذ مكة عاصمة له(٣).

وبمقتل ابن الزبير انفرد الأمويين بزعامة العالم الإسلامى، وحرص الخليفة عبد الملك على إحكام قبضته على قوى المعارضة القبلية والإقليمية، فعين الحجاج بن يوسف الثقفى المعروف بالبطش والجبروت على ولاية العراق(٧٥-٩٥هـ/ ٦٩٤-٧١٤م) ، فتمكن الحجاج من إحباط العديد من الثورات المعارضة للخلافة الأموية بالعراق(٤).

وفى إمارة الحجاج اختلفت التوجهات القبلية عما كانت عليه من قبل، ونعنى بذلك تحول العرب اليمنية وخاصة بالعراق من تعصبهم للأمويين إلى مناهضتهم والتمرد عليهم، ويرجع السبب في ذلك إلى تغير التوجهات الأموية من قبل الخلفاء وأمرائهم نحو التعصب للقيسية ضد اليمنية، وتجلى ذلك في الصراع الدامى بين الحجاج القيسى العصبية وبين عبد الرحمن بن محمد بن

---

(١) من الواضح أن مروان بايع لابن الزبير خوفا من بطشه وقت أن كان مقيما بمكة.

(٢) اليعقوبى: تاريخه ، جـ٢، ص٢٦٩. ابن الأثير: الكامل: جـ٤، ص١٢١: ١٢٩. السيوطى تاريخ الخلفاء، ص٢٥٣.

(٣) ابن خلدون: العبر، جـ٣، ص٤٣،احمد الشريف: دور الحجاز في الحياة لسياسية العامة في القرنين الأول والثانى للهجرة، دار الفكر العربى ، القاهرة سنة ١٩٧٧،ص ٤٣٨، ٤٣٩.

(٤) انظر اليعقوبى : المصدر السابق جـ٢، ٢٧١، ابن الأثير: المصدر السابق، جـ٤، ص١٣٨ : ١٤٦. شهاب الدين الحموى: التاريخ المظفرى ص٢٣٩: ٢٤١.

الأشعث الكندى اليمنى[١]، وتبلور ذلك الصراع في معركة دير الجماجم[٢]، في شعبان سنة ٨٣ هـ/ سنة٧٠٢م. والتى هزت أركان الخلافة الأموية وكادت أن تقضي عليها، غير أن الحجاج تمكن من تحقيق النصر بعد جهد جهيد ، وفر ابن الأشعث هارباً إلى سجستان[٣] فمات بها[٤].

وثمة ثورة يمنية أخرى ضد الخلافة الأموية شبيهة بثورة ابن الأشعث في خطورتها. وهى التى تولى زعامتها يزيد بن المهلب بن أبى صفرة الأزدى بالعراق، والتى بلغت ذروتها في معركة عقر بابل[٥] الشهيرة سنة ١٠٢هـ/ ٧٢٠م وانتهت بانتصار الجيش الأموى بقيادة مسلمة بن عبد الملك، وهزيمة يزيد ابن المهلب ومقتله[٦].

وعلى أية حال فقد فقد الأمويين سنداً قوياً وركناً أساسياً لهم بعدائهم للعرب اليمنية، فقد بدأ اليمنية يناصبونهم العداء ويتجهون نحو مساندة الحركات الثورية المختلفة ضدهم، وأصبحوا من أهم العناصر المؤيدة للدعوة العباسية ومن اهم الدعاة والقادة والجند في صفوف العباسيين. كما يتبين فيما بعد.

---

(١) انظر: ابن حزم : جمهرة أنساب العرب، تحقيق/ عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة سنة١٩٦٢م، جـ٢ ، ٤٢٥.

(٢) دير الجماجم: بظاهر الكوفة على بعد سبعة فراسخ منها، ياقوت، معجم البلدان، جـ٢، ص٥٠٣.

(٣) سجستان: ناحية كبيرة وولاية واسعة بخراسان. ياقوت: المصدر السابق ، جـ٣، ص ١٩٠.

(٤) انظر التفاصيل في : ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص٢١٠،٢٠٣، ٢٢٦ .

(٥) عقر بابل : قرب كلابلاء من ناحية الكوفة. ياقوت: المصدر السابق، جـ٤ ص١٣٧.

(٦) المسعودى : التنبيه والإشراف، ص٢٧٧،٢٧٨ ، ابن الأثير: المصدر السابق،جـ٤، ص ٣٣٩: ٣٤٤.

الفصل الثاني

دور العرب فى نشر الدعوة لبنى العباس

أولاً : الدعاة من العرب .

ثانياً : دور أبى مسلم الخراسانى فى الدعوة .

أولا - الدعاة من العرب:

رغم ما يقال من أن الدعوة العباسية قد بدأت على أيدى محمد بن على الذى وجه الدعاة في الآفاق[1]، إلا انه خص الدعاة بالتوجه إلى الكوفة وخراسان[2]. وكان اختيار محمد بن على للكوفة لتكون قاعدة لنشر دعوته لأنها معقل الشيعة والناقمين على الدولة الأموية وما يجرى فيها من صراع بين القيسية واليمنية[3]، ولكن التركيز الأساسى للدعوة العباسية كان في خراسان. فالرواية المنسوبة إلى محمد بن على توضح أسباب اختياره لخراسان لتكون مركزا لدعوته فينسب إليه أنه قال لدعاته:" أما الكوفة وسوادها فشيعة على وولده، وأما البصرة وسوادها فعثمانية تدين بالكف. وأما الجزيرة فحرورية مارقة.. وأما أهل الشام فلا يعرفون إلا آل أبى سفيان وطاعة بنى مروان.. وأما مكة والمدينة فقد غلب عليها أبو بكر وعمر، ولكن عليكم باهل خراسان. فهناك العدد الكثير والجلد الظاهر، فإن هناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم تتقسمها الأهواء. وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل وهامات ولحى وشوارب"[4].

ولعل اختيار محمد بن على لخراسان مركزا لدعوته هو الذى حدا بالكثيرين إلى نسب الدعوة والدولة العباسية إلى خراسان وأهلها. ولكن هل كانت خراسان في ذلك الوقت خالية من العرب؟ وما المقصود بالخراسانية وأهل خراسان؟ فخراسان لم تكن فارسية محضة كما يتصور البعض. وإنما كان يسكنها الأتراك والفرس والعرب. أما فارس فهى المنطقة المحصورة بين مكران وكرمان وصحراء لوط والخليج ومنطقة الجبال. وقاعدتها مدينة شيراز،

---

(١) ابن الأثير: الكامل جـ٤، ص٣٢٢.
(٢) المسعودى : التنبيه والإشراف ، ص٢٩٢.
(٣) محمود شاكر، الدولة العباسية، بيروت ١٩٨٧،جـ١، ص٤٦ -٤٧.
(٤) انظر ابن الفقيه، مختصر تاريخ البلدان ، فى ٣٢٥. ابن طباطبا: الفخرى، ص١٢٨.

وهى غير خراسان التى كانت حاضرتها يومذاك مدينة مرو (وهى تـشمل الآن أفغانستان وإيران والتركمان) فكلمة خراسان ليست مقترنة بالفرس(١).

وقد أصبحت خراسان مركز ثقل في عصر الدولة الأموية وثغرا مـن أهم ثغور المسلمين . فقد انتقلت إلى خراسان منذ أيام الفتوح الأولى ، بالهجرة أو بقصد الجهاد بطون عربية كثيرة(٢). انتشروا فيها واندمجوا مع أهل الـبلاد وصاهروهم. فكان معظمهم يتكلمون العربية والفارسية أما أهلها الأصليين فقـد اعتنق الكثيرون منهم الإسلام(٣). ولا يمكن التفريق في النصوص التـى وردت في المصادر عندالإشارة إلى أهل خراسان بين الموالى والعجم من المسلمين أو العرب الأصليين(٤).

وسيظهر ذلك واضحا من النصوص الواردة في الصفحات التالية ومن المحتمل ان هناك بعض الروايات التى لفقت بطريقـة واضـحة لتبـين جلـد الخراسانية وقوتهم. اعتمادا على رواية محمد بن على السابقة عن الجلد الظاهر والقوة الجسدية للخراسانية، منها ما ذكره صاحب تاريخ الموصل أنـه أثنـاء موقعة الزاب بين جيوش العباسيين وجيوش مروان بن محمد " فبـرز إنـسان خراسانى من أصحاب عبد الله بن على . فبـرز مـروان فـضرب مـروان الخراسانى – وكان مكشوف الرأس أصلع – ضربة على رأسه فكانت فى رأسه كخط الشيب. ثم عاود ثانية فضربه. فلم يعمل شيئا، وكان ذلك سبب هزيمته"(٥).

والطريف في الأمر أن الراوي يعزي سبب هزيمة مروان إلـي هـذا الخراساني ورأسة العجيب استنادا إلي هذه الحادثة الخارقة المشكوك في صحتها

---

(١) انظر : محمود شاكر، الدولة العباسية ص٥٠ -٥٠.
(٢) انظر : البلاذرى : فتوح البلدان القاهرة ١٩٥٦، ص٢٩٩. ٤٠٩ .
(٣)عبد المنعم ماجد، العصر العباسى الأول،القاهرة ١٩٨٤م، جـ١، ص٢٩ -٢٠.
(٤) انظر: الجاحظ: البيان، جـ٢، ص٢١٧. الطبرى: تـاريخ الرسل والملوك ج٦ ص٦١٧، ج ٧، ص ٢٦٢ ، ٢٦٧ ، ٣٨٤، أبو زكريا الأزردى : ترايخ الموصل ، ص٤٠٩.
(٥) الأزدي، تاريخ الموصل، ص١٢٩، وإنظر رواية مماثلة للسابقة ص١٢٠.

مما يعطينا مثالا علي ما أشيع حول دور خراسان والخراسانية وانتصار الدعوة العباسية.

ومن أشهر الذين قاموا بأمر الدعوة العباسية وأوردت أسماءهم المصادر المختلفة. "النقباء الإثنا عشر". ويفهم من رواية الطبري أن هؤلاء النقباء هم الذين اختارهم محمد بن علي العباسي من بين السبعين الذين استجابوا له وبعث بهم إلي خرسان في بداية الدعوة وكانوا جميعا من العرب. فيروي اسماءهم علي أن" منهم من خزاعة سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وزياد بن صالح وطلحة بن رزيق وعمرو بن أعين[١]، ومن طيئ قحطبة– واسمه زياد بن شبيب بن خالد بن معدان[٢]– ومن تميم موسي بن كعب أبو عيينة، ولا هز بن قريظ. والقاسم بن مجاشع كلهم من بني امرئ القيس[٣]. وأسلم بن سلام أبو سلام[٤]، ومن بكر بن وائل أبو داود خالد بن إبراهيم "وأبو علي الهروي"[٥] وكان الرؤساء منهم سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وقحطبة بن شبيب[٦].

وإن كان الطبري سبق أن أشار في موضع آخر أن اربعة من هؤلاء النقباء كانوا من الموالي[٧] ونقل عنه هذه الرواية ابن الأثير[٨]. وبعض المؤرخين المتأخرين. ونلاحظ كذلك أن صاحب تاريخ الوصل يذكر أسماء

---

(١) انظر أنسابهم في السمعاني: الأنساب، تحقيق عبد الله عمر البارودي دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولي سنة١٩٨٨م، جـ١ ص١٢٩، جـ٢ ص٣٥٨، جـ٣، ص٣٦١، ٣٦٢.

(٢) السمعاني: المصدر السابق، جـ٣، ص٤٩٨.

(٣) ابن حزم:جمهرة أنساب العرب، حـ١ ص٢١٤. السمعاني المصدر السابق، جـ٣، ص٤٦٧.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ٧ ٣٨٠. ابن خلدون: العبر، جـ٣ ص١٥٠.

(٥) انظر: تاريخ الطبري، جـ٧، ص٣٧٩- ٣٨٠.

(٦) تاريخ اليعقوبي: جـ٢. ص٣٢٢.

(٧) تاريخ الطبري، جـ٦، ص٥٦.

(٨) الكامل، جـ٤، ص٣٢٢، ٣٢٣.

هؤلاء النقباء ويشير إلي أن واحدا منهم فقط كان من الموالي[١]. ومهما كان الأمر فإنه لو أخذنا بأن عدد النقباء من الموالي كانوا أربعة. فإن الدعاة العرب كانوا يمثلون الأغلبية منهم. مع الأخذ في الاعتبار أن هؤلاء الموالي كانوا ينسبون إلي القبائل العربية ويعملون تحت مظلتها وفي حمايتها سواء منهم العرب أو غير العرب فالعصبية القبلية في خراسان قد ساهمت بطريقة غير مباشرة في تأمين هؤلاء النقباء والدعاة من خطر الولاة الأمويين.

ففي رواية للطبري أن دعاة العباسيين في خراسان وشى بهم إلي سعيد خُزينة وإلي خرسان سنة١٠٢هـ/٧٢٠م فقبض عليهم واستجوبهم. فادعوا أنهم من التجار. فسأل من يعرف هؤلاء؟ فجاء أناس من أهل خراسان جُلّهم من ربيعة واليمن، فقالوا. نحن نعرفهم. وهم علينا إن أتاك منهم شئ تكرهه، فخلي سبيلهم"[٢].

وكان الدعاه يستغلون الصراع القبلي لضرب العناصر المتصارعة ليأمنوا علي أنفسهم. فقد تعرض الدعاة لأخطار شديدة في ولاية أسد بن عبد الله القسري علي خراسان ونكل بعدد منهم وقبض علي جماعة من كبار الدعاة سنة١١٧هـ/٧٢٥م منهم سليمان بن كثير، ومالك بن الهيثم وموسي بن كعب ولاهز بن قريظ وخالد بن ابراهيم وطلحة بن زريق. وتمكن البعض منهم من الإفلات بسبب توسط القبائل لهم واستغلال العصبية القبلية[٣].

وقد أسهب المؤرخون في تناول أخبار هؤلاء النقباء ونشاطهم في بث الدعوة العباسية وتحملهم الصعاب في سبيلها، وكانوا علي صلة دائمة بالإمامين العباسيين محمد بن علي وإبراهيم بن محمد من بعده. فيلقتونهم في مكة أو في

---

(١) انظر: تاريخ الموصل، ص ٢٦.
(٢) انظر: تاريخ الطبري: جـ٦، ص٦١٦، ٦١٧، ابن الأثير، الكامل جـ٤، ص٣٢٣،٣٢٢ .
(٣) انظر التفاصيل في تاريخ الطبري جـ٧، ص١٠٧-١٠٨. ابن الأثير: المصدر السابق، نفس الجزء والصفحات.

الحميمة يحملون إليهما الأموال والأخبار ويتلقون منهما الإرشادات والتعليمات(١).

ثانيا : دور أبي مسلم الخراساني في الدعوة:

وهكذا يمكن القول بأن الدعوة العباسية في المرحلة السرية قد اعتمدت إلي حد بعيد علي الدعاة العرب أو الموالي الذين ينسبون إلي العرب، ومن المعتقد، أن أهم ما كان يميز هؤلاء الدعاة هو أنهم كانوا يدينون بالولاء لصاحب الدعوة أكثر من ولائهم لقبائلهم لأنه من الأهمية بمكان لنجاح الدعوة في تلك الفترة أن يتجرد هؤلاء الدعاة من التعصب لأنهم من قبائل مختلفة، وأن يكون هدفهم الأساس هو نشر مبادئ الدعوة العباسية بين الناس وهذا ما نجحوا في تحقيقه إلي حد بعيد، ويقودنا ذلك إلي الإشارة إلي اختيار أبي مسلم الخراساني ليقود الدعوة العباسية في نهاية المرحلة السرية للدعوة وبداية العمل العسكري. ونحن لن ندخل في ما أثير حول أصل أبو مسلم من جدل" فقد اختلف الناس في نسب أبي مسلم فقيل إنه من العرب وقيل من العجم" (٢).

ولكن من الجدير بالملاحظة هنا أن أبا مسلم قد التحق بخدمة إبراهيم الإمام عن طريق النقباء سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وقحطبة بن شبيب عندما صحبوه معهم من الكوفة- حيث كان يخدم فيها بعض الشيعة العباسية(٣)- إلي مكة وأهدوه إلي إبراهيم الإمام فعمل في خدمته منذ سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م(٤)،

---

(١) انظر علي سبيل المثال: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ٧، ص٢٥٢، ٣٧١، ٣٩٠، ٣٧٧.

(٢) انظر: تاريخ اليعقوبي،جـ٢،ص٢٥٤، مروج الذهب جـ٢، ص٢٥٤، ابن خلكان وفيات الأعيان، تحقيق/ إحسان عباس، بيروت، ١٩٧٣م، جـ٢، ص١٥٤. ابن طباطبا، الفخري، ص٣٩.

(٣) كان أبو مسلم يخدم عيسي بن معقل العجلي وعاصم بن يونس العجلي، وكانا قد قبض عليهما في الكوفة لاتهامهما بالدعاء لبني العباس(انظر تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٣٢٧، الكامل جـ٤، ص٤٦٢.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٢، ص١٤٦.

وكان تأهيل أبي مسلم للقيام بأمر الدعوة العباسية في خراسان قد تم في تلك الفترة التي لازم فيها إبراهيم الإمام حيث وقع لختياره عليه ليتولي أمر الدعوة الدينية والقيادة العسكرية هناك(١).

ويزعم البعض أن أختيار أبي مسلم لهذه المهمة من جانب إبراهيم الإمام دليل علي"إدراكه لأهمية الموالي ورغبته في الحد من سلطات العرب.. فقد كان النقيب سليمان بن كثير الخزاعي هو القائم بأمر الدعوة من قبل مجئ أبي مسلم إلي خراسان... فكان الإمام إبراهيم يخافه ويخشي أن ينقلب عليه"(٢). وهذا القول به كثير من التجاوزات ويكفي أن نقرأ وصية إبراهيم الإمام إلي أبي مسلم عندما أسند إليه أمر الدعوة في خراسان ولأهميتها في موضوعنا سنورد أجزاء من نصها.

"وفيها (١٢٧هـ) وجه إبراهيم بن محمد... أبا مسلم في خراسان، وكتب إلي أصحابه: إني قد أمرته بأمر فأسمعوا له وأطيعوا. والذي أمر به أن قال: يا عبد الرحمن إنك رجل منا أهل البيت فانظر هذا الحي من اليمن فأكرمهم. فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم. وانظر هذا الحي من ربيعة. فأنهم معهم، وانظر هذا الحي من مضر فإنهم العدو القريب الدار. فاقتل من شككت في أمره. ومن يقع في نفسك منه شبهة.. ولا تخالف هذا الشيخ- يعني سليمان بن كثير- ولا تعصه في شئ وإذا أشكل عليك أمرك فاكتف به مني"(٣).

وواضح من هذه العبارة الأخيرة إنه رغم توجيه أبي مسلم علي رأس الدعوة إلي خراسان إلا أن القيادة العليا ظلتْ بيد سليمان بن كثير الخزاعي،

---

(١) انظر: المسعودي: مروج الذهب، جـ٣، ص٢٥٤.
(٢) انظر: حسين عطوان، الدعوة العباسية، بيروت ١٩٨٤، ص٢٩٨.
(٣) انظر ابن قتيبة: الإمامة والسياسة: جـ٢،ص١١٤. تاريخ الطبري، جـ٧،ص٢٤٤.تاريخ الموصل، ص٦٥، النويري، نهاية الأرب،(طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب)جـ٢٢،ص١٨-١٩.

وكان على أبى مسلم إذا أشكل عليه أمر أن يرجع إلى سليمان بصفته ممثلا لإبراهيم الإمام في خراسان.

ولكن لماذا اختار إبراهيم الإمام أبا مسلم في هذه المرحلة علي وجه التحديد ليسند إليه قيادة الدعوة؟ هناك رأي يفسر ذلك بأنه كانت تلك السنة (١٢٧هـ) من السنوات الحرجة في تاريخ الدعوة العباسية في الشرق. فقد تكون للشيعة بخراسان تنظيم مستقل تفاقم خطره برئاسة خداش[١] وقد خشي العباسيون أن يفلت من أيديهم زمام أهل خراسان وأن تستميلهم الشيعة العلوية. لذلك كان اختيار أبي مسلم الذي كان معروفا في خراسان تقوية للدعوة بين أهلها"[٢].

ولكن في اعتقادنا أن من الأسباب الجوهرية التي جعلت إبراهيم بن محمد يختار أبا مسلم الخراساني علي رأس الدعوة العباسية ثم الحرب في خراسان هو ما كانت تشهده الساحة العربية في تلك المناطق من نزاعات قبلية عنيفة بين قبائل مضر من ناحية وقبائل اليمن وربيعة من ناحية أخري[٣]. فكان لابد من اختيار رجل لا ينتمي إلي إحدي الفرق المتنازعة هناك حتي إذا جد الجد لا يميل إلي جانب دون أخر. ولا يضعف أمام عاطفة الإنتماء والتعصب إلي قبيلة عربية إذا احتاج الأمر إلي ذلك في سبيل تحقيق أهداف الدعوة العباسية.

ومما يؤيد هذا الرأي. ما ترويه المصادر من أن نصر بن سيار والي خراسان الأموي عندما أوشك علي الهزيمة وانفض من حوله الأنصار وهو في "مرو" سنة ١٣٠هـ/٧٤٨م. أرسل له أبو مسلم الخراساني وفدا من زعماء

---

(١) عن خداش انظر: الكامل، جـ٤ ص٤٢٠.
(٢) انظر: حسن أحمد محمود: العالم الإسلامي في العصر العباسي ص٤٧-٤٨.
(٣) انظر، تاريخ خليفة بن خياط جـ٢، ص٤٠٤-٤٠٥.

العرب من بينهم"لاهز بن قريظ التميمي" وهو أحد النقباء. يدعوه إلي البيعة علي كتاب الله والرضا من آل محمد.

وكان أبو مسلم يضمر الغدر بنصر إذا وقع في يده، وعندما التقي لاهز بنصر في مرو(وكلاهما من مضر). وأدرك إنه علي وشك الخروج ومبايعة أبي مسلم مع ما في هذا من خطر عليه. فقرأ أمامه الآية" إن الملأ يـأتمرون بـك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين"[١]. فأدرك نصر ما يدبر له. وتمكن من الهرب إلي مدينة الري[٢].

ولما فشل أبو مسلم في اللحاق بنصر والقبض عليه، استفسر من الـذين كان أرسلهم إلي نصر عن السبب في ارتيابه وهربه، فذكروا له ما كـان مـن تلاوة ابن قريظ أمامه للآية السابقة، فأدرك تحذير لأهز لنصر، فلم يتردد أبـو مسلم في قتل لاهز بن قريظ لساعته. [٣]

وهكذا يتضح أن لاهز بن قريظ عندما شعر بالخطر الذي يهدد نـصر ابن سيار، ثارت في أعماقه العصبية القبلية، وضن بنـصر أن ينالـه مكـروه فحذره ليتمكن من الهرب، وكان رد فعل أبي مسلم العنيف والفوري ضد لاهز هو ما يمكن أن نعتبره صمام الأمان في تلك المرحلة الحرجة من مراحل الثورة العباسية، التي كان لابد خلالها أن يكون الولاء كله للدعوة وليس للقبيلة.

لذلك اضطر أبو مسلم إلي التخلص من بعض الزعامات القبلية العربية في خراسان. حتي تلك التي تظاهرت بالولاء للدعوة العباسـية لأنـه أدرك أن الولاء لم يكن خالصا للدعوة. بل كانت تحركه الأحقاد القبلية والرغبة في الثأر

---

(١) سورة القصص، الآية٢٠.
(٢) انظر: تاريخ اليعقوبي، جـ٢،ص٣٤٢،النويري، نهاية الأرب،جـ٢٢.ص٢٢ المقريزي، النزاع والتخاصم، ص٩٦.
(٣) انظر التفاصيل ، اليعقوبي ، تاريخه، جـ٢، ص٢٤٢، ابن الأثير : الكامل جـ٥ ص٤٣، ٤٤.

من المنافسين، وليس الإيمان بالدعوة العباسية والرغبة في تأييدها. فكان أبو مسلم يخشي أن يخذله هؤلاء عند الضرورة وهو مقدم علي مرحلة من الصدام العنيف للإطاحة بنفوذ الدولة الأموية. والمثل الواضح علي ذلك. عندما قتل الوالي الأموي نصر بن سيار. جديع بن علي الكرماني زعيم اليمنية في خراسان(١). وانضم إينا الكرماني إلي ابي مسلم وأعلنا تأييدهما له علي أمل الثأر لأبيهما من نصر. فالحلف هنا كان هدفه واضح فلم يكن تأييدا خالصا للدعوة العباسية. وهناك احتمال أن ينفض هؤلاء عن أبي مسلم إذا صادفهم حلف آخر يضمن لهم نفوذهم في خراسان لذلك كان أبو مسلم مضطرا إلي التخلص من هذه الزعامات بعد استغلالها في تحقيق أهدافه فعمد إلي بني الكراماني"علي وعثمان" فقتلهما وأكثر أصحابهما(٢).

ولعل ما سبق ذكره من أحداث يقودنا إلي مناقشة ما أشيع عن وصية إبراهيم الإمام إلي أبي مسلم بقتل كل من هو عربي في خراسان للتحقق من مدي صحة هذه الوصية وما أثير حولها من آراء بين مؤيد ومعارض.

ومن الأمثلة علي ذلك عند المؤرخين الحديثين رأي الاستاذ محمد الخضري الذي يعلق علي وصية إبراهيم الإمام بقولة: "ومما يدل علي اعتماد بني العباس علي أهل خراسان دون العرب قول الإمام: "وإن استطعت ألا تدع بخراسان لسانا عربيا فافعل"(٣). فهو يؤيد نظرية اعتماد بني العباس علي أهل خراسان دون العرب، كما يؤيد صحة وصية إبراهيم الإمام بقتل العرب.

ولكن الدكتور حسن أحمد محمود عندما تعرض لهذه الرواية قال: "ونحن نشك في هذه الرواية من أساسها ونكاد نجزم بأنها وضعت وضعا ودست

---

(١) ابن الأثير: الكامل جـ٥ ص١٩، ٢٠.
(٢) انظر: محمد الخضري، الدولة العباسية، بيروت بدون تاريخ.ص٢٤.
(٣) انظر: المرجع السابق، ص٢١.

دسا علي بني العباس لإفساد دعوتهم وتلطيخ حركتهم بالقسوة والدماء. ودليلنا علي هذا ما يروي من تصرفات أبي مسلم بعد دخوله مرو"(١). ويستشهد بالطبري في أن أبا مسلم لم يقتل إلا قليل من العرب وكبح جماح رجاله من الخراسانية(٢).

وأنا أميل إلي الأخذ برأي الدكتور حسن أحمد محمود. ومما يعضد رأينا في هذا الشأن اختلاف الروايات التي ذكرتها المصادر حول هذه الوصية ومصدرها، فيروي صاحب تاريخ الموصل(ت ٣٢٤هـ) في حوادث سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م، وكتب إبراهيم بن محمد إلي أبي مسلم فيما قالوا:-"ألا يدع بخراسان أحد يتكلم إلا قتله"(٣). أما رواية ابن قتيبة(ت ٢٩٧هـ) فجاء فيها أثناء ذكر وصية إبراهيم لأبي مسلم:"إن استطعت أن ألا تدع بخراسان أرضا فيها عربي فافعل"(٤). ولكن الطبري يضع في روايته كلمة "لسانا" مكان "أرضا"(٥).

أما رواية محمد بن حبيب (ت٢٤٥هـ) وهي أقدم هذه الروايات فإنها تلقي الضوء علي حقيقة هذا الخبر ومدي صحته، فيذكر أن رسول أبي مسلم جاء إلي إبراهيم بن محمد بكتاب، فسأل إبراهيم الرسول عن جنسيته فقال إنه عربي. فرد علي أبي مسلم بكتاب "يأمره فيه ألا يدع بخراسان عربيا إلا قتله" . فأنطلق الرجل إلي مروان بن محمد بالكتاب فوضعه في يده"(٦).

ونلاحظ أن هذا الكتاب لم يصل إلي أبي مسلم بل وصل إلي مروان بن محمد. وتشرح رواية الذهبي ما ذكره ابن حبيب فتفيد أن إبراهيم الإمام كان

---

(١) انظر: حسن محمود، العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص٥٨-٥٩.
(٢) المرجع السابق، ص٥٩.
(٣) انظر: تاريخ الموصل ،ص١٠٧.
(٤) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ص١١٤.
(٥) تاريخ الطبري، ج٧، ص٣٤٤، وقد نقل ابن الاثير تلك الرواية بهذه الصورة "وإن استعطت ألا تدع بخراسان من يتكلم العربية فافعل" (الكامل جـ٥، ص٢١).
(٦) انظر: ابن حبيب: أسماء المغتالين، ص١٨٦.

حريصا علي سرية الدعوة.وكانت الأوامر لدي أبي مسلم أن يكون رسله إلـى إبراهيم يجهلون العربية حتي لا يطلعوا علي فحوي الرسائل فأرسل أبو مـسلم رسالة إلي إبراهيم مع رسول فوجده إعرابيا فصيحا، فغمه ذلك، فكتب إلي أبي مسلم: "ألم أنهك أن يكون رسولك أعرابيا يطلع علي أمرك فإذا أتاك فاقتله" فشك الإعرابي في الأمر واطلع علي الرسالة، وقام بتسليمها إلي مروان بـن محمـد الذي قبض علي إبراهيم الإمام"[١]. ولما مثل إبراهيم بين يدي مروان أنكر كل اتهامات مروان له، ولكن مروان استشهد بالرسالة التي معه وبالرسـول الـذي يحملها، وإنتهي الأمر بقتل إبراهيم[٢].

ومما تقدم يتضح أن تلك الرسالة التي تحمل الوصية بقتل العـرب لـم تصل إلي أبي مسلم، بل وقعت في يد مروان بن محمد. وأن ما رواه المؤرخون عن هذه الرسالة. كان نقلا عن الرواية الأموية. فهي روايـة مدسوسـة علـي إبراهيم الإمام بهدف تحريض العرب ضد الثورة العباسـية وإظهـار الـدعوة العباسية بمظهر خراساني أعجمي ينفر منها العناصر العربية وقد أغفل البعض ما جاء في وصية محمد بن علي في بداية الدعوة العباسية إلي "أول مـن قـدم خراسان من دعاة بني العباس زياد أبو محمد مولي همذان في ولاية أسد، بعثه محمد بن علي وقال له: أنزل في اليمن وألطف مضر"[٣].

كما جاء في وصية إبراهيم الإمام ما يناقض قصة قتل العرب هذه فـي عبارات واضحة يوصي فيها أبا مسلم بقوله: "انظر هذا الحي من اليمن فأكرمهم فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم، وإنظر هذا الحي من ربيعة فإنهم معهـم"[٤].

---

(١) انظر: محمد ماهر حمادة، الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر العباسي الأول، بيروت ١٩٨٥م. ص٨١. (نقلا عن تاريخ الإسلام للذهبي).

(٢) المسعودي، مروج الذهب، جـ٢،ص٢٥٨.

(٣) ابن الأثير: الكامل جـ٤،ص٣٨٢.

(٤) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، جـ٢، ص١١٤. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ٧، ٤٠، ٤٩.

وهكذا تكون هذه الوصية التي نسبت غلي إبراهيم الإمام بقتل العرب موضـــع شك كبير ولا يمكن الأخذ بها في توضيح دور العناصر العربية في نشأة الدولة العباسية.

الفصل الثالث

دور العرب فى الحرب ضد الأمويين حتى مقتل مروان بن محمد

أولاً : فى خراسان .

ثانياً : فى العراق والشام .

ثالثاً : دور اهل مصر فى قيام الدولة العباسية .

أولا - في خراسان :-

اشتعلت العصبية القبلية بخراسان بين قبائل اليمن وربيعة في جانب. والقبائل المضرية في جانب آخر فاستعصت خراسان علي الوالي الآموي نصر ابن سيار الذي لم يجد العون من الخليفة لإنشغاله بالثورات التي قامت ضده في كل مكان[١].

وفي هذه الأثناء صدرت الأوامر من إبراهيم بن محمد إلي أبي مسلم الخراساني بإعلان الدعوة العباسية سنة١٢٩هـ/٧٤٦-٧٤٧م، وتظهر بوضوح منذ الوهلة الأولي المساهمة الفعالة للقادة العرب والقبائل العربية[٢]. في تلك المرحلة. فكانت بداية تحرك أبي مسلم إلي قرية من قري مرو يقال لها "فنين" في شعبان(١٢٩هـ) ونزل فيها علي زعيمها "أبي الحكم عيسي بن أعين الخزاعي"[٣] ، وهو أحد النقباء العرب، ووجه أبو مسلم من هذه القرية أبا داود خالد بن إبراهيم الذهلي ومعه عمرو بن أعين إلي إقليم طخارستان[٤]. كما وجه نصر بن صبيح التميمي، وشريك بن غضي التميمي إلي مرو الروذ[٥]، وأمر الجميع بالاستعداد لإعلان الثورة في ٢٥رمضان (١٢٩هـ). والأسماء العربية السابق ذكرها ليست في حاجة إلي تعليق.

والغريب في الأمر. أن فان فلوتن[٦] - ومن نقلوا عنه- يذكرون أن "العرب" حتي من خرج منهم علي الحكومة الأموية. وشق عصا طاعتها. قد

---

(١) راجع التفاصيل: تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٣٢٢، ص٢٤٠.
(٢) انظر النويري، نهاية الأرب، جـ٢٢،ص١٩.
(٣) تاريخ الطبري، جـ٧،ص٣٥٥، تاريخ الموصل، ص٢٦، الكامل جـ٥،ص٢٨، ٢٩.
(٤) طخارستان: أحد أقاليم خراسان، ويشتمل علي عدة بلاد. ياقوت: معجم البلدان، جـ٤، ص٢٣.
(٥) مرو الروذ: إحدي مدن خراسانيينها وبين مرو الشاهجان العاصمة٤٠ فرسخا. ياقوت: المصدر السابق، جـ٥، ص١١٢.
(٦) انظر: فان فلوتن: السيادة العربية، ص١٢٨.

أبوا أن يشتركوا مع هؤلاء الموالي ممن لا نسب لهم(١). مما يوحي بانفراد الموالي بالقتال ضد الأمويين في هذه المرحلة من الصراع. والنصوص تشير إلي غير ذلك. فإن أبا مسلم لما أعلن الدعوة انضمت إليه أعداد كثيرة من الشيعة العباسية من القري المختلفة من خراسان(٢).

وقد يُظن أنهم كانوا من الموالي العجم، ولكن بعض هذه القري كانت لقبائل عربية كما ذكرنا في السطور السابقة، وهناك رواية للطبري عن الإحصاء الذي قام به أبو مسلم لحوالي ألف رجل من أنصار العباسيين في ذلك الوقت. وكانوا في خندق محرز بن إبراهيم يتضح منه أن أعدادا كثيرة من هؤلاء كانوا من العرب. فكان منهم زياد بن سيار الأزدي من قرية أسبوداق وخزام بن عمار الكندي من قرية الأوايق. وحنيفة بن قيس وحموة بن زنيم الباهلي(٣). مما يؤكد مدي الخطأ الذي وقع فيه فان فلوتن في عبارته السابقة.

وفي رواية للجهشياري توضح أن جيش أبا مسلم الخراساني كان يضم أعدادا كثيرة من العرب، فلما أراد أبو العباس السفاح الإيقاع بأبي مسلم والتدبير للتخلص منه أمره بعرض جنوده وإسقاط من لم يكن من أهل خراسان منهم، فجلس أبو مسلم للعرض. فأسقط في أول يوم بشرا كثيرا ثم جلس في اليوم الثانى فأسقط أيضاً بشراً كثيراً . ثم جلس في اليوم الثالث، فدعا بالناس فلم يقم أحد ثم دعا ثانية وثالثة فلم يقم أحد(٤).

---

(١) انظر التفاصيل في: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ٧، ص٢٥٥، ٢٦٠ .
(٢) انظر مثلا: الطبري : تاريخ الرسل والملوك، جـ٧، ص٣٠٥، ٣٥٥، ٣٥٩. الدينوري : الأخبار الطوال، ص٣٥٧. ابن الأثير : الكامل، جـ٥، ص٢٨ ، ٢٩. ويذكر أن الوفود الشيعية تتابعت لتأييد الثورة العباسية من أهل ستين قرية من القري ذات الغالبية العربية ومن أول يوم في إعلان الثورة فكان أول فتح للعباسين من قبل موسي بن كعب التميمي في بيورد.
(٣) الطبري : المصدر السابق، نفس الجزء والصفحات.
(٤) انظر، الجهشياري: الوزراء والكتاب، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٩٤.

وعندما انتقل أبو مسلم إلي سفيذنج- وهي من قري خزاعة- وكان بها سليمان بن كثير الخزاعي. في ٢٥رمضان(١٢٩هـ/٧٤٧م) موعد إعلان الدعوة، وأعلن منها بداية الثورة ضد الأمويين فكان أول من سوّد أسيد بن عبد الله الخزاعي بنسا[١]، وأرسل نصر بن سيار جيشا بقيادة مولاه زيد، فأرسل لهم أبو مسلم جيشا بقيادة "مالك بن الهيثم الخزاعي" . أحد النقباء، فانتصر مالك علي الجيش الأموي في أول اشتباك بين الجانبين[٢]، وأسر عدد منهم من بينهم أميرهم زيد الذي أطلق أبو مسلم سراحه ليكون حجة علي أصحابه فيما يطلقونه من شائعات حول حقيقة الدعوة العباسية، فقد لجأ نصر إلي مقاومة الدعوة بالأباطيل، وكان يتهم الشيعة العباسية بالمروق من الدين والإنسلاخ عن الإسلام، ويزعم أنهم يريدون تحطيم الإسلام وتدمير العرب[٣].

وقد نجح أبو مسلم إلي حد كبير في رد هذه التهم عن رجاله[٤] مما يوحي بأن إشاعة تدمير العرب التي نسبت إلي العباسيين آنذاك كان يطلقها أعداؤهم بهدف استقطاب العناصر القبلية ضدهم في هذا الصراع العنيف الذي استباح فيه الطرفان كل وسائل الخداع والإتهامات الملفقة للانتصار علي الطرف الآخر.

وكيفما كان الأمر، فقد تمكن أبو مسلم ببراعة وذكاء من أن يمسك بخيوط الموقف كلها بين أصابعه، ويتلاعب بأعدائه من المضرية واليمنية. وأن يستغل الصراع القبلي في إشعال الفتنة بينهما لإضعافهما معا. " وجعل يكتب إلي نصر بن سيار، وإلي الكرماني: أن الإمام قد أوصاني بكم ولست أعدو فيكم رأية"[٥] ، ورغم إدراك نصر بن سيار لحقيقة نوايا أبي مسلم فإن الموقف كان فوق طاقته.

---

(١) انظر: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، جـ٢، ص١١٥، الكامل جـ٥، ٢٩.
(٢) تاريخ الطبري، جـ٧،ص٢٥٥-٢٥٦، الكامل جـ٥،ص٢٨، ٢٩.
(٣) انظر: حسين عطوان، المرجع السابق، ص١٢٠-١٢١.
(٤) انظر: تاريخ الطبري، جـ٤٢١،٢٩٠.
(٥) انظر: ابن قتيبة، الإمامة جـ٢،ص١١٥.

وعندما تحرك أبو مسلم الخراساني بجيشه من الماخوان في اتجاه مدينة مرو عاصمة خراسان. كان علي مقدمته أسيد بن عبد الله الخزاعي. وعلي ميمنته مالك بن الهيثم الخزاعي. وعلي مسيرته القاسم بن مجاشع التميمي، وبعد استيلاء أبي مسلم علي مرو التي فر منها نصر بن سيار في جمادي الأولي سنة ١٣٠هـ/فبراير ٧٤٨م كان يأخذ البيعة علي الجند أبو منصور طلحة بن رزيق الخزاعي. وهو أحد النقباء" وكان أبو مسلم يعمل بمشورته"[١].

كما وجه أبو مسلم خالد بن إبراهيم الشيباني إلي مدينة بلخ فاستولي عليها من زياد بن عبد الرحمن القشيري[٢]، وبعد أن استقر أبو مسلم في مرو ودانت له خراسان. وجه عماله إلي أقاليمها. ويهمنا أن نذكر أسماء هؤلاء العمال لإدراك حقيقة سيطرة العنصر العربي وانتشاره في ذلك الوقت فاستعمل أبو مسلم سباع بن النعمان الأزدي علي سمرقند، وأبا داود خالد بن إبراهيم الشيباني علي طخارستان. ووجه محمد بن الأشعث إلي الطبسين وفارس. وجعل مالك بن الهيثم علي شرطته[٣].

وفي هذه الفترة. تم نقل القيادة العسكرية من أبي مسلم الخراساني إلي قحطبه بن شبيب الطائي، الذي قدم من عند الإمام إبراهيم بن محمد من مكة- أوائل عام ١٣١هـ/٧٤٨م- ومعه اللواء الذي عقده له. فاستجاب أبو مسلم لتعليمات الإمام، ورحب بقحطبة" وضم إليه الجيوش وجعل له العزل والإستعمال وكتب إلي الجنود بالسمع والطاعة"[٤]. وبعث معه ثلاثين ألفا من رجال اليمن والشيعة وفرسان خراسان"[٥].

---

(١) انظر التفاصيل: تاريخ الطبري، جـ٧،ص٢٧٩، الكامل جـ٥،ص٤٤،٤٣،النويري، نهاية الأرب، جـ٢٢، ص٢٢.
(٢) راجع: تاريخ الموصل ص٢٦.
(٣) تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٣٤٢، تاريخ الطبري، جـ٧،ص٢٨٩، النويري، جـ٢٢، ص٢٦.
(٤) انظر: تاريخ الطبري، جـ٧، ص٢٨٨، النويري: نهاية الأرب ، جـ٢٢ ص٥٦.
(٥) انظر: ابن قتيبة: الإمامة والسياسة جـ٢، ص١١٧.

ثانيا- في العراق والشام :-

من المعتقد أن رئاسة الثورة العباسية كانت تهدف من وراء هذا التغيير في القيادة ألا يتجاوز أبو مسلم بجيوشه خراسان مهما كانت الأحوال فلم يكن من المناسب أن تقتحم معاقل العروبة في العراق والشام ومصر بقيادة أعجمية، وإنما بقيادة عربية خالصة(١).

ولذلك تحولت القيادة العسكرية في هذه المرحلة إلي العرب من النقباء وغيرهم، فتحرك قحطبة علي رأس جيوش الثورة العباسية لحرب نصر بن سيار في نيسابور، وكان علي مقدمة جيش قحطبة، أسيد بن عبد الله الخزاعي الذي لاحظ عند قرية يقال لها "حبوسان" وجود تجمع كبير لجيش الأمويين فأرسل يحذر الجيش الرئيسي بقيادة قحطبة، وقال له أنهم ينتظرونه "في ثلاثين ألفا من صناديد أهل خراسان وفرسانهم"(٢).

ويهمنا من النص السابق عبارة" أهل خراسان" التي سبق أن أوضحنا أنها لا تعني الأعاجم فقط من المسلمين، ولكنها تعني العرب وغيرهم من المقيمين في خراسان، وحتي لو كانت تعني العجم فإنه يتضح منها – ومن غيرها من النصوص– أن أهل خراسان لم يكونوا جميعا في جانب الدعوة العباسية مؤيدين لها محاربين في صفوفها. فكما كان بعض أهل خراسان في جانب الدعوة العباسية، كان البعض الآخر في جانب نصر بن سيار والي مروان بن محمد، ويؤكد هذا نص سابق للرواية التي ذكرناها، فقد جاء في رسالة من نصر إلي مروان بن محمد يشير فيها إلي حبس ابن هبيرة والي العراق لرسله الذين أرسلهم إليه يطلب منه المدد والعون جاء فيها قوله: " أني

---

(١) انظر: احمد الشريف، حسن محمود ، العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص٦٠. عبد المنعم سلطان: دور العرب في قيام الدولة العباسية، مقال بمجلة كلية الآداب بسوهاج، العدد الثاني، سنة١٩٩٢م، ص٢١.
(٢) تاريخ الطبري، جـ٧، ص٣٩٠.

وجهت إلي أبن هبيرة قوما من وجوه أهل خراسان ليعلموه أمر الناس من قبلنا وسألته المدد فاحتبس رسلي ولم يمدني بأحد"(١).

وقد تمكن قحطبة من تحقيق الانتصارات المتوالية علي الجيوش الأموية وهو يشق طريقه إلي العراق وكان يسانده ولداه داود والحسن(٢)، وقد وجد مقاومة عند مدينة "نهاوند" مما اضطره لحصارها وفي النهاية تم الصلح بين الطرفين وفتحت المدينة في شوال سنة ١٣١هـ/٧٤٩م "فقتل قحطبة أهل خراسان الذين هربوا مع نصر بن سيار، وقال: إني لم أصالح علي أهل خراسان إنما صالحت علي أهل الشام.. وأقام قحطبة رجالا علي أبواب المدينة فلم يدع أحدا له نباهة من أهل خراسان إلا قتله(٣).

وهذه المذبحة التي جرت علي أهل خراسان لها دلالات واضحة تلقي الضوء علي تفسير عبارة أهل خراسان فبالإضافة إلي تأكيد ما سبق أن أوضحناه من شمولية العبارة ووجود أهل خراسان في الجانبين فهي تؤكد أن جيش قحطبة لم يكن أكثرة من الخراسانية وإلا لكان لهم موقف آخر من تلك المذبحة، كما أن أهل خراسان لم يكونوا مجمعين علي تأييدهم للعباسيين، فرواية ابن قتيبة تقول: إنه كان "بنهاوند" أهل خراسان الذين خرجوا من خراسان حين ظهر أبو مسلم"(٤).

ونحن لسنا بصدد التعرض لتفاصيل المعارك بين الجانبين المتصارعين ولكن يهمنا منها ما يشير إلي موضوع الدراسة، فبعد سقوط "نهاوند" بحوالي شهرين، كانت القوات العباسية بقيادة الحسن بن قحطبة- الذي تولي القيادة بعد

---

(١) انظر: محمد ماهر، الوثائق السياسية والإدارية في العصر الأموي، ص٥٢٢، نقلا عن الطبري.

(٢) انظر: تاريخ ابن خياط، جـ٢، ص٤١٨-٤١٩.

(٣) انظر: المصدر السابق جـ، ص٢٤٠، تاريخ الطبريجـ٧، ص٤٠٧، تاريخ الموصل، ص١١٦.

(٤) ابن قتيبة: المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، القاهرة، ١٩٦٩م، ص٣٧٠.

موت أبيه – تدخل مدينة الكوفة في يوم عاشوراء سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م دون قتال، وتروي المصادر إنه قبل دخول الجيوش العباسية إلي الكوفة، كان قد استولي عليها" محمد بن خالد بن عبد الله القسري" وأظهر السواد وشرد من كان بها من بني أمية، كما غلب" معاوية بن يزيد بن المهلب، علي البصرة، وأعلن تأييده للدعوة العباسية"(١).

واضطر ابن هبيرة والى العراق إلى الفرار والتحصن برجاله فى مدينة واسط. وفى ربيع الأول (١٣٢ هـ / ٧٥٠م) أعلنت بيعة أول الخلفاء العباسيين في الكوفة، إيذاناً بقيام الدولة العباسية"(٢).

ومن الجدير بالملاحظة أننا لا نستطيع أن نعتبر مبايعة أبي العباس السفاح بالخلافة في الكوفة كانت تعني نهاية المطاف بالنسبة لقيام الدولة العباسية وتأكيد سلطانها لأنه كان لا يزال هناك خليفة آخر هو مروان بن محمد له في أعناق البعض بيعة، وتحت أمرته الجيوش وتسانده عناصر من المؤيدين له ولأسرته، ولم تكن سيطرة العباسيين علي الأقاليم الشرقية في خراسان والعراق تعني سيطرتها عل كل العالم الإسلامي.

وإذا كانت الدعوة العباسية قد تمكنت من دحر أعدائها في خراسان وقد ظهر أثناء ذلك دور بعض العناصر من الموالي وأهل خراسان بجانب القيادات العربية التي برزت في ذلك الوقت – كما أوضحنا –فإن دور العرب الحاسم في القضاء علي الدولة الأموية يظهر بجلاء في حروب العراق والشام ومصر التي جرت بعد إعلان الخلافة العباسية، وكان من الممكن أن يتغير الحال تماما في حالة مساندة العناصر العربية القوية في الشام ومصر لمروان بن محمد في صراعه الأخير مع العباسيين.

---

(١) انظر: تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٣٤٥، الكامل جـ٥، ص٦٤. النويري: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص٣٤.

(٢) انظر: تاريخ اليعقوبى، جـ٢، ص٢٤٥، ٢٤٦، تاريخ ابن خياط جـ٢، ص٤٢٦، ٤٢٧.

ونلاحظ أن القيادة العربية في هذه المرحلة من الصراع ضد الأمـويين شارك فيها أفراد من البيت العباسي، وبرز منهم عبد الله بن علي بن عبـد الله ابن العباس عم الخليفة، وانضم إليه بعد ذلك أخيه صالح بن علي بالإضافة إلي أبي عون عبد الملك بن يزيد الأزدي، وموسي بن كعب التميمي أبطال موقعـة الزاب الشهيرة التي هزم فيهـا مـروان بـن محمـد فـي جمـادي الأخـرة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م(١).

ولقد صادف مروان بن محمد بعد هزيمة الزاب أكبر مأساة واجهته في هذا الصراع حتي إنه كان يفر من بلد إلي بلد وقد أعلـن أنـصاره الـسابقون وبعض أفراد أسرته الولاء للدولة العباسية، ووثب الثوار علي مـؤخرة جيـشة وانتهبوا عسكره. ومن ذلك أنه" لما جاء مروان الموصل وعليها عاملة هـشام ابن عمرو الزهيري علي الحرب، وبشر بن خزيمة الأسدي علي الخراج وفيها بيوت أموال مروان وخزائنه، فمنعه هشام بن عمرو مـن دخـول الموصـل وارتحل عبد الله بن علي إلي الموصل، فاستقبله هشام بن عمـرو وبـشر بـن خزيمة وأهل الموصل في السواد وفتحوا له الجسر وأبواب المدينة"(٢).

وقد سب أهل الموصل مروان بن محمد وصاحوا فيه: "الحمد لله الـذي أزال سلطانكم وذهب بدولتكم، والحمد لله الذي أتانا بأهل بيت نبينا"(٣) ، ومضي مروان منهزما إلي حرّان، ولما علم بقرب وصول جيش العباسـيين أنـسحب منها، وخلف بحران ابن أخيه إبان بن يزيد فقدم عبد الله بن علي. علـي رأس الجيش العباسي فاستقبله إبان مسودا مبايعا(٤).

---

(١) انظر تفاصيل معركة الزاب في: تاريخ خليفة بن خياط جـ٢، ص٤٢٧. وما بعدها، تاريخ الموصل ، ص١٢٨ وما بعدها، المسعودي، مروج الذهب، جـ٢، ص٢٦٠، النويري، جـ٢٢، ص٤٥، وما بعدها.
(٢) انظر: تاريخ الموصل، ص١٢٢ المسعودي: المصدر السابق جـ٢، ص٢٦٠.
(٣) الكامل: حـ٥، ص٧٣، النويري، نهاية الأرب، جـ٢٢، ص٤٧.
(٤) انظر: النويري: المصدر السابق، جـ٢٢، ص٤٧.

وأخذت القبائل العربية في مدن الشام تهاجم مروان بن محمد عند مروره بهم، حتي القبائل النزارية شاركت في ذلك، ولم ينفع مروان تعصبه للنزارية شيئا، بل غدروا به وخذلوه[١]، كما تخلي عنه بعض أفراد الأسرة الأموية مثل الوليد بن معاوية بن عبد الملك، وسليمان بن هشام بن عبد الملك فواجهوا مروان بالعداء في محنته[٢].

ونزلت القوات العباسية علي دمشق وحاصرتها، وكان علي حصارها بالإضافة إلي عبد الله بن علي أخوته عبد الصمد بن علي، وصالح بن علي ومن الأسرة العباسية أيضا يحيي بن جعفر العباسي، كما شاركهم الحصار من زعماء العرب أبو عون الأزدي، وحميد بن قحطبة الطائي[٣].

وتمكنت الجيوش العباسية من الإستيلاء علي دمشق في رمضان ١٣٢هـ (٧٥٠م)[٤]، وبعد الاستيلاء عليها صدرت الأوامر من أبي العباس السفاح إلي عمه عبد الله بأن يطلق صالح بن علي في أثر مروان بن محمد الذي أخذ طريقة إلي مصر، وأن يبقي هو علي الشام[٥].

ثالثا - دور أهل مصر في قيام الدولة العباسية:

تكاد المصادر أن تصمت عن ذكر بداية ظهور الدعوة العباسية في مصر ومدي انتشارها[٦]، ولكن تصادفنا إشارة عند أبي المحاسن تفيد أن عبد الرحمن بن خالد بن مسافر أمير مصر[٧]، لهشام بن عبد الملك بن

---

(١) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، جـ٢، ص١١٧، المسعودي، مروج الذهب، جـ٢، ص٢٦٤.
(٢) ابن قتيبة: المصدر السابق جـ٢، ص١١٩.
(٣) انظر: أبو زكريا، تاريخ الموصل، ص١٣٤.
(٤) انظر: النويري: نهاية الأرب، جـ٢٢، ص٤٨.
(٥) تاريخ خليفة بن خياط، جـ٢، ص٤٢٧-٤٢٨.
(٦) راجع: سيدة كاشف، مصر في فجر الإسلام، القاهرة١٩٤٧، ص١٣٧.
(٧) ١١٧-١١٩هـ/ ٧٣٥-٧٣٧م.

مروان[١]، عزل عن منصبه" وقيل: أن سبب عزله عن مصر أن دعاة بني العباس أرسلوا إليه سرا فأكرمهم ووعدهم فبلغ ذلك هشاما فعزله[٢].

وتثور المشاكل في وجه مروان بن محمد في مصر بمجرد توليه الخلافة، وكان واليه علي مصر في ذلك الوقت حفص بن الوليد الحضرمي الذي ما كاد يعلم بتولية مروان للخلافة بعد موقفه المعروف من اليمنية وعدائه الشديد لهم حتي أنه أتخذ من مدينة حرّان عاصمة إقليم الجزيرة ومركز تجمع القيسية مركزا له[٣]، فأرسل إليه حفص يستعفيه من ولايته علي مصر فأعفاه مروان[٤] وولي مكانه حسان بن عتاهية علي الصلاة وعيسي بن أبي عطاء علي الخراج، ويروي الكندي أن حفص بن الوليد أثناء ولايته علي مصر كان قد فرض الفروض للجند، وجعل علي فروضه قوادا وسماهم "أصحاب الندبة"[٥] وعين علي أنحاء مصر أنصاره من اليمنية، فجعل علي الصعيد رجاء بن الأشيم وعلي أسفل الأرض فهد بن مهدي الحضرمي[٦].

ونحن لا نشك في أن معظم فرق الجيش التي شكلها حفص وفرض لها الفروض من اليمنية كذلك وكان يطلق عليها" الحفصية" نسبة إليه[٧]، فما كان حسان ابن عتاهية القيسي ليقبل سيطرة اليمنية في مصر كما كانت في عهد سلفه، لذلك ما كاد يستقر في مصر حتي "أسقط الفروض التي كان قررها حفص بن الوليد في ولايته وقطع فروض الجند كلها" [٨] وكان نتيجة لهذا القرار أن ثار قواد الجند ضد حسان بن عتاهية وحاصروه في داره وأرغموه علي

---

(١) ١٠٥-١٢٥هـ/ ٧٢٤-٧٤٣م.
(٢) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، جـ١، ص٢٨٢.
(٣) النجوم، جـ١، ص٢٧٨.
(٤) المسعودي، مروج، جـ٣، ص٢٤٧.
(٥) اى سريعى الإستجابة عند دعوتهم إلى القتال، لسان العرب مادة ندب) .
(٦) الكندى، الولاة، ص٧٠، ٧١.
(٧) المصدر السابق، نفس الصفحات.
(٨) النجوم، جـ١، ص٣٠١.

مغادرة مصر هو وصاحب الخراج، وأصروا علي إعادة حفص ابن الوليد واليا علي مصر.

وهنا تجدر الإشارة إلي أن حفصا لم يكن موافقا علي هذا التصرف من جانب زعماء الجند حتي إنه اختفي عنهم هربا من المشاركة في الفتنة[١]، والتعليل المقبول لموقفه إنه ما كان يرغب منذ البداية أن يكون واليا لمروان بن محمد وإلا ما طلب اعفاءه من منصبه، ولكن يبدو من النصوص أنه أرغم علي أن يكون طرفا في هذا النزاع فعبارة الكندي تقول" .. ثم وليها حفص بن الوليد كرها، أخذوه قواد الفروض بذلك"[٢].

وكانت ثورة اليمنية بقيادة ثابت بن نعيم الجذامي قد اشتعلت في الشام في تلك الفترة ضد مروان بن محمد، وأرسل ثابت الرسل والكتب إلى اليمنية في الولايات[٣] وكتب ثابت بن نعيم كتاباً أرسله مع وفد من اليمنية على رأسهم عبد العزيز بن سماك الجذامى إلى حفص بن الوليد في مصر يحرضونه على خلع مروان بن محمد، وخطب هؤلاء اليمنية في مسجد عمرو بالفسطاط يثيرون الناس ضد الخليفة، كما أرسل زامل بن عمرو الثائر ضد مروان بحمص رسولاً لنفس الغرض[٤].

وكانت العناصر الموالية لمروان بن محمد في ذلك الوقت في مصر من الضعف بحيث لا تستطيع التصدى لهذا التيار القوى المعادى للأمويين ولم يظهر إلا صوت احتجاج ضعيف من جانب يزيد بن أبى أمية المعافرى، الذى أخذ على الثوار أفسادهم للجند ودعوتهم للفتنة[٥].

---

(١) الولاة، ص٧١، ٧٢.
(٢) المصدر السابق نفس الصفحات.
(٣) تاريخ الطبرى، جـ٧، ص٣١٢(حوادث سنة ١٢٧هـ).
(٤) راجع: الكندى، الولاة، ص٧١، ٧٢.
(٥) المصدر السابق والصفحات.

هكذا تحركت العناصر القبلية المناوئة للخلافة الأموية في أقاليم الدولة في وقت واحد وخلعت طاعة مروان بن محمد وأصبح حفص بن الوليد والياً على مصر من قبل الثوار رغم إرادته ورغم إرادة الخليفة في نفس الوقت.

وفى هذه الأثناء قدم على مصر حنظلة بن صفوان الكلبى فاراً من أفريقية بعد أن اشتعلت الثورة ضده هناك[١] فنزل حنظلة الجيزة، فكتب مروان إلى أهل مصر: " أما إذا أبيتم ولاية حسان، فقد أمرت عليكم حنظلة بن صفوان، فامتنع المصريون، وأظهروا الخلع.." [٢] وقاد رجاء بن الأشيم جيشاً إلى حنظلة وحاربه وأجبره على الخروج من الجيزة إلى الحوف الشرقى، ومنعه من دخول الفسطاط[٣] ورغم أن حنظلة بن صفوان من قبيلة كلب اليمنية، فلعل مروان بتعيينه على مصر في هذه الظروف كان راغباً في تهدئة النفوس وامتصاص حدة الثورة، إلا أن زعماء مصر كانوا قد خلعوا طاعة الخليفة ولم يستجيبوا لأوامره.

وتمكن مروان بن محمد من التصدى لأعدائه من اليمنية في الشام، فأوقع الهزيمة بالثوار في مدينة حمص،وهزم أهل غوطة دمشق وحرق المزة من قرى اليمنية وهرب ثابت بن نعيم من فلسطين حتى أتى مدينة طبرية[٤]، ثم أتجه إلى مصر رغبة في الاحتماء بها والتقى بمن بها من اليمنية ولكن خاب ظنه، فيروى الكندى رواية تؤكد ما سبق أن ذهبنا إليه من أن حفص بن الوليد ما كان يرغب في معاداة مروان بن محمد أو يكون طرفاً في الفتنة المشتعلة ضده، فتذكر الرواية".. وهرب ثابت بن نعيم من فلسطين يريد مصر، فبعث إليه

---

(١) ابن عذارى المراكشى، البيان المغرب في أخبار المغرب، بيروت ١٩٥٠م جـ١، ص٦٥ -٦٦.
(٢) الكندى، الولاة، ص٧٢.
(٣) النجوم، جـ١، ص٣٠٢.
(٤) تاريخ الطبرى، جـ٧ ص٣١٢ -٣١٥ حوادث سنة ١٢٧ هـ.

حفص بشرحبيل بن قليب الحجرى، وخرج إليه زبان بن عبد العزيز بن مروان ببنى أمية، وجمع زبان جمعاً من قيس فقاتلوا ثابتا فهزموه[1].

وبعد أن تخلص مروان من ثوار الشام بدأ يوجــه جهــوده لاســتعادة سيطرته على مصر، فعزل حفص بن الوليد عن ولايتها وعين مكانــه حــوثره ابن سهيل الباهلى[2] من القيسية [3] وأمده بسبعة آلاف فــارس حتــى يمكنــه التصدى لليمنية عند الضرورة وأرسل حوثره قبله أبا الجراح الجرشى فقــدمها في ٢ محرم سنة ١٢٨ هــ/ ٧٤٥ م[4]، وحاول زعماء اليمنية في مــصر أن يحرضوا حفص بن الوليد علي التمسك بالولاية وعدم تنفيذ أوامر الخليفة مروان بعزله، ومنع واليه من دخول مصر، ولكن حفصاً كانت له سياسة واضحة فــي هذا الشأن كما سبق أن أوضحنا، فإذا كان قد أرغم على الخروج على مــروان فيما مضى، فإنه أصر هذه المرة على الاستجابة لقرار عزله، وسلم ما بيده إلى أبى الجراح الجرشى، الذى ختم على الدواوين وبيت المال ولبث فــي انتظــار قدوم حوثرة وأدرك اليمنية أنهم لن يستطيعوا الصمود في وجه حوثرة، فــالتقوا به في العريش، وطلبوا منه الأمان على ما أحدثوا، فأجابهم حوثرة إلى طلبهم، وكتب لهم كتاباً بذلك[5].

ولكن هذا الأمان كان مجرد خديعة من جانب حوثرة لدفع اليمنية إلــى الاطمئنان وعدم الحيطة فعندما دخل حوثرة الفسطاط دون قتال في ١٢ محــرم سنة ١٢٨هــ/ ٧٤٥م، خرج لاستقباله حفص بن الوليد ومعه زعمــاء الجنــد فقبض عليهم حوثرة وقيدهم[6] وأرسل في طلب من تخلف من زعماء الفتنة ضد

(١) الكندي، الولاة، ص٧٢.
(٢) (١٢٨ -١٣١ هـ/ ٧٤٥ -٧٤٨م).
(٣) أبو بكر محمد الهمداني، عجالة المبتدى في النسب، ص٢٢.
(٤) الكندى : ولاة مصر، ص٧٣.
(٥) الكندى: الولاة، ص٧٣ ، ٧٤.
(٦) المصدر السابق، ص٧٤ ، ٧٥.

مروان ومؤيديهم أو عامتهم على حد تعبير الكندى فقبض عليهم وضرب أعناقهم[1] في ١٨ محرم سنة ١٢٨ هـ، ورغم سياسة حفص بن الوليد المعتدلة فإنه لم يسلم من القتل على يد حوثرة في ٢ شوال سنة ١٢٨هـ[2]، وتتبع حوثرة اليمنية في مصر وقتل من وقع في يده منهم حتى انه قضى على أسر بكاملها، ولما هم بقتل القاض خير بن نعيم، حذره صاحب شرطته حسان بن عتاهية من خطورة ذلك وقال له: " لم يبق لحضر موت إلا هذا القرن فإن قطعته قطعتها" فاكتفى حوثرة بعزله " عن القضاء[3].

ولم ينس حوثرة أن يكافئ أنصار مروان بن محمد في مصر والذين كانوا يكاتبونه وفى مقدمتهم زيد بن أبى أمية المعافرى الذى عارض الثورة ضد مروان ابن محمد، وموالى بنى أمية بقيادة زبان بن عبد العزيز بن مروان، كما كافآ القيسية وفرض لهم الفروض[4] وعقد حوثرة لزبان على قيادة الجند في مصر، وأرسله على راس جيش إلى العريش في أعقاب ثابت بن نعيم الذى منى بالهزيمة ووقع في الآسر وبعثه زبان إلى مروان بن محمد حيث قتله في جمع من بنيه وأنصاره[5].

وأستقرت الأحوال في مصر بعد هذه الأحداث إلى حين، إلا من ظهور بعض المؤيدين لعبد الله بن يحيى طالب الحق[6] الخارجى الذى قدم دعاته إلى مصر فبايع له بعض المصريين ونفر من قبيلة تجيب، وكشف أمرهم حسان بن

---

(١) المصدر السابق، ص٧٥.
(٢) الكندى: الولاة، ص٧٥.
(٣) المصدر السابق: نفس الصفحة.
(٤) المصدر السابق: نفس الصفحة.
(٥) المصدر السابق ، ص٧٥، ٧٦ .
(٦) من الخوارج الأباضية الذين ثاروا على مروان بن محمد واتخذوا من صنعاء مقرا لهم، وقدمت جيوشهم إلى مكة والمدينة في موسم الحج سنة ١٢٩ هـ وقامت بينهم وبين جيوش مروان معارك انتهت بهزيمتهم وقتل زعيمهم طالب الحق هذا سنة ١٣٠هـ وهرب من بقى منهم على قيد الحياة إلى حضر موت. (راجع المسعودى، مروج، جـ٣، ص٣٥٧).

عتاهية صاحب الشرطة فقبض عليهم وقتلهم حوثرة[1] وكانت هذه الحركة امتداداً لصراع الخوارج في المشرق وخاصة في اليمن ضد مروان بن محمد.

ولما توالت الهزائم على مروان بن محمد في المشرق أمام العباسيين اضطر إلى عزل حوثرة بن سهيل عن مصر ليساعده في قتاله ضد العباسيين، فخرج حوثرة من مصر في رجب سنة ١٣١هـ/ ٧٤٨م وبصحبته عشرة آلاف من قيس[2] ولكنه لم يتمكن من الصمود في وجه الزحف العباسى، وتتوالى الأحداث سريعة متلاحقة وكان على ولاية مصر ابتداء من جمادى الأخرة سنة ١٣٢ هـ- وهى السنة الحاسمة في تاريخ الصراع بين الأمويين والعباسيين - عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير، حيث تضطرب مصر بالثورة من أقصاها إلى أدناها.

ففى بداية ولاية عبد الملك بن مروان على مصر تحدثنا عن ثورة في الحوف الشرقى يتزعمها أحد أفراد البيت الاموى وهو عمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان، بتأييد من القيسية بزعامة الرماحس بن عبد العزيز الكندى[3]، وهذه الثورة مؤشر واضح على فساد أمر الدولة الأموية وانفراط عقدها، فها هو أحد أفراد البيت الأموى يدعو لنفسه بالخلافة في مصر وتؤيده القيسية تلك العصبية التى يعتمد عليها مروان بن محمد[4] فبعث إليهم وإلى مصر سبعة آلاف فارس فالتقوا في بلبيس ولكنه لم يحدث قتال، وتفاوض

---

(١) الكندى، الولاة، ص٧٦.
(٢) النجوم، جـ١، ص٣١٣،٣١٢.
(٣) الكندى ، الولاة، ص٧٨.
(٤) اضطرب أمر مروان بن محمد بعد هزيمته في الزاب (١١ جمادى الآخر ١٣٢ هـ) حتى ان أعوانه وولاة الأقاليم كانوا يثبون على مؤخرة جيشه وينتهبون عسكره، وعندما مر بدمشق هاجمه أحد أفراد البيت الأموى وهو الوليد بن معاوية وكان عامله على دمشق، وأدرك مروان بعد فوات الوقت الخطأ الذى وقع فيه بتعصبه للقيسية ضد اليمنية، وعبر عن ذلك بقوله" انفرجت عنى قيس انفراج الرأس، ما تبقى منهم أحد، وذلك أنا وضعنا الأمر في غير موضعه. (راجع : ابن قتيبة الأمامة ،جـ٢، ص١١٧، المسعودى، مروج، ج٣، ص٢٦٠، ٢٦١).

الطرفان على الصلح، على أن يخرج عمرو بن سهيل والرماحس إلى أى مكان يرغبانه[١] ".. بينما هم في ذلك إذ قدم عليهم الخليفة مروان الحمار من أرض الشام وقد انهزم من أبى مسلم الخراسانى، صاحب دعوة بنى العباس"[٢].

ويبدو لنا من استقراء النصوص التاريخية، وتتبع الأحداث السابقة أن العرب في مصر كانوا دائما على صلة بأحداث المشرق فكانت التجمعات القبلية بعصبيتها، أو ميولها المذهبية لها وزنها في التأثير على ما يجرى في عاصمة الخلافة الإسلامية،أما أهل مصر سواء منهم من أسلم أو ظل على دينه فإننا لا نلمح لهم أى تأثير على ما يجرى داخل أرضهم أو خارجها. ولكن على العكس من ذلك، فإن هذه الفترة التى نحن بصدد دراستها نجد أقباط مصر يقومون بدور خطير في تأييد العباسيين ضد الأمويين[٣] على أمل أن يكون العباسيين الذين رفعوا شعارات الاصلاح والمساواة أكثر رفقا بهم من الأمويين.

وتشير المصادر أن ثورة القبط في مصر ضد الحكم الأموي قد صاحبت بداية ولاية عبد العزيز بن مروان أو هزيمة مروان بن محمد عند نهر الزاب وكلاهما حدث في جمادي الأخرة سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م واستمرت هذه الثورة حتي قتل مروان بن محمد في أواخر ذي الحجة من نفس العام.

ونلاحظ أن المصادر العربية التي بين أيدينا تتناول هذه الثورة باقتضاب شديد، فنقرأ عن ثورة للقبط في سمنود فأرسل إليهم عبد العزيز بن مروان جيشا قضي عليها[٤] وقامت ثورة أخري بعد دخول مروان إلي مصر في أواخر شوال سنة ١٣٢هـ فبعث إليهم مروان جيشا فهزمهم[٥].

---

(١) الكندى، الولاة، ص٧٨.
(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.
(٣) سيدة الكاشف ، المرجع السابق، ص ٣٨.
(٤) الكندي : الولاة، ص٧٨، خطط المقريزي، جـ١، ص٧٩.
(٥) الكندي: الولاة، ص٨٠، خطط المقريزي، جـ١،ص٧٩، النجوم، جـ١، ص٣١٧.

ولكن الرواية المسيحية التي أوردها ساويري بن المقفع أكثر تفصيلا حيث يذكر أن ثورة للقبط اشتعلت في مصر تركزت في منطقة شمال الدلتا تسمي البشمور بالقرب من رشيد كما ذكرت المصادر العربية، وشاركهم أيضا أهل الصعيد بأسيوط[١] وامتنع أهل هذه البلاد عن دفع الخراج لوالي مصر عبد الملك بن مروان الذي حاول أن يقضي علي هذه الثورة قبل مجئ مروان بن محمد إلي مصر ولكنه فشل في ذلك، ولما وصل مروان إلي مصر مطاردا من العباسيين، علم بأمر هذه الثورة، ويبدو أن الخطر الأكبر كان في ثورة أهل البشمور وكان مروان يرغب في التفرغ لمتاعبة الأخري مع العباسيين ومع الثورات التي نشبت ضده وخلعت طاعته في جميع أقاليم مصر، لذلك نجده يحاول مهادنة القبط، فكتب إليهم كتبا بمنحهم الأمان[٢] فلم يستجيبوا له ويبدو أنهم كانوا متحصنين في مناطق من الصعب اختراقها من جانب المسلمين، فلما حاول مروان تأديبهم بأرسال قوات للقضاء علي ثورتهم منيت هذه القوات بالهزيمة، وحسب رواية ابن المقفع: ".. فلم يقدر العساكر الوصول إليهم بالجملة لأنهم تحصنوا في مواضع الوجلات التي لا يقدر أن يصل إليها سوي رجل رجل، فإذا زلت رجلة غطس في اللوق وهلك.. وكان العساكر يحرسونهم من البر فيخرج لهم البشامرة في الليل يتلصصوا عليهم ويقتلوا من قدروا علي قتله ويسرقوا أموالهم وخيلهم، فيطول عليهم الأمر فيرحلوا عنهم"[٣].

وفي نفس الوقت كانت أجناد مصر قد أعلنت خلع مروان بن محمد وتأييدها للدعوة العباسية، ففي الحوف الشرقي قاد شرحبيل بن مذيلفة الكلبي حركة الإنضمام إلي العباسيين[٤]، وفي الإسكندرية أعلن الأسود بن نافع الفهري- من نسل عقبة بن نافع- تبعيته للدولة العباسية وأظهر السواد شعار

---

(١) ساويرس بن المقفع، سيرة الآباء البطارقة، ص١٩١.
(٢) ساويرس: سير الآباء البطارقة، ص١٩١.
(٣) ساويرس: سير الآباء البطارقة، ص١٩١-١٩٢.
(٤) ابن دقماق، الإنتصار، ص٣٩.

العباسيين وسود عبد الأعلي بن سعيد بصعيد مصر، وسود يحيي بن مسلم بأسوان[١].

وكان علي مروان أن يقضي علي هذه الثورات قبل وصول القوات العباسية التي يعلم أنها في أثره فبعث زبان بن عبد العزيز بن مروان إلي الصعيد فالتقي بعبد الأعلي بن سعيد فهزمه وفر عبد الأعلي بحياته، كما أرسل جيشا إلي الإسكندرية بقيادة الكوثر بن الأسود لإخضاع الثورة فيها وحدث اشتباك بالقرب من المدينة انتهي لصالح الكوثر واستولي علي الإسكندرية وفر الأسود بن نافع منها[٢].

وقام الجند المروانية بأعمال السلب والنهب في المدينة التي تعد العاصمة الكنسية لمصر، وقبضوا علي الأنبا ميخائيل بطريرك الأقباط كما قبضوا علي بطريق الملكية[٣] وفرض عليهما الكوثر فدية من المال ليفرج عنهما، وتم الإفراج عن بطريك الملكية لدفعة الفدية، ولم يفرج عن البطريك القبطي وصحبة معه إلي رشيد علي أمل أن يحمل البشامرة علي العدول عن ثورتهم ولكن الباشمرة هاجموا القوات المحاصرة لهم ولم يخضعوا للتهديد واضطر مروان إلي رفع الحصار عن القبط الثائرين عندما علم بقرب وصول القوات العباسية إلي مصر حتي يمكنه أن يتقوي بهم علي عدوه الرئيسي[٤] كما استدعي مروان أيضا قواته المتحصنة في الإسكندرية إلي الفسطاط[٥] لنفس الغرض.

---

(١) الكندي، الولاة، ص٧٨.
(٢) الكندي: الولاه، ص٧٩.
(٣) ويطلق علي اتباعه الملكانية أيضا نسبة إلي كلمة "الملك" لاتباعهم لمذهب الإمبرطور البيزنطي ومخالفتهم لمذهب الأقباط المصريين حول طبيعة السيد المسيح. راجع: علي إبراهيم حسن، مصر في العصور الوسطي، ص٣٤،القاهرة،١٩٥٤م.
(٤) سيرة الآباء، ص١٩٣.
(٥) المصدر السابق، ص١٩٤.

ويروي ابن المقفع أن وفدا من أقباط مصر من البشامرة ذهب لاستقبال القوات العباسية عندما علموا بدخولهم أرض مصر والتقوا بهم عند الفرما وشرحوا لهم الموقف في مصر وعلاقتهم بمروان وموقفه من البطريق القبطي المسجون[١] الذي جعله مروان معه في حله وترحاله وهو مقيد.

وكان مروان بن محمد قد اتبع سياسة خطيرة منذ دخوله إلي أرض مصر تهدف إلي تدمير الغلات والمؤن والمدن وكل ما يمكن أن يعوق تقدم القوات العباسية أو يحملهم علي التراجع فعندما علم مروان وهو بالفرما أن صالح بن علي القائد العباسي قد وصل إلي العريش " أحرق ما كان حوله من علف وطعام وهرب"[٢].

ورأي مروان أن يتحصن بقواته غرب النيل وبدأ في تنفيذ خطته التي اعتقد إنه يمكن عن طريقها أن يمنع تقدم العباسيين ووصولهم إليه وأعلن النداء في الفساط بأن يغادرها أهلها خلال ثلاثة أيام تمهيدا لحرقها فهرب الناس منها حاملين ما خف حمله من متاعهم[٣] فارين بحياتهم وحرق مروان الفساطا كما أشعل النار في دار آل مروان المذهبة حتي لا تقع في أيدي العباسيين[٤]، وعبر مروان إلي الجيزة.بجنده وآلاته ومراكبه وأشعل النار في الجسرين[٥] اللذين يربطان ضفة النيل الشرقية بضفته الغربية واستقر مروان في الجيزة.

ولما علم بوصول القوات العباسية إلي الفرما أرسل فرقا من جيشه إلي الضفة الشرقية للنيل لتدمير ما يمكن تدميره من "المدن والكور والكروم

---

(١) المصدر السابق، ص١٨٩.
(٢) تاريخ الطبري، جـ٧،ص٤٤١، حوادث سنة١٣٢هـ.
(٣) سيرة الآباء، ص١٩٣.
(٤) النجوم، جـ١ ،ص٣١٦.
(٥) يروي المقريزي إنه كان فيما بين ساحل الفسطاط وجزيرة مصر جسر من خشب، وكذلك فيما بين الجزيرة وبر الجيزة جسر من خشب يمر عليهما الناس والدواب، وكان هذان الجسران من مراكب مصطفة بعضها بحذاء بعض وهي موثقة، ومن فوق المراكب أخشاب ممتدة فوقها تراب(خطط، جـ٢، ص١٧٠)- راجع الولاة، ص٩٤.

والسواقي وكل ما يجدونه"[١] وظلت هذه الفرق تقوم بعملها حتي وصول القوات العباسية إلي الضفة الشرقية للنيل واصطدمت بهذه القوات وهزمتها وأسرت بعض أفرادها[٢]، وواضح أن سياسة مروان بن محمد التدميرية ؟أشعلت غضب القبط بالإضافة إلي موقفه من الأنبا ميخائيل[٣]، لذلك نجد أن الأقباط يصطفون علي الضفة الشرقية للنيل بجانب العباسيين[٤] بعد أن أصبح هدف الجانبين هو القضاء علي مروان بن محمد.

وكان العباسيون مكتوفي الأيدي ينظرون إلي جيوش مروان في الضفة الغربية ولا يستطيعون العبور إليهم لعدم وصول السفن المصاحبة للقوات العباسية في تلك الفترة وكانت توجد بعض الأماكن التي يمكن للجند العبور منها دون سفن، ولم يكن العباسيون يعلمونها وكان مروان قد وضع عليها حراسة قوية لعلمه بها، واستغل مروان هذه الظروف وشحن بعض السفن التي معه بالمقاتله ودفعهم إلي الضفة الشرقية للنيل، وهاجم السفن العباسية بمجرد وصولها إلي أبي عون قائد القوات العباسية[٥].

ويروي ابن المقفع بأن مراكب مروان بن محمد كانت محصنة بمادة لا تجعل النار تؤثر فيها مما مكنه من حرق بعض سفن العباسيين ومنعهم من العبور[٦]، وأصبح العباسيون في موقف لا يمكنهم من الوصول إلي عدوهم عن طريق السفن، ولكن القبط المصاحبين للجيش العباسي تدخلوا في هذا الموقف العصيب ودلوا القائد العباسي علي بعض مخاضات لم يكن مروان علي علم بها

---

(١) سيرة الآباء، ص١٩٦.
(٢) تاريخ الطبري، جـ٧،ص٤٤١.
(٣) سيرة الآباء، ص١٩٨.
(٤) عبد الرحمن الرافعي، سعيد عاشور، مصر في العصور الوسطي، ص٥٢، (القاهرة١٩٧٠).
(٥) ابن قتيبة ، الإمامة، جـ٢، ص١١٩.
(٦) سيرة الآباء ص١٩٨.

فتمكن العباسيون من العبور خلالها إلي الجيزة واندفعوا بأعداد ضخمة[١] وفاجئوا مروان بن محمد "وهجموا علي عسكره" وضربوا الطبول وكبروا ونادوا: يالثارات إبراهيم، فظن من في عسكر مروان إنه قد أحاط بهم سائر المسودة"[٢] .

ودارت معركة فاصلة بين القوات العباسية وقوات مروان بن محمد ومن البديهي أن القبط قد شاركوا في هذه المعركة إلي جانب العباسين، علي أمل إنقاذ البطريق القبطي الذي في قبضة مروان، وتوالت الهزائم علي مروان وانتهي الأمر بقتله في قرية بوصير من أعمال الفيوم (٢٣ من ذي الحجة سنة١٣٢هـ/٧٤٩م) وقتل معه جمع كبير من بني أمية[٣]، وأرسل برأس مروان بن محمد إلي العراق[٤] إعلاناً عن زوال الدولة الأموية بقتل آخر خلفائها.

وكان من الطبيعي أن يقوم العباسيون بمكافأة أنصارهم في مصر، فأطلقوا سراح البطريك القبطي، واستجابوا إلي طلبه برفع الضرائب عن الكنائس في أنحاء البلاد، وخصوا البشامرة بإعفائهم من الخراج ومنحوهم مكافأة مالية[٥] كما أمر صالح بن علي بتخصيص المرتبات للمقاتلة وتوزيع الصدقات، ومنح الإقطاعات السخية لهؤلاء الذين أعلنوا تأييدهم للعباسيين قبل وصولهم إلي مصر، فاقطع شرحبيل بن مذيلفة الكلبي والأسود بن نافع الفهري، وعبد الأعلي ابن سعيد، إقطاعات واسعة كان بعضها من أملاك الأسرة الأموية في مصر[٦].

كما عرف العباسيون كيف يحافظون علي تأييد بعض العناصر المعتدلة في مصر رغم إنهم كانوا من أنصار الأمويين ومن الأمثلة علي ذلك أنهم منحوا

(١) سيرة الآباء، ص٢٠٢.
(٢) المسعودي، مروج، جـ٣، ص٢٦١.
(٣) المسعودي: مروج، جـ٣، ص٢٥٠.
(٤) سيرة الآباء، ص٢٠٥.
(٥) سيرة الآباء، ص٢٠٥.
(٦) راجع: الكندي، الولاة، ص٨١، ٨٢.

الأمان لآخر الولاة الأمويين علي مصر عبد الملك بن مروان لأنه" .. لم يفحش في حق بني العباس"[١]، ومنهم أيضا نسل معاوية بن حديج السكوني(ت٥٢هـ) الذين تولوا مناصب مهمة في العصر الأموي ويصفهم أبو المحاسن بأنهم" من أكابر المصريين من أعوان بني أمية" ورغم ذلك فقد منهحم العباسيون الأمان وأحسنوا إليهم[٢].

وفي نفس الوقت فإن العباسيين كانوا حريصين علي الانتقام من هؤلاء الذين أسرفوا في القتل في العصر الأموي، فقتلوا حوثرة بن سهيل الباهلي، وحسان بن عتاهية[٣] وطارد العباسيون أفراد الأسرة الأموية وأنصارهم في مصر، وكل من يحاول العطف عليهم وكان مصير من يقع في أيديهم هو القتل وغالوا في ذلك حتي أن صالح بن علي قتل أحد رجاله الذين شاركوا في قتال مروان بن محمد بمصر، وهو شعبة بن عثمان التميمي سنة١٣٣هـ/٧٥٠م، لأنه تستر علي أحد الأمويين الفارين.

وأصبحت مصر منذ دخول صالح بن علي إلي الفسطاط منتصرا في ٨ محرم سنة١٣٣هـ ولاية تابعة للدولة العباسية الناشئة وكان صالح بن علي أول الولاه العباسيين لتبدأ مرحلة جديدة من تاريخ مصر الإسلامية.

وهكذا تكاتفت العناصر المعادية للدولة الأموية في القضاء عليها لإفساح الطريق أمام قيام الدولة العباسية الناشئة، ولا يمكن الإدعاء بأن عناصر خراسانية أو فارسية، قد ساهمت في هذه المرحلة الأخيرة من الصراع لتأييد الثورة العباسية فى مصر بل كان للعرب الفضل الأول في ذلك.

وفي اعتقادنا إنه من المبالغة القول بأن سلطان العرب قد انتهي بسقوط الأمويين، وأن العصر العباسي قد شهد زوال النفوذ الذي تمتع به العرب في

---

(١) النجوم، جـ١، ص٣١٧.
(٢) النجوم، جـ٢، ص١٧.
(٣) النجوم، جـ١، ص٣١٧.

العصر الأموي[١] فالخلفاء العباسيون كانوا عربا هاشمين من جهة الأب علي الأقل. وكانوا يفخرون بنسبهم ويعتبرونه مصدر عزهم وفخرهم. ومع أنهم قربوا الفرس إلا أنهم سيطروا عليهم ونكلوا بهم حين استشعروا منهم الميل إلي التفرد والتعاظم وتناسوا أنهم خدام الدولة ،أو رغبوا في الإنحراف عنها كما فعل أبو سلمة الخلال ، فكان مصيره القتل[٢].

وكانت من أهم الإتهامات التي وجهها أبو جعفر المنصور إلي أبي مسلم الخراساني والتي اعتبرها أمرا جللا يستحق عليه القتل رغم أيادية البيضاء وما قدم للدولة العباسية من جليل الأعمال إلا أنه اقترب من المحظور عندما تجرأ علي أن يطلب إحدي العباسيات للزواج وهي "أمينة بنت علي بن عبد الله بن العباس"[٣] ، وإنه لما تمكن وقوي أمره ادعي إنه من ولد سليط بن عبد الله بن العباس[٤].

وهذا يدل علي أن أبا مسلم رغم ما حققه من مكانه مرموقة في الدولة العباسية، فقد كان يدرك إنه لا رفعة أفضل من أن يكون عربيا أو ينتسب إلي العرب ولو بالمصاهرة. وكان مصيره القتل لتطلعه إلي طلب المستحيل[٥].

وبإلقاء نظرة علي عمال الخليفة الأول ابي العباس السفاح ندرك حقيقة سيطرة العرب علي أقاليم الدولة بعد قيامها، ورغم تواجد أبي مسلم علي خراسان، إلا إنه لم تترك كل الأقاليم الشرقية تحت إدارته، فقد بعث أبو العباس

---

(١) انظر: حسين عطوان، الدولة العباسية، ص٢٨٥، محمد حمادة، الوثائق العائدة للجزيرة العربية، ص٢٦.

(٢) انظر: عن قتل أبي سلمه الخلال، محمد بن حبيب، أسماء المغتالين ص١٨٧-١٨٨، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٥٢، الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٨٢، المسعودي: مروج الذهب، جـ٢/ص٢٨٤-٢٨٥، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٢، ص١٩٥-١٩٧.

(٣) ابن حبيب: اسماء المغتالين: ص١٩٥.

(٤) النويري: نهاية الأرب، جـ٢٢،ص١٦.

(٥) انظر: تاريخ الموصل، ص١٢١، ابن الأثير، الكامل، جـ٥، ص١١٠، ١١١، ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ٢، ص١٥٤ ، ابن طباطبا، الفخري، ص١٢٩-١٤٠.

أبا اليقظان عثمان بن عدوة من ولد عمار بن ياسر واليا علي الأهواز. واسند ولاية فارس إلي سليمان بن حبيب المهلبي الأزدي(١)، وكان علي البصرة ابتداء من سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م وحتي وفاة السفاح عمه سليمان بن علي وعلي الكوفة عمه داود بن علي، ثم عزله ليرأس موسم الحج وولي مكانه عيسي بن موسي بن محمد العباسي، وكان علي الشام عبد الله بن علي(٢).

وكان علي مكة داود بن علي مضافا إليها المدينة، وبعد موت داود ولي أبو العباس مكانه خاله زياد بن عبد الله الحارثي، وعلي اليمامة عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب. وكان أبو جعفر المنصور -ولي العهد- علي الجزيرة وأرمينية وآذربيجان(٣).

وهكذا يتضح مدي سيطرة الأسرة العباسية والعناصر العربية المناصرة للدولة علي معظم الولايات الإسلامية، مما ينفي ما قيل عن تراجع الدور العربي وتعاظم النفوذ الفارسي أو الأعجمي في تلك الفترة.

---

(١) انظر: تاريخ الموصل، ص١٢٤-١٢٥.
(٢) ابن قتيبة: المعارف، ص٣٧٢-٣٧٥، ٣٧٣.
(٣) انظر: ابن حبيب: أسماء المغتالين، ص١٩٠، تاريخ ابن خياط، جـ٢، ص٤٢٧-٤٢٩، المسعودي: مروج الذهب جـ٢، ص٢٧٠.

الباب الثاني

الخلافة العباسية في عصرها الأول

الفصل الأول

عصر النشأة والنمو " ابو العباس السفاح- أبو جعفر المنصور "

الفصل الثاني

بدايات الصراع الأسري ودور الفرس ثيت ". المهدي- الهادي – الرشيد "

الفصل الثالث

مأساة الأخوين وتطور نفوذ العنصر الفارسي " الأمين – المأمون "

الفصل الرابع

الإنحدار إلي الهاوية وتغلغل العناصر الأجنبية " المعتصم – الواثق "

الفصل الأول

عصر النشأة والنمو

أولاً : أبو العباس السفاح.

ثانياً : أبو جعفر المنصور .

١ - ثورة عبدالله بن علي.

٢- نفوذ أبي مسلم والقضاء عليه.

٣- الحركات الفارسية المناوئة للخلافة.

٤- أبو جعفر المنصور والشيعة.

٥- تأسيس بغداد.

٦ - سياسة المنصور الخارجية.

أولا- أبو العباس السفاح:-

الخليفة العباسي الأول هو أبو العباس عبد الله بن محمد، ولد في الحميمة في عام١٠٤هـ/٧٢٢م وقيل في عام١٠٨/٧٢٦م من أمه ريطة الحارثية(١)، وقد بدأت الدولة العباسية به بعد أن بقي ملك بني أمية ألف شهر كاملة، ولقد اعتبرت الليلة التي تولي فيها أبو العباس الخلافة عند بني العباس ليلة القدر، التي وردت في القرآن الكريم في قوله تعالي: "ليلة القدر خير من ألف شهر" .

لم تطل الفترة التي قضاها أبو العباس في الخلافة فقد استمر في الحكم في الفترة ما بين عامي ١٣٢-١٣٦هـ/٧٤٩-٧٥٣م، وقد عرف أبو العباس في كتب التاريخ باسم أبي العباس السفاح وذلك استنادا علي كثرة المذابح التي وقعت في عهده ضد الأمويين. ويري بعض المؤرخين أن لقب السفاح لا يعني السفاك للدماء المحب للقتل، وإنما يعني المعطاء الكثير المنح، وقد جاء ذكر هذا اللقب لأول مرة عندما القي أبو العباس في أهل الكوفة خطابا جاء فيه: "يا أهل الكوفة أنتم أهل محبتنا ومنزل مودتنا... وقد زدتكم في أعطياتكم مائة درهم فاستعدوا فأنا السفاح المبيح والثائر المبير(٢).

فكلمة السفاح هنا لا تعني سفاك الدماء ولكنها تعني المعطاء الذي يسفح الدنانير، ويؤيد هذا الرأي أن المؤرخين قد وصفوه بأنه كان أسخي الناس وأكرمهم وإنه ما وعد وعدا فأخره عن وقته، وأنه كان إنسانا متسامحا كريما، يميل إلي العبادة والتصوف من ناحية، ومن ناحية أخري كان بسيطا مرحا يميل إلي مسامرة الرجال، ويطرب لسماع الأغاني ويصيح بالمطرب قائلا" أحسنت والله أعد هذا الصوت" ، كما كان له مضحك في مجالسه يدعي أبا دلامة، ثم إنه

---

(١) أنظر: اليعقوبي: تاريخه، جـ٢،ص٣٥١: ٣٥٣، ابن الأثير: الكامل جـ٥، ص٩٩.
(٢) ابن الأثير: المصدر السابق، جـ٥، ص٦٦.

لم يتزوج علي امرأته ولم يقرب غيرها حرة ولا أمة[١]، وقد وصفه المؤرخ ابن طباطبا بأنه كان كريما حليما وقورا، عاقلا كاملا كثير الحياء حسن الأخلاق[٢].

ويبدو أن السفاح المقصود بسفك الدماء هو: عبد الله بن علي عم أبي العباس وأنه قد حدث التباس بين الأثنين، وكان عبد الله هذا واليا علي الشام وهو مركز العصبية الأموية فكان يتصيد كل أموي كما يتصيد الوحوش فقد كان شديد الكراهية لهم[٣]، يُحكي إنه عندما وصل إلي نهر أبي فطرس قرب الرملة بفلسطين أمر بأن ينادي بالأمان إلي بني أمية، فأمن له بضعة وسبعون رجلا منهم، وأدخلوا في سرادق، ولكن عبد الله أمر بقتلهم، فقام الجنود الخراسانيين بالقضاء عليهم وقتلوهم عن آخرهم.

فلما قتلوا دعا عبد الله بالغذاء. وأمر ببسط فبسطت عليهم، وجلس فوقهم وهو يسمع أنينهم وحشرجتهم تحته، فلما فرغ من طعامه قال: ما أعلمني أكلت أكلة قط أهنأ ولا أطيب من هذه الأكلة، ثم جروهم من أرجلهم وعليهم سراويلات الوشي الحرير (قماش من الحرير المزين بالذهب) التي عرفوا بلبسها ثم حفر لهم بئرا وألقاهم فيه. ولم يكتف عبد الله بذلك بل عمد إلي نبش قبور الخلفاء الأمويين في كل مكان[٤]. إذ أن من المعروف أن بني أمية كانوا يدفنون خلفاءهم حيث يموتون. وبدأ عبد الله بنبش قبر معاوية مؤسس خلافتهم، ثم تتبع بقية القبور بالنبش والحرق، حتي يقضي علي كل أثر لهم علي الأرض[٥].

وقد أورد المسعودي في كتابه مروج الذهب رواية عن عمرو بن هاني جاء فيها: "خرجت مع عبد الله بن علي لنبش قبور بني أمية أيام أبي العباس

---

(١) انظر اليعقوبي: تاريخه، جـ٢ ص٣٥٩، ٣٦١. الجاحظ: التاج في أخلاق الملوك، بيروت د/ت، ص٤٠.
(٢) الفخري في الآداب السلطانية، ص١٥١.
(٣) انظر: الأزدي: تاريخ الموصل، ص١٢٥، ١٣٥. ابن الأثير: الكامل جـ٥، ص٧٠، ٧١.
(٤) ابن الأثير: الكامل ، جـ٥ ص٧٧، ٧٨.
(٥) ابن الأثير: المصدر السابق، جـ٥ ص٧٨. ابن طباطبا: الفخري، ص١٥٢.

السفاح فانتهينا إلي قبر هشام، فاستخرجناه صحيحا ما فقدنا منه إلا أورمة أنفه فضربه عبد الله بن علي ثمانين سوطا، ثم أحرقه. واستخرجنا سليمان من أرض دابق فلم نجد منه إلا صلبه وأضلاعه ورأسه فأحرقناه، وفعلنا ذلك بغيرهم من بني أمية وكانت قبورهم بقنسرين، ثم انتهينا إلي دمشق فاستخرجنا الوليد بن عبد الملك، فما وجدنا إلا شئون رأسه، ثم احتفرنا عن يزيد بن معاوية، فما وجدنا فيه إلا عظما واحدا ووجدنا مع لحده خطا أسود كأنما خطه بالرماد في الطول في لحده ثم اتبعنا قبورهم في جميع البلدان، فأحرقنا ما وجدنا فيها منهم"(١).

ومما يؤيد هذا الرأي ما رواه ابن خلدون من أن أبا العباس كان يكره سفك الدماء ويسعي إلي حقنها، وأنه عزل أخاه يحيي الذي كان واليا علي الموصل من قبله لما سمع إنه قتل أحد عشر ألفا من أهلها كذلك فإن المصادر التاريخية المهمة كمؤلفات الطبري واليعقوبي والجهشياري، لا تنسب هذا اللقب إلي الخليفة وإنما تذكره تحت اسم" أمير المؤمنين أبو العباس"(٢).

من هنا نري أن أبا العباس كان بريئا من كل هذه المذابح، والشئ الوحيد الذي يؤخذ عليه هو قتله لأبي سلمه حفص بن سليمان الخلال الذي كان يقال له وزير آل محمد، فقد أتهم بأنه كان يعمل علي تحويل الخلافة إلي العلويين فأوعز أبو العباس إلي أبي مسلم الخراساني بقتله ففعل.

أبو سلمة الخلال :-

هو جعفر بن سليمان الذي عرف بأبي سلمة الخلال وقد اختلف في سبب تسميته بهذا الإسم فقيل أن منزله بالكوفة كان قريبا من شارع الخلالين (صناع خلل السيوف اي أغمادها) وأنه كان يجالسهم كثيرا فنسب إليهم. أو أنه كان

---

(١) مروج الذهب، جـ٣ ص٢٦٢،٢٦٣. وأنظر أيضا: اليعقوبي. تاريخه، جـ٢ ص٣٥٥: ٣٥٧.

(٢) انظر: السيد عبد العزيز سالم: دراسات في تاريخ العرب، العصر العباسي الأول، إسكندرية، جـ١ ص٥١، ٥٢.

يصنع الخلل بنفسه فعرف بذلك أو أنه كان له حانوت يصنع به الخلال ويبيعها[١]. وهو مولي فارسي ينتسب إلي عدة قبائل عربية علي اختلاف الآراء[٢].

وتصف المصادر الخلال بأنه كان عالما بالسياسة وتدبيرها ذا غني ويسار أنفق من ماله بسخاء علي قيام الدولة العباسية والدعوة لها[٣]. وعلي الرغم من إقامته بالكوفة إلا إنه كان دائم الانتقال إلي خراسان للإشراف علي نشر الدعوة بها[٤].

ولما حققت القوات العباسية انتصاراتها واتجهت غربا ودخلت الكوفة سلم رجالها بالرياسة لأبي سلمة وسموه وزير آل محمد[٥]. وعندما قام مروان ابن محمد آخر خلفاء بني أمية بالقبض علي إبراهيم بن محمد وأودعة السجن كما سبق أن ذكرنا من قبل أوصي إبراهيم بالأمر لأخيه أبي العباس وأمر أهله بالرحيل إلي الكوفة حيث قام أبو سلمه بإخفائهم وتولي خدمتهم بنفسه[٦].

وتروي المصادر أن أبا سلمة الخلال فكر في من يصلح لإسناد الخلافة إليه فهداه تفكيره أن ينقل الخلافة إلي بني علي بن أبي طالب بدلا من بني العباس[٧]. فبعث إلي ثلاثة منهم هم : جعفر بن محمد الصادق وعبد الله

---

(١) انظر: الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص٨٣،٨٤. ابن طباطبا: الفخري، ص١٥٣، ١٥٤.

(٢) قيل مولي لبني الحارث بن كعب، وقيل مولي لبني مسلية الأزدية وقيل مولي لبني السبيع الهمدانية القضاعية. انظر الجهشياري :المصدر السابق، نفس الصفحات. البلخي: البدء والتاريخ، جـ٦ ص٦٠. ابن طباطبا: المصدر السابق، ص١٥٣.

(٣) ابن طباطبا: الفخري، ص١٥٤.

(٤) انظر الجهشياري: الوزراء والكتاب ص٨٤. البلخي: البدء والتاريخ جـ٦، ص٦٠. ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص١٥.

(٥) انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ٧ ص٣٢٩.البلخي: المصدر السابق، جـ٦ ص٦٥. ابن الأثير: الكامل،جـ٥، ص١٥.

(٦) الطبري: المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة. ابن الأثير: المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

(٧) انظر: محمد بن حبيب: أسماء المغتالين من الأشراف، جـ٢ ص١٨٧. الطبري: المصدر السابق، جـ٧ ص٤٢٣، البلخي: المصدر السابق، جـ٦ ص٦٦.

المحض بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وعمر الأشرف بن زين العابدين. وانفذ كتبه إليهم مع رجل من مواليه فقال له: "اقصد أولا جعفر بن محمد الصادق، فإن أجاب فأبطل الكتابين الآخرين فإن لم يجب فالق عبد الله المحض، فإذا أجاب فابطل كتاب عمر، وإن لم يجب فألق عمر فذهب الرسول إلي جعفر الصادق أولا: ودفع إليه كتاب أبي سلمة، فقال: "ما لي ولأبي سلمة"، وهو صنيعة لغيري؟ فقال الرسول: "اقرأ الكتاب" .فقال جعفر الصادق لخادمه "أدن السراج مني فأدناه. فوضع الكتاب علي النار حتي احترق فقال الرسول: "ألا تجيبه؟" قال: "قد رأيت الجواب".

ثم مضي الرسول إلي عبد الله المحض، ودفع إليه الكتاب، فقرأه وقبله، وركب في الحال إلي جعفر الصادق، وقال: "هذا كتاب أبي سلمه يدعوني فيه إلي الخلافة قد وصل علي يد بعض شيعتنا من أهل خراسان" فقال له جعفر الصادق: ومتي كان أهل خراسان شيعتك؟ أأنت وجهت إليهم أبا مسلم؟ هل تعرف أحدا منهم باسمه أو بصورته؟ فكيف يكونون شيعتك وأنت لا تعرفهم وهم لا يعرفونك؟ "فقال عبد الله: كأن هذا الكلام منك لشيء؟ "فقال الصادق لقد علم الله أني أوجب النصح علي نفسي لكل مسلم، فكيف أدخره عنك، فلا تمن نفسك بالأباطيل، فإن هذه الدولة ستتم لهؤلاء، فقد جاءني مثل هذا الكتاب الذي جاءك "فانصرف عبد الله من عنده غير راض، وأما عمر بن زين العابدين، فإنه رد الكتاب وقال: "أنا لا أعرف صاحبه فأجيبه"(١).

وقد أثار هذا العمل حفيظة أبي العباس علي الخلال ولكنه لم يكن باستطاعته القضاء عليه فقد كان في حاجة إلي مساعدته هو ورجاله في هذه المرحلة الحرجة من الدعوة العباسية.

وتذكر المصادر أن أبا العباس عزم علي القضاء علي أبي سلمة الخلال فقال له داود بن علي: "لا آمن عليك أبا مسلم إن فعلت أن تستوحش، ولكن

---

(١) اليعقوبي: تاريخه، جـ٢ ص٣٤٩. الجيشهاري: الوزراء والكتاب، ص٨٦. البلخي: البدء والتاريخ، جـ٦ ص٦٧.

أكتب إليه، فعَرفه ما كان من أبي سلمه فكتب أبو العباس إلي أبي مسلم الخراساني وأخبره أن أبا سلمة الخلال يعمل علي نقل الخلافة إلي العلويين ويقول له: إني قد وهبت جرمه لك" (١) ففطن أبو مسلم أن أبا العباس إنما يحثه علي القضاء علي الخلال فوجه أبو مسلم المرار بن أنس الضبي(٢) ومعه جماعة من أهل خراسان للقضاء علي أبي سلمة. فلما وصلوا أمر السفاح مناديا بأن ينادي في الكوفة "أن أمير المؤمنين قد رضي عن أبي سلمه" ثم دعاه قبل مصرعه بيوم واحد وخلع عليه ومنحه الصلات والعطايا، ثم دعاه وسهر معه عامة الليلة. وفي أثناء انصرافه إلي منزله، اعترضه المرار ورجاله وقتلوه(٣) وعندما قيل لأبي العباس "أن ابا سلمة قتله الخوارج قال لليدين والفم ومعناه كبه الله حتي يسقط علي يديه وفمه. وسر السفاح بمقتل أبي سلمة سرورا عظيما، وانشد بتلك المناسبة بيتا من الشعر فقال:

إلي النار فليذهب ومن كان مثله مسافه علي اي شئ فاتنا منه تأنسف(٤)

وبفضل تلك الخطة المحكمة لم يحدث اي رد فعل من جانب الرعية، بل علي العكس فقد علموا بعزمه علي الغدر والخيانة تجاه العباسيين فسروا لمقتله ولعنوه علي باب قصر الخليفة(٥).

ثانيا- أبو جعفر المنصور:-

توفي أبو العباس في الهاشمية يوم الأحد ١٣ من ذي الحجة سنة ١٣٦هـ/ايونيو ٧٥٣م، وولي الخلافة بعده أخوه أبو جعفر المنصور

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوكن جـ٧ ص٤٥٠،٤٤٩. الجهشياري: المصدر السابق، ص٩٠. المسعودي: مروج الذهب،جـ٣ ص٢٨٤.
(٢) من بني ضبة المضرية، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، جـ١ ص٢٠٤.
(٣) وذلك في رجب سنة١٣٢هـ. انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ٧ ص٤٤٩. ابن خلكان: وفيات الأعيان،جـ١ص٤٤٦.
(٤) المسعودي: مروج الذهب، جـ٣ ص٢٨٥.
(٥) ابن حبيب: أسماء المغتالين من الأشراف، جـ٢ ص١٨٨.

بالله(١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٤-٧٧٥م) [1]، ويعتبر المنصور المؤسس الحقيقي للدولة العباسية، كما أن الخلفاء الخمسة والثلاثين الذين تلوه كانوا كلهم من نسله، وقد استطاع المنصور أن يقضي بحزمه وجده علي الحركات المعارضة التي ظهرت في عهده. وكان أشدها حركة عمه عبد الله بن علي[2]، والذي ادعي أن أبا العباس لما أرسله لقتال مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين بالشام قد وعده بالخلافة من بعده، وشهد له جماعة بذلك، وزعم إنه حين أراد أبو العباس أن يوجه الجند إلي مروان دعا أخوته وقال: "من انتدب منكم إلي مروان، فهو ولي عهدي"[3].

١- ثورة عبد الله بن علي:

لهذا كان علي ابي جعفر أن يحارب هذا الخطر وخاصة أن عبد الله قام بمبايعة نفسه بالخلافة عندما علم بوفاة أبي العباس معتمدا علي الجيش الذي تحت قيادته والذي كان قد أعده أبو العباس لقتال الروم كما سبق أن رأينا. واستشار أبو جعفر قائده أبو مسلم الخراساني الذي أجابه قائلا: " أنا أكفيك أمره إن شاء الله، إن عامة جنده من أهل خراسان وهم لا يعصونني" فوجهة أبو جعفر إليه، مع عدد كبير من الجنود الخراسانين[4]، ومع ذلك فقد حرص كل من أبي مسلم والخليفة المنصور علي مباغته عبد الله بن علي وخداعه، كي يضمنا الانتصار عليه والقضاء علي ثورته.

فبعث أبو مسلم برسالة إليه جاء فيها: "إني لم أؤمر بقتالك ولم أوجه له، ولكن أمير المؤمنين ولاني الشام وإنما أريدها"[5]. وبعث أبو جعفر المنصور

---

(١) ابن الأثير: الكامل، جـ٥ ص٩٩.
(٢) انظر التفاصيل في: ابن الأثير: المصدر السابق، جـ٥ ص١٠٤:١٠٢.
(٣) ابن الأثير: المصدر السابق، جـ٥ ص١٠٢.
(٤) ابن الأثير: الكامل، جـ٥ ص١٠٣ (وتجدر ملاحظة ما سبق شرحه عن أهل خراسان وجند خراسان).
(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ٧ ص٤٧٦. وانظر: ابن الأثير: المصدر السابق نفس الجزء والصفحة.

برسالة أمان جاء فيها:"... وإن أنا نلت عبد الله بن علي أو أحدا ممن أقدمه معه بصغير من المكروه أو كبير، أو أوصلت إلي أحد منهم ضررا سرا أو علانية، علي الوجوه والأسباب كلها تصريحا أو كناية أو بحيلة من الحيل فأنا أنفي من محمد بن علي بن عبد الله ومولود لغير رشده، وقد حل لجميع أمة محمد خلعي وحربي وإعانة من ناوءني من جميع الخلق، ولا موالاة بيني وبين أحد من المسلمين، وهو متبرئ من الحول والقوة ومدع إن كان إنه كافر بجميع الأديان ولقي ربه علي غير دين ولا شريعة محرم المأكل والمشرب والمناكح والمركب والرق والملك والملبس علي الوجوه والأسباب كلها. وكتبت بخطي ولا نية لي سواه ولا يقبل الله مني إلا إياه والوفاء به"[١].

وقد انطلت الخدعة علي جند عبد الله بن علي فأشاروا عليه بالإنسحاب من مواقعهم والتوجه إلي الشام للدفاع عنه وقالوا له: "كيف نقيم معك وهذا يأتي بلادنا وفيها حرمنا فيقتل من قدر عليه من رجالنا ويسبي ذرارينا، ولكنا نخرج إلي بلادنا فنمنعه حرمنا وذرارينا ونقاتله إن قاتلنا" . فلم يجد ابن علي بدا من الاستجابة لمطالبهم والنزول علي رغبتهم، فغادروا معسكرهم ودخلوا الشام[٢].

عندئذ تحرك أبو مسلم بجيشه صوب الشام وعسكر بموقف الجيش المنسحب واستعد للهجوم علي أهل الشام، فاضطر ابن علي وجنده إلي القتال.

ولما كان جيش ابن علي يضم أعدادا كبيرة من الخراسانيين، فقد خاف انضمامهم إلي أبي مسلم، فأمر صاحب شرطته بقتلهم فقتل منهم كما يذكر الطبري[٣] قرابة سبعة عشر ألفا، وخاصة أن أبا مسلم كان قد نادي فيهم: يا أهل خراسان ارجعوا فتراجعوا، وقد أدي هؤلاء الخراسانيين إلي إضعاف جيش عبد الله بن علي[٤].

---

(١) الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص١٠٤.
(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ٧ ص٤٧٧،٤٧٦.
(٣) تاريخ الرسل والملوك، جـ٧ص٤٨٣،٤٨٢.
(٤) وانظر: المسعودي: مروج الذهب، جـ٣ ص٣٠٢.

ودار القتال بين الجانبين ودام حوالي ستة أشهر، وكان النصر حليف أبي مسلم عام١٣٧هـ/٧٥٤م. وفر عبد الله بن علي هاربا فتوجه إلي أخيه سليمان بن علي والي البصرة آنذاك واحتمي به وظل مختفيا عنده، ثم بعث الخليفة المنصور في طلبه فاضطر سليمان إلي تسليمه له في سنة١٣٩هـ/٧٥٦م فحبسه المنصور ثم تخلص منه١٤٧هـ/٧٦٤م[1].

ومن جهة أخري، فخشي أهل الشام من نقمة الخليفة المنصور لتحالفهم مع خصمه عبد الله بن علي وتأييدهم لثورته حيث كانوا عصب الجيش المحارب ضد جيش الخليفة، لذلك نجدهم يتوافدون علي الخليفة المنصور ويعتذرون إليه عما بدر منهم ويطلبون منه العفو والصفح عنهم، فوفد جماعة من أشرافهم وتقدم أحدهم[2] إلي الخليفة قائلا له: "يا أمير المؤمنين، إنا لسنا وفد مباهاة ولكنا وفد توبة فنحن بما قدمنا معترفون وبما سلف منا معتذرون، فإن تعاقبنا فيما أجرمنا، وإن تعف عنا فطالما أحسنت إلي من أساء. فقال المنصور: انت خطيب القوم، ورد عليه ضياعة في الغوطة".

وقام آخر[3] فقال: "يا أمير المؤمنين، من انتقم فقد شفي غيظه وانتصف، ومن عفا تفضل، ومن أخذ حقه لم يجب شكره، ولم يذكر فضله وكظم الغيظ حلم والتشقي طرف من الجزع، ولم يمدح أهل التقي والنهي من كان حليما بشدة العقاب، ولكن بحسن الصفح والاغتفار وشدة التغافل. وبعد فالمعاقب مستدع لعداوة أولياء الذنب، والعافي مسترع لشكرهم آمن من مكافأتهم، ولأن يثني عليك باتساع الصدر خير من أن توصف بضيقه، علي أن إقالتك عثرات عباد الله موجب لإقالة عثرتك من ربهم موصول بعفوه، وعقابك إياهم موصول بعقابه، قال الله عز وجل: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[4].

---

(١) ابن الأثير: الكامل، جـ٥ ص١٨٣.
(٢) هو الحارث بن عبد الرحمن.
(٣) لم تذكر المصادر اسمه.
(٤) سورة الأعراف، الآية رقم ١٩٩.الحصري القيراواني: زهر الآداب جـ٣ ص٧٨٣.

٢- نفوذ أبي مسلم والقضاء عليه:-

كذلك وجد أبو جعفر إنه لابد له من القضاء علي أبي مسلم الخراساني وقد رأينا من قبل مدي النفوذ الذي كان يتمتع به في عهد أبي العباس السفاح وكان بين أبي جعفر وأبي مسلم عداءاً شخصيا من قبل أن يتولي المنصور الخلافة وتروي المصادر أن أبا مسلم كان يستخف بأبي جعفر وهو وليا للعهد ويكتب له في المراسلات من أبي مسلم إلي أبي جعفر، و" كان يأتيه الكتاب من أمير المؤمنين، فيقرأه ثم يلوي شدقه علي سبيل السخرية منه"(١).

وكان أبو العباس السفاح قد بعث أخاه عقب مقتل أبي سلمة الخلال إلي أبي مسلم بخراسان فرأي بنفسه مدي النفوذ الذي وصل إليه أبو مسلم هناك فعاد يقول للسفاح " لست بخليفة ما دام أبو مسلم حيا. فاحتل لقتله قبل أن يفسد عليك أمرك فلقد رأيته وكأن لا أحد فوقه ومثله لا يؤمن غدره ونكثه"(٢).

كذلك كان المنصور في حياة أخيه- يتوقع أن يجله أبو مسلم ويقدم له الولاء والطاعة. لكننا نجد أن أبا مسلم كان يتجه بهذا الإجلال والإكبار والولاء إلي الإمام فقط. ويأنف من الإنحناء لسواه، ويذكر ابن عبد ربه في كتابة العقد الفريد أن أبا مسلم دخل علي السفاح وعنده المنصور فسلم أبو مسلم علي أبي العباس فقال له: يا أبا مسلم هذا أبو جعفر، فأجاب أبو مسلم: يا أمير المؤمنين، هذا موضع لا يؤدي فيه إلا حقك".(٣)

كذلك يروي أنهما لما خرجا للحج معا كان أبو مسلم يتقدمه بالإحسان وإصلاح الطرق، فكان الذكر كله له(٤). ولما أراد أن يشعر أبا مسلم بأنه أحد

---

(١)انظر: ابن حبيب: أسماء المغتالين، جـ٢ ص١٩٣. الدينوري: الأخبار الطوال، ص٣٧٦، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٢ ، ص٣٢٩.

(٢) الدينوري: الأخبار الطوال، ص٣٧٦. وانظر أيضا: ابن حبيب: أسماء المغتالين من الأشراف، جـ٢ ص١٩٣.

(٣) وانظر: الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص٩٣. ابن الأثير: الكامل، جـ٥ ص٩٨.

(٤) انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ٧ ص٤٧٠. ابن الأثير: المصدر السابق، جـ٥ ص١٠٥.

عماله، أرسل إليه رسولا ليحصي الغنائم التي استولي عليها بعد انتصاره علي عبد الله بن علي. وغضب أبو مسلم لهذا الإجراء وقال " أؤتمن علـــي الأرواح ولا أؤتمن علي الأموال، قبح الله أبا جعفر"[١].

- التراشق بالرسائل:-

شد أبو مسلم رحاله إلي خراسان، وأخذ الخليفة يعمل جاهدا ليمنعه من الوصول إلي هناك حتي لا تفسد عليه خططه فكتب إليه أنه قد ولاه علي مصر والشام، وكان يهدف من وراء ذلك إبعاده عن خراسان. وقال له " قـــد وليتـــك مصر والشام، فهي خير لك من خراسان، فوجه إلي مصر من أحببـــت وأقـــم بالشام فتكون بقرب أمير المؤمنين فإن أحب لقاءك أتيته من قريب"[٢]. غير أن مسلم لم يقنع بذلك بل ثار وغضب ورفض عرض الخليفة. فبعث إليه الخليفـــة بكتاب آخر يأمره بالقدوم إليه فقال له " اريد مناظرتك في أمور لـــم يحتملهـــا الكتاب فخلف عسكرك حيث أنتهي إليك كتابي فاقدم علي". [٣]

فأجابة أبو مسلم برسالة قال فيها :" إنه لم يبق لأمير المؤمنين- أكرمه الله- عدو إلا أمكنه الله منه، وقد كنا نروي عن ملوك آل ساسان أن أخوف ما يكون الوزراء إذا سكنت الدهماء. فنحن نافرون من قربك حريصون علي الوفاء بعهدك ما وفيتنا حريون بالسمع والطاعة غير أنها من بعيـــد حيـــث تقارنهـــا السلامة، فإن أرضاك ذاك فأنا كأحسن عبيدك، فإن أبيت إلا أن تعطي نفـــسك إرادتها انقضت ما أبرمت من عهدك ضنا بنفسي".

ورد عليه الخليفة المنصور قائلا:" قد فهمت كلامك وليست صفتك صفة أولئك الوزراء الغششة ملوكهم الذين يتمنون اضطراب حبـــل الدولـــة لكثـــرة جرائمهم فإنما راحتهم في انتشار نظام الجماعة، فلم سويت نفسك بهم؟ فأنت في

---

(١) المسعودي: مروج الذهب، جـ٣ ص٣٠٢.
(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، جـ٧ ص٤٨٢.
(٣) الدينوري: الأخبار الطوال، ص٣٧٩.

طاعتك ومناصحتك واضطلاعك بما حملت من أعباء هذا الأمر علي ما أنت عليه وليس مع الشريطة التي أوجبت منك سمعا ولا طاعة، وحمل إليك أمير المؤمنين عيسي بن موسي رسالة لتسكن إليها أن اصغيت إليها. وأسأل الله أن يحول بين الشيطان ونزعاته وبينك فإنه لم يجد بابا يفسد فيه نيتك أوكد عنده وأقرب من طبه من الباب الذي فتحه عليك" (١).

وأردفه برسالة أخري تقول: " أما بعد : فإنه يرين علي القلوب ويطبع عليها المعاصي، فع أيها الطائش وأفق أيها السكران وانتبه أيها النائم فإنك مغرور بأضغاث أحلام كاذبة، في برزخ دنيا قد غرت من كان قبلك وسم بها سوالف القرون هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا. وإن الله لا يعجزه من هرب ولا يفوته من طلب، ولا تغتر بمن معك من شيعتي وأهل دعوتي، فكأنهم قد صالوا عليك بعد أن صالوا معك إن أنت خلعت الطاعة وفارقت الجماعة وبدا لك من الله ما لم تكن تحتسب. مهلا مهلا احذر البغي أبا مسلم، فإن من بغي واعتدي تخلي الله عنه ونصر عليه من يصرعه لليدين والفم، واحذر أن تكون سنة في الذين قد خلوا من قبلك، ومثلة لمن يأتي بعدك، فقد قامت الحجة وأعذرت إليك وإلي أهل طاعتي فيك. قال تعالي: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾. (٢)

ومن استقراء نص هذه الرسالة يتضح استعمالها اسلوب التحذير والتهديد من جانب الخليفة لأبي مسلم، بعد إن كان في رسالته السابقة يدعو له بالهداية وحسن الطاعة، وجاء رد أبي مسلم أكثر عنفا وأشد نكاية فأجابه بقوله: "أما بعد: فقد قرأت كتابك فرأيتك فيه للصواب مجانبا وعن الحق حائدا إذا تضرب فيه الأمثال علي غير أشكال، وكتبت إلي فيه آيات منزلة من الله للكافرين.(هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.وإني والله ما انسلخت

(١) الطبري : المصدر السابق، جـ٧ ص٤٨٣.
(٢) سورة الأعراف الأية ١٧٥.

من آيات الله، ولكنى يا عبد الله بن محمد، كنت رجلا متأولا فيكم من القــرآن آيات أوجبت لكم بها الولاية والطاعة ، فأئتممت بأخوين لك من قبل ثم بك من بعدهما فكنت لهما شيعة متدينا أحسبني هاديا مهتديا وأخطأت في التأويل وقديما أخطأ المتأولون.

وقد قال تعالي: ﴿وَإِذَا جَاءكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِـن بَعْـدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. (١) وإن أخاك السفاح ظهر في صورة مهدي وكـان ضالا فأمرني أن أجرد السيف واقتل بالظنة وأقدم بالشبهة وأرفع الرحمـة ولا أقيل العثرة، فوترت أهل الدنيا في طاعتكم وتوطئة سلطانكم حتي عرفكم الله من جهلكم، ثم إن الله سبحانه تداركني بالندم واستنقذني بالتوبة، فإن يعـف عنـي ويصفح فإنه كان للأوابين غفورا، وإن يعاقبني فبذنوبي، ومـا ربـك بظـلام للعبيد"(٢).

وهكذا تطاول أبو مسلم علي الخليفة المنصور وتجـاوز كـل مظـاهر الطاعة والولاء، وباتت المصالحة بين الرجلين بعيدة المنال، وجاء رد الخليفـة قويا وحاسما فأجابه بقوله: " أما بعد أيها المجرم العاصي: فإن أخي كان إمـام هدي يدعو إلي الله علي بينة من ربة فأوضح لك السبي وحملك علـي المـنهج السديد، فلو بأخي اقتديت لما كنت عن الحق حائدا، وعن الـشيطان وأوامـره صادرا. ولكنه لم يسنح لك أمران إلا كنت لأرشدهما تاركا ولأغوائهما راكبـا تقتل قتل الفراعنة وتبطش بطش الجبابرة وتحكم بالجور حكم المفسدين وتبـذر المال وتضعه في غير مواضعه فعل المسرفين. ثم من خبري– أيها الفاسـق– أني قد وليت موسي بن كعب خراسان، وأنا موجه للقائك أقرانك فأجمع كيـدك وأمرك غير مسدد ولا موفق(٣).

---

(١) سورة الأنعام، الأية٥٤.
(٢) ورد نص هذه الرسالة في الطبري جـ٧ ص٤٨٤ وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي جـ١٠ ص٢٠٨-٢٠٩ وفي غيرهما من المصادر. وهناك اختلافات في نصوص هذه الرسائل.
(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٠ ص٦٩، ٦٨.

ولكن أبا مسلم لم يعبأ بذلك وواصل سيره نحو خراسان[١]، فطلب أبو جعفر من وجوه بني هاشم الكتابة إليه يدعونه إلي التمسك بالطاعة، ويحذرونه من العصيان، ويزينون له الحضور عنده والإعتذار إليه[٢]، ويبدو أن أبا مسلم قد انخدع بهذه السياسة وتوجه إلي لقاء أبي جعفر، حتي إذا ما أصبح قريبا من مكانه أرسل إليه الأخير وزيره أبا أيوب لاستقباله[٣]، حتي إذا ما دخل عليه أدناه وقربه وأكرمه، ثم أمره أن يعود إلي خيمته ويستريح، ويدخل الحمام ويعود من الغد فمضي وكان الخليفة قد دبر خطة لقتله.

-فلما كان اليوم التالي بعث أبو جعفر يستدعي أبا مسلم، وقد كلف أربعة من الحراس بأيديهم السلاح بالوقوف وراء الستار، وأوصاهم الخليفة إنه إذا ما ضرب بإحدي يديه علي الأخري فإنهم يخرجون ويقومون بقتل أبي مسلم. فلما دخل أبو مسلم علي الخليفة نزع الحرس سلاحه ما عدا سيفه الخاص، ودار بينهما حديث كان الخليفة فيه يكيل التهم لأبي مسلم بينما الأخير يحاول تبرئة نفسه منها، ومن تلك التهم: أتهام ابي مسلم بأنه يحاول الوصول إلي الخلافة عن طريق إدعاء النسب العباسي، وقتله الدعاة، وأمور مالية وأخري نسائية[٤].

فمما قاله له: أخبرني عن سيفين وجدتهما في عسكر عبد الله بن علي "فقال أبو مسلم: هذا أحدهما وكان في يده سيف. فأخذه المنصور ووضعه تحت مصلاه. ثم شرع في توبيخه وتقريعه علي ذنب ،ذنب. وأبو مسلم يعتذر عن كل واحد بعذره فعدد عليه عدة ذنوب فقال أبو مسلم: يا أمير المؤمنين، مثلي لا يقال له هذا ولا تعدد عليه مثل هذه الذنوب بعدما فعلت، فاغتاظ المنصور وقال:

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ٧ ص٤٨٢،٤٨٣. ويذكر إنه عزم علي خلع طاعة الخليفة والاستقلال بخراسان.

(٢) المصدر السابق، نفس الجزء والصفحات.

(٣) عن الوزير أبي أيوب المورياني. انظر: ابن طباطبا: الفخري، ص١٧٦.

(٤) انظر تفاصيل الحوار الذي دار بين المنصور وأبي مسلم في الطبري: المصدر السابق، جـ٧ ص٤٩١. الدينوري: الأخبار الطوال، ص٣٨١. ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٢ ص٣٢٩.

يا ابن اللخناء(١)، انت فعلت؟ والله لو كانت مكانك أمة سوداء لفعلت ما فعلت، وهل نلت ما نلت إلا بنا وبدولتنا؟ فقال أبو مسلم: دع هذا، فقد أصبحت لا أخشي غير الله فضرب المنصور بيده علي الأخري، فخرج أولئك النفر بالسيوف، فصاح أبو مسلم: استبقني يا أمير المؤمنين لعدوك. فقال المنصور: وأي عدو لي أعدي منك؟ ثم أمر به فلف في بساط.

ودخل عيسي بن موسي فقال: اين أبو مسلم يا أمير المؤمنين، فقال المنصور: هو ذاك في البساط، فقال: قتلته، قال: نعم، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون. فقال له المنصور: خلع الله قلبك. والله ليس لك علي وجه الأرض عدو أعدي منه، وهل كان لكم ملك في حياته؟ "(٢).

ومن الواضح أن العباسيين كانوا يدركون خطورة العنصر الفارسي، ويخشون من ثورتهم إنتقاما وثأرا لمقتل أبي مسلم فحاولوا تهدئة نفوسهم وإرضاء خواطرهم، فخطبوا فيهم وشرحوا لهم ما ارتكبه أبو مسلم من جرائم في حقهم وحق الدولة.

فلما قتل المنصور أبا مسلم ألقي إلي اتباعه رأسه مع صرر المال وصعد عيسي بن علي إلي سطح القصر وخاطب أتباعه بقوله:

يا أهل خراسان: إنما كان أبو مسلم عبدا من عبيد أمير المؤمنين وجد عليه فقتله فليفرخ روعكم، فإن أمير المؤمنين بالغ آمالكم(٣).

ثم خطب المنصور خطبة أخري فقال:

أيها الناس: لا تنفروا أطيار النعم بترك الشكر فتحل بكم النقم ولا تسروا غش الأئمة فإن أحدا لا يسر منكم شيئا إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات

---

(١) يا ابن الخبيثة في الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ٧ ص٤٩١.
(٢) انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ٧ ص٤٩١، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٢ ص٣٣٠.
(٣) أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص٣٨٢.

وجهة وطوالع نظره. وإنا لن نجهل حقوقكم ما عرفتم حقنا، ولا ننسي الإحسان إليكم ما ذكرتم فضلنا، ومن نازعنا هذا القميص أو كأنا أم رأسه حتي يستقيم رجالكم وترتدع عمالكم. إن هذا الغمر أبا مسلم أحسن مبتديا وأساء منتهيا وأخذ من الناس بنا لنفسه أكثر مما أعطانا، ورجح قبيح باطنه علي حسن ظاهره، وعلمنا من خبث سريرته وفساد نيته ما لو علم اللائم لنا فيه لما لام، ولو اطلع علي ما أطلعنا عليه منه لعذرنا في قتله وعنفنا في إمهاله، وما زال ينقض بيعته ويخفر ذمته حتي أحل لنا عقوبته وأباحنا دمه فحكمنا عليه حكمه علي غيره ممن شق العصا ولم يمنعنا الحق له من إمضاء الحق فيه[1].

٣- *الحركات الفارسية المناوئة للخلافة:-*

وعلي الرغم من ذلك، فقد كان لمقتل أبي مسلم الخراساني علي هذا النحو أسوأ الأثر في خراسان، حيث ظهرت بها الكثير من الحركات الفارسية المعادية للدين والدولة والمطالبة بالثأر والانتقام من العباسيين لمقتل زعيمهم أبي مسلم. فقد ظهر أحد أتباع أبي مسلم ويدعي سنباذ المجوسي وأعلن ثورة عسكرية مسلحة ضد الخليفة المنصور وطالب بالثأر لمقتل أبي مسلم، وفي هذا الشأن يقول الطبري: "كان" سنباذ" مجوسيا من أهل قرية من قري نيسابور يقال لها(أهن)، وإنه كثر أتباعه لما ظهر، وكان خروجه غضبا لقتل أبي مسلم فيما قيل، وطلب بثأره، وذلك إنه كان من صنائعة وغلب حين خرج علي نيسابور وقومس والري، فلما صار إلي قبض خزائن ابي مسلم، وكان أبو مسلم خلف بها خزائنه حين شخص متوجها إلي أبي العباس وكان عامة أصحاب سنباذ من أهل الجبال"[2].

وأعلن سنباذ ثورته سنة ١٣٧هـ/٧٥٤م، وادعى أن أبا مسلم حى لم يقتل، وأنه دعا باسم الله الأعظم حين عزم المنصور على قتله فتحول إلى

---

(١) الحصري القيرواني: زهر الآداب، جـ٢ ص٧٨٣.
(٢) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـ٧ ص٤٩٥.

حمامة بيضاء وفر هارباً، وآمن كثير من اهل خراسان بهذه المزاعم، وبلغ عدد مؤيدى سنباذ نحو مائة ألف. ولم تكن تلك الثورة من اجل الانتقام لأبى مسلم فحسب، بل كانت موجهة ضد العروبة والإسلام، فهى ثورة شعوبية تحمل طابع الزندقة والإلحاد، فقد بشر سنباذ بنهاية الحكم العربي، وأعلن أنه سيزحف إلى الحجاز ويهدم الكعبة وغيرها من المقدسات الإسلامية(١).

وقد أدرك الخليفة المنصور خطورة تلك الثورة، فأعد جيشاً كبيراً وجعل على قيادته القائد العربى جهور بن مرار العجلى، والتقى الفريقان في المعركة الفاصلة على الحدود بين الرى وهمذان، وتمكن الجيش العربى من هزيمة سنباذ وقتله وقتل معظم جنده، وانتهت ثورة سنباذ عند هذا الحد ولم تدم سوى سبعين يوماً(٢).

ونجح أحد أتباع أبى مسلم ويدعى إسحق في الفرار إلى بلاد ما وراء النهر، حيث دعا أهلها للانتقام لمقتل أبى مسلم، فالتف حوله عدد كبير من الأتراك مما جعله يلقب بإسحق التركى. ونادى إسحق بعقائد الفرس المجوسية القديمة، وادعى أنه " نبى أنفذه زرادشت" وأنه" يخرج حتى يقيم الدين لهم، ولم ينجح إسحق في أن يمد العون إلى سنباذ،فلم تتحد الحركتان في وجه العباسيين، مما جعل مصيرهما الإخفاق(٣).

وكان ممن خرج للثأر لمقتل أبى مسلم المقنع الخراسانى، الذى زعم انه حى لم يمت، وأنه (أوشيد ريامى) أو (شيدرما) أحد أعقاب زرادشت الذى ينتظر المجوس ظهوره، كما تنتظر بعض الفرق الإسلامية ظهور المهدى، حتى ان تلك الطوائف لم تعتقد بموت أبى مسلم، بل كانوا ينتظرون رجعته، ليملأ الأرض عدلاً، على حين حول بعض أشياعه الإمامة إلى ابنته فاطمة(٤).

---

(١) انظر: الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١ ص١٥٩،جـ٢ ص٦٢.
(٢) انظر: البلخى: البدء والتاريخ، جـ٦ص ٨٢، ٨٣ . ابن الأثير : الكامل، جـ٥ ص ١١٣.
(٣) ابن النديم: الفهرست ص ٤١٨ ، ٤١٩.
(٤) فان فلوتن: السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات، ص٩٢.

ويقول نظام الملك عنهم" كان أول ما يتكلمون به في دعواتهم تـرحمهم على أبى مسلم الخراسانى والمهدى وفيروز حفيد أبى مسلم وابن ابنته فاطمة" وكان هؤلاء الأشياع يسمون الفاطميين نسبة إلى فاطمة بنت أبى مسلم، وهؤلاء هم طائفة الخرمية[١]. وحملت الخرمية راية الثورة المسلحة وانتشرت دعوتها في فارس، وكانت تمثل في الحقل الاجتماعى شيوعية إباحية وفى الحقل الدينى والسياسى حرب الإسلام وإعادة السلطان إلى العجم.

استترت الخرمية أحياناً واتخذت من بعض مبادئ الغلو سبيلاً للظهور بمظهر إسلامى. فنقلوا الإمامة من العباسيين إلى أبى مسلم الخراسانى. وهذا يبدو واضحاً في ثورتى إسحق التركى والمقنع. فقد وجد الفرس في أبى مسلم نصيراً لقوميتهم الفارسية فاعتبره بعضهم خليفة زرادشت. واعتبره آخرون المنقذ الذى حل فيه جزء إلهى.

كما أن أبرز فرق الغلاة وهم (الراونديه)الذين اعتقدوا بحلول جزء إلهى في أبى مسلم وأنه الإمام. وشاركهم في ذلك (المسلمية) الذين اعتقدوا بأنه ما مات وسيعود ليملأ الأرض عدلاً ويعيد السلطة إليها. وهو موقف يبين كيف انكشف الغطاء وأصبح الحزب الذى دعا لإمامة العباسيين في بداية الدعوة يتخذ ذلك سبيلاً لتحقيق هدف آخر، وهو نقض السلطان العربى والإسلامى والرجوع إلى الفارسية[٢].

وتحدث المؤرخ المسعودى عن أثر مقتل أبى مسلم في ظهور تعاليم الزندقة وخاصة فرقة الخرمية، فقال : " ولما نمى قتل أبى مسلم إلى خراسان وغيرها من الجبال اضطربت الخرمية، وهى الطائفة التى تدعى بالمسلمية القائلون بأبى مسلم وإمامته، وقد تنازعوا في ذلك بعد وفاته. فمنهم من راى أنه

---

(١) حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام، القاهرة ١٩٤٥م، جـ٢ ص٩٢.
(٢) عبد العزيز الدورى: الجذور التاريخية للشعوبية، بيروت ١٩٦٢م، ص٤٢.

لم يمت ولن يموت حتى يظهر فيملأ الأرض عدلاً، وفرقة قطعت بموته وقالت بإمامة ابنته فاطمة، وهؤلاء يدعون الفاطمية، وأكثر الخرمية، في هذا الوقت الكردكية واللودهاشية، وهاتان الفرقتان أعظم الخرمية، ومنهم كان بابك الخرمي الذي خرج على المأمون والمعتصم بالبدين من أرض الران وآذربيجان. وأكثر الخرمية ببلاد خراسان والري وأصبهان وآذربيجان وكرج أبي دلف والبرج والسوضع المعروف بالرد والوسبخان ثم ببلاد الصيروان والصيميرة وأديوجان من بلاد ماسبذان وغيرها من تلك الأمصار، وأكثر هؤلاء في القرى والضياع، وسيكون لهم عند أنفسهم شأن وظهور يراعونه وينتظرونه في المستقبل من الزمان، ويعرفون بخراسان وغيرها بالباطنية"(١).

وهكذا قام أبو مسلم الخراساني بدور كبير في ظهور حركات الزنادقة في العصر العباسي الأول، وقام بهذا الدور، في حياته، وبعد موته. وبدأت حركات الزندقة تظهر بصورة إيجابية عملية بعد مقتل أبي مسلم الخراساني، فشهدنا حركة سنباذ وحركة إسحاق التركي، وكانت هاتان الحركتان الصغيرتان بمثابة تمهيد لحركة أقوى وأشمل في عصر المنصور أيضاً وهي حركة الراوندية، وتلتها حركة أخرى مكملة لها، هي حركة أستاذ سيس.

وحركة الراوندية هي حلقة من حلقات الزندقة في العصر العباسي وهي تمثل مزيجاً من الشعوبية والمجوسية. وتنتسب الراوندية إلى مدينة (راوند) القريبة من أصفهان، التي أصبحت مركزاً لهذه الحركة . وترجع جذور هذه الحركة إلى أواخر العصر الأموي، حين بدأت روح الشعوبية في الظهور نتيجة الصراع بين العرب والموالي. فقد ظهر رجل أبرص يدعى (الأبلق)، ودعا الناس إلى تعاليم فاسدة " فزعم أن الروح التي كانت في عيسى بن مريم صارت في علي بن أبي طالب، ثم في الأئمة واحداً بعد واحد إلى إبراهيم بن محمد(سبط العباس عم النبي) وأنهم آلهة " .

---

(١) المسعودي: مروج الذهب، جـ٣ ص٣٠٥، ٣٠٦.

وهكذا دعا الأبلق إلى نظرية الحلول وتناسخ الأرواح، كما دعا إلى ان الإيمان بذلك هو الدين، ولا داعى إلى التمسك بفرائض الإسلام بعد ذلك. كما أباح لأتباعه الحرمات والملذات ليشجعهم على الانضواء إليه " فكان كل رجل منهم يدعو الجماعة منهم إلى منزله، فيطعمهم ويسقيهم ويبيح لهم الحرمات"[١]. وقد ظهرت هذه التعاليم الهدامة في أواخر العصر الأموى، حتى إذا علم بها الوالى الأموى أسد بن عبد الله القسرى قبض على كثير من الراوندية وقتلهم وصلبهم.

ورغم ذلك فقد ظل (الأبلق) زعيم الراوندية يمارس نشاطه سراً حتى إذا بدأت الدعوى العباسية كان الروندية في مقدمة أتباع أبو مسلم الخراسنى الذى أباح لهم البقاء والاستمرار في دعوتهم الفاسدة، فأتاح أبى مسلم لهذه الفرقة الحياة لتظهر في صورة خطيرة في العصر العباسى، وفى ذلك يقول فان فلوتن:" عزا المدائنى إلى الدعاة العباسيين آراء وعقائد مماثلة لعقائد الراواندية وآرائهم، إذ لا يشك في ان هؤلاء الذين جلبهم أسد بن عبد الله والى خراسان من دعاة العباسيين كانوا من الرواندية"[٢].

وظهرت خطورة تعاليم الراوندية بعد مقتل أبى مسلم على يد الخليفة، وقد رأت هذه الفرقة أن تعود إلى العمل الإيجابى، لتبث سمومها وتثأر لمصرع أبى مسلم. ورأت الراوندية أن تزج بالخليفة في تعاليمها وتضعه موضع الحرج فزعموا أن روح آدم قد حلت في عثمان بن نهيك، رئيس حرس الخليفة الخاص، وأن الخليفة المنصور هو ربهم الذى يطعمهم ويسقيهم[٣].

وحرص الراوندية على إضفاء صفة الألوهية على المنصور، للإساءة إليه من جهة إذ كانت تحقد عليه لإقدامه على قتل أبى مسلم الخراسانى، ولأنها

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك، جـ٧، ص٥٠٥.
(٢) السيادة العربية ص٩٨.
(٣) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك جـ٧ ص٥٠٥.

الفكرة التى تتلاءم مع عقلية الفرس الذين كـانوا ينظـرون إلـى أكاسـرتهم الساسانيين نظرة تقديس، فقد كان الفرس يقولون بنظرية الحق الملكى المقـدس وكان العباسيون يرون أن الخليفة العباسى يحكم بتفويض من الله لا من الشعب، وكان المنصور نفسه يقول" إنما أنا سلطان الله في أرضه، أسوسـكم بتوفيقـه ورشده، وخازنه على ماله أقسمه بإرادته وأعطيه بإذنه، وقد جعلنى الله عليـه قفلاً،إذ شاء أن يفتحنى فتحنى لإعطائكم، وإذا شاء أن يقفلنى"[١]. ولكن بطبيعة الحال لم يقبل المنصور أو غيره من العباسيين ما ذهبت إليه الراوندية من تألية المنصور أو أفكار الحلول وتناسخ الأرواح.

وقد لقيت دعوة تألية المنصور قبولا من كثير من الفرس، فقـد كانـت الديانات الوثنية القديمة تفرض على معتنقيها الإيمان بأن أى رئيس لهم، إنما هو شخص تحل فيه روحا لإله، وإذا زالت تلك الروح وجب عزل هذا الرئيس[٢].

قصدت جماعة من الراوندية قصر المنصور في الهاشمية ، حيـث لـم يكن المنصور قد شيد بغداد بعد، فأخذوا يطوفون بالقصر" ويقولون : هذا قصر ربنا"[٣]. ورأى المنصور أن يقف منهم موقفاً حازماً إذ أدرك خطورة تعاليمهم، فاستدعى مائتين من رؤساء الراوندية وألقى بهم في السجن، كما أصدر أمـراً بألا يتجمع الراوندية عند قصره أو يطوفوا حوله.

وأبدت الراوندية غضبها لسجن زعمائهم، ونادت بانه يحل لهـم قتـل المنصور لأنه رفض أن يكون إلها لهـم، ولأنـه سـجن رؤسـائهم[٤]. ورات الراوندية إعلان الثورة المسلحة، وإطلاق سراح زعمائهم بالقوة. فأعدوا نعـشاً وحملوا السرير، وليس في النعش أحد، ثم مروا في المدينة حتى صاروا علـى

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص٢٦٣.
(٢) Browne: Lit hist of Persia, P315 – 316.
(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٧ ص٥٠٥.
(٤) Browne: Lit hist of Persia, P.316.

باب السجن، فرموا النعش، وشدوا على النـاس، ودخلـوا السجن فأخرجوا أصحابهم، وقصدوا نحو المنصور، وهم يومئذ ستمائة رجل، فتنادى النـاس، وأغلقت أبواب المدينة، فلم يدخل أحد[١].

أصبح الموقف خطيراً، وأبدى المنصور شجاعة نادرة، وراى أن يواجه الموقف بنفسه، فغادر المنصور قصره. وطلب دابة يركبها فلم يجد، فخرج ماشيا، حتي استطاع بعض رجاله أن يوفروا له دابة فامتطاها[٢]. وتوجه نحو الراوندية وحاولت بعض خاصة المنصور أن تحول بينه وبين الخروج للراوندية. وخرج عثمان بن نهيك قائد حرس الخليفة، والذى سبق للراوندية أن زعموا أن روح آدم حلت به، ليتكلم مع رؤساء الراوندية ، ولكنهم قذفوه بنشاب أصاب كتفه، وتوفى بعد أيام قليلة، فصلى عليه المنصور وقام على قبره حتى دفن وجعل أخاه عيسى رئيسا لحرسه.

واشتبك حراس القصر مع الراواندية في معركة حامية، ونودى في أهل السوق فرموهم وقاتلوهم حتى أثخنوهم، وفتح باب المدينة، فدخل الناس وجاء خازم بن خزيمة على فرس فقال: يا أمير المؤمنين، أقتلهم؟ قال: نعم. فحمل عليهم حتى ألجأهم إلى ظهر حائط، ثم كروا على خازم فكشفوه وأصحابه، ثم كر خازم عليهم فقتلهم جميعا[٣]، ولكن كان هناك أعداد كثيرة منهم خارج القصر.

وتأزم الموقف، واشترك في قتال الراوندية الربيع حاجب المنصور، وأبريز ابن المصمغان ملك دنباوند، واستمر القتال من الصباح حتى المساء، دون نتيجة حاسمة. حتى ظهر قائد عربى أموى. كان مختفيا عن أنظار

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك، جـ٧،ص٥٠٥.
(٢) حرص المنصور بعد ذلك على أن يرتبط فرساً دائماً في قصر الخلافة، انظر : ابن طباطبا: الفخرى ص١٦١.
(٣) الطبرى: المصدر السابق جـ٧ ص٥٠٥، ٥٠٦ .

العباسيين، ورأى أن يعاود الظهور ليدفع عن الإسلام و العروبة الخطـر الـذى يهددهما، وهو معن بن زائدة الشيبانى.

قدم معن إلى باب الخليفة مستأذنا في لقائه، وسأل المنصور حاجبه أبـا الخصيب عنه فعلم المنصور أنه معن، قال: رجل من العرب شديد النفس عالم بالحرب كريم الحسب، أدخله. فلما دخل معن قال المنصور :أيه يا معن ما الرأى ؟ فأجاب معن: الرأى أن تنادى في الناس وتأمر لهم بالأموال. فسأله المنصور: وأين الناس والأموال، ومن يقدم على أن يعرض نفسه لهؤلاء العلوج؟ لم تصنع شيئا يا معن. الرأى أن اخرج فأقف فإن الناس إذا رأونى قاتلوا وأبلوا وثابوا إلىّ وتراجعوا وإن أقمت تخاذلوا وتهاونوا، فأخذ معن بيد الخليفة وقال: يـا أميـر المؤمنين إذاً والله فتقتل الساعة فأنشدك الله في نفسك. وقـال الحاجـب أبـو الخصيب بمثل قول معن .

وحاول معن وأبو الخصيب أن يحولا دون المنصور وخروجـه لقتـال الراوندية فاجتذب ثوبه منهما، ثم دعا بدابته فركب ووثب عليها من غير ركاب، ثم سوى ثيابه وخرج ومعن آخذ بلجامه، وأبو الخصيب مع ركابه، وكان لظهور الخليفة المنصور تأثيراً عظيماً في نفوس أنصار الدولة، وتجمع النـاس لتأييـد الخليفة والزود عنه، وحسب تعبير الطبرى لم تكـن إلا سـاعة حتـى أفنـوا الراوندية عن أخرهم[١].

وهكذا نجح المنصور بمعاونة معن بن زائدة في القضاء علـى حركـة الراوندية في أقل من ساعة. وتوارى معن عن الأنظار بعد نهاية المعركة. فقد خشى أن يغدر به المنصور لمعرفته بصلته القديمة ببنى أمية وهو يعلم ما أقدم عليه العباسيون من تنكيل بالآمويين وأنصارهم وأمر المنصور أتباعه بالبحـث عن معن وقال : أيظن ان أمير المؤمنين لا يغفر ذنبه بعد ما كان مـن بلائـه.

---

(١) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـ٧ ص٥٠٧، ٥٠٨.

وأعطه الأمان وأدخله علي . حتى إذا قدم معن على المنصور منحه عشرة آلاف درهم، وولاه حكم ولاية اليمن[١].

وكان أبو جعفر ينظر إلي الراوندية كأعداء سياسيين للدولة العباسية. لأنهم من اتباع أبي مسلم الخراساني. الذين يعملون علي تحويل الخلافة إلي ملك كسروي: كما نظر إليهم باعتبارهم زنادقة يريدون أن تعود المجوسية أو شكل من أشكالها، كالزرادشتية أو المانوية أو المزدكية أو غيرها. فعاملهم كما عامل أبا مسلم، وقتلهم شر قتلة. إلا أنه لم يستطع أن يقضي عليهم قضاء تاماً، فظهروا في صور مختلفة نراها في مثل ثورات المقنع الخراساني وبابك الخرمي وغيرها[٢].

وفي سنة ١٥٠هـ/٧٦٧م، ظهرت حركة فارسية أخري ضد الخليفة المنصور وهي حركة (أستاذسيس) الذي أعلن الثورة وانضم إليه أهل هراه وباذغيس وسجستان وغيرها من كور خراسان، وبلغ عدد جنده ثلثمائة ألف مقاتل بين فارس وراجل[٣] ووصف السيوطي[٤] خطورة الموقف فقال " وفي سنة مائة وخمسون خرجت الجيوش الحراسانية عن الطاعة مع الأمير استاذ سيس. واستولي علي أكثر مدن خراسان، وعظم اخطب، واستفحل الشر واشتد علي المنصور الأمر "فقد نادت هذه الفرقة بمبادئ المجوسية التي تحث علي الإباحية والفوضي".

ونجح أتباع (استاذ سيس) في السيطرة علي خراسان، وأنزلوا ألوانا من التنكيل بأهل مرو: ونجحوا في هزيمة عدد من قواد المنصور، فعهد المنصور إلي ابنه المهدي وقائده المشهور خازم بن خزيمة بالقضاء علي هذه الثورة

---

(١) ابن طباطبا : الفخرى ، ص١٦١.
(٢) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام جـ١ ص٩٤.
(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ٨ ص٢٩.
(٤) تاريخ الحلفاء ص٢٦٢.

الجامحة. فخرجا في جيش كثيف تألف من ثلاثين ألف مقاتل. ونجح المهدي وخازم في هزيمة استاذ سيس. وقتلوا أكثر من سبعين ألفا من رجاله، وأسروا أربعة عشر ألفا، وهرب استاذ سيس إلي جبل ومعه نفر قليل من اتباعه. ونجح المهدي وخازم في القضاء عليه، وأوثقاه بالحديد(١). ونري أن المهدي أخطأ إذا أطلق سراح ثلاثين ألفا من جنود استاذ سيس(٢)، فأصبحوا أرضا صالحا تنمو فيها بذور الزندقة.

وفي سنة ١٥١هـ/٧٦٨م عاد المهدي إلي خراسان بعد هذه الانتصارات الحافلة. فخرج المنصور إلي لقائه وقدم علي المنصور والمهدي عامة أهل البيت العباسي مهنئين، فأنعم المنصور عليهم بالمال والكسوة، ابتهاجا بالخلاص من هذه الثورة الخطيرة. وأراد المنصور أن يكرم المهدي ويكافئ جنده علي استبسالهم في قتال استاذسيس وقضائهم علي ثورته، فبني لهم مدينة في شرق بغداد وسماها الرصافة(٣).

٤- أبو جعفر المنصور والشيعة:-

علي الرغم من فشل العلويين في نيل الخلافة ونجاح العباسيين في ذلك، إلا أن العلويين لم يفقدوا الأمل ولم يركنوا إلي الاستسلام، فقد ظل الأمل يراودهم في عودة الحق إليهم حسب اعتقادهم.

ومن جهة أخري حرص العباسيون علي كسب ود العلويين وضمان ولائهم واتقاء خطرهم، فيذكر أن وفدا علويا قدم من الحجاز إلي الخليفة أبي العباس السفاح برئاسة عبد الله بن الحسن لمبايعته بالخلافة، فاستقبل الخليفة الوفد العلوي بالحفاوة والترحاب، وخص زعيمهم بالتكريم فأسكنه في دار رحبة

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، جـ٨ ص٢٩ :٣٢.
(٢) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص٢٦٢.
(٣) الطبري: المصدر السابق، جـ٨ ص٣٧ :٣٩.

بالعاصمة الأنبار آنذاك[١]، وكان يدعوه إلي السمر معه في كل ليلة. غير أن الخليفة السفاح استراب في أمر محمد وإبراهيم ابني عبد الله حيث تخلفا عن الحضور، فكان يسأل أبيهما عنهما، وأبوهما يجيب بالنفي والإنكار عن اسباب تخلفهما أو معرفة مكان اختفائهما. وطمأنة وتعهد له بعدم إقدامهما علي شيئ يكرهه. فصرف الخليفة نظره عنهما [٢].

أما الخليفة المنصور فكان أبعد نظرا وأحزم رأيا من أخيه السفاح، فلم يرض بهذا الموقف السلبي والمتخاذل تجاه العلويين، بل حرص علي نيل بيعه عبد الله بن الحسن وابنيه محمد وإبراهيم ولو أدي ذلك إلي القوة الجبرية، فقد كان يعلم مدي تمسك محمد بن عبد الله بالإمامة وحرصه علي نيلها منذ أن بويع له بها في مؤتمر بالأبواء، وكان المنصور ذاته أحد المبايعين له فيروي الأصفهاني[٣] عن عبد الله بن سعد الجهني إنه قال: بايع أبو جعفر محمد مرتين أنا حاضر إحداهما بمكة في المسجد الحرام، فلما خرج أمسك له بالركاب ثم قال: أما أنه أن أفضي إليكما الأمر نسيت لي هذا الموقف".

لذلك نجد أن الخليفة المنصور يبذل قصاري جهده في سبيل الاستحواذ علي محمد وإبراهيم ابني عبد الله، ويحاول بشتي الطرق ويضغط بكل الوسائل علي أبيهما[٤]، وخاصة بعد ما وقعت في يديه رسائل متبادلة بين عبد الله وابنيه، فبعث المنصور إلي عبد الله بكتاب قال فيه: "إني أتيت برسولك والكتب التي معه فرددتها إليك بطوابعها كراهية أن أطلع منها علي ما يغير لك قلبي، فلا تدع إلي التقاطع بعد التواصل ولا إلي الفرقة بعد الاجتماع، وأظهر لي ابنيك فإنهما سيصيران بحيث تحب من الولاية والقرابة وتعظيم الشرف"[٥].

---

(١) انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ، القاهرة١٩٣١م، جـ٧ ص٢٩٣.
(٢) المصدر السابق، جـ٧ ص٢٩٤. الأصفهاني: مقاتل الطالبين، ص١٧٤.
(٣) مقاتل الطالبين، ص٣٠٩.
(٤) انظر التفاصيل في: سميرة الليثي: جهاد الشيعة، ص١١٧:١١٤.
(٥) محمد ماهر حمادة: الوثائق السياسية والإدارية، ص٩.

غير أن عبد الله بن الحسن نفي وأنكر كل شيء، مما أثار غضب المنصور فاستدعاه إلي حضرته وصاح في وجهه: أين ابنك؟ فقال عبد الله: لا أدري، فقال المنصور: لتأتني به، فقال عبد الله: لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه، فأمر المنصور من فوره بالقبض علي عبد الله وأهل بيته وسجنهم. (١)

ومن الواضح أن المنصور كان يدرك مدي ما يتمتع به الشيعة من تأييد وشعبية لذلك حرص علي إطلاع الرعية عن أسباب إقدامه علي سجن ابن الحسن وأهله مع التنويه بحق العباسيين في الخلافة وما قاموا به من جهود من أجلها، فصعد المنبر وخطب في الناس فقال بعد أن حمد الله واثني عليه وصلي علي النبي صلي الله عليه وسلم: " يا أهل خراسان: أنتم شيعتنا وأنصارنا وأهل دولتنا، ولو بايعتم غيرنا لن تبايعوا من هو خير منا.

وإن أهل بيتي هؤلاء من ولد علي بن أبي طالب تركناهم والله الذي لا إله إلا هو والخلافة فلم نعرض لهم فيها بقليل ولا كثير فقام فيها علي بن أبي طالب فتلطخ وحكم عليه الحكمان فافترقت عنه الأمة واختلفت عليه الكلمة، ثم وثبت عليه شيعته وأنصاره وأصحابة وبطانته وثقاته فقتلوه. ثم قام من بعده الحسن بن علي فوالله ما كان فيها برجل قد عرضت عليه الأموال فقبلها فدس إليه معاوية إني أجعلك ولي عهدي من بعدي فخدعه فانسلخ له مما كان فيه وسلمه إليه فاقبل علي النساء يتزوج في كل يوم واحدة فيطلقها غداً فلم يزل علي ذلك حتي مات علي فراشه. ثم قام من بعده الحسين بن علي فخدعه أهل العراق وأهل الكوفة أهل الشقاق والنفاق والإغراق في الفتن، أهل هذه المدرة السوداء- وأشار إلي الكوفة- فوالله ما هي بحرب فأحاربها ولا سلم فأسالمها فرق الله بيني وبينها، فخذلوه وأسلموه حتي قتل. ثم قام من بعده زيد بن علي فخدعه أهل الكوفة وغروه فلما أخرجوه وأظهروه أسلموه وقد كان أتي محمد بن

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ٦ ص١٦١. الأصفهاني: مقاتل الطالبين، ص٢١٥.

علي فناشده في الخروج وسأله أن لا يقبل أقاويل أهل الكوفة وقال له: إنا نجد في بعض علمنا أن بعض أهل بيتنا يصلب بالكوفة وأنا أخاف أن تكون ذلك المصلوب، وناشده عمي داود بن علي وحذره غدر أهل الكوفة فلم يقبل واتم علي خروجه فقتل وصلب بالكناسة.

ثم وثب علينا بنو أمية فأماتوا شرفنا وأذهبوا عزنا والله ما كانت لهم عندنا ترة يطلبونها وما كان ذلك كله إلا فيهم وبسبب خروجهم عليهم فنفونا من البلاد فصرنا مرة بالطائف ومرة بالشام ومرة بالشراه حتي ابتعثكم الله لنا شيعة وأنصارا وأحيا شرفنا وعزنا بكم أهل خراسان ودفع بحقكم أهل الباطل وأحيا حقنا وأصار إلينا ميراثنا عن نبينا صلي الله عليه وسلم، فقر الحق مقره وأظهر مناره وأعز أنصاره وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين(١). فلما استقرت الأمور فينا علي قرارها من فضل الله به عليهم وأكرمنا به من خلافته وميراث نبيه ﷺ.

جهلا علي واجبنا عن عدوهم .. لبئست الخلتان الجهل والجبن

فإني، والله يا أهل خراسان، ما أتيت من هذا الأمر ما أتيت بجهالة. بلغني عنهم بعض السقم والتعرم وقد دسست لهم رجالا فقلت: قم يا فلان، قم يا فلان فخذ معك من المال كذا وحذوت لهم مثالا يعملون عليه، فخرجوا حتي أتوهم بالمدينة فدسوا إليهم تلك الأموال، فوالله ما بقي منهم شيخ ولا شاب، ولا صغير ولا كبير إلا بايعهم بيعة استحللت بها دماءهم وأموالهم وحلت لي عند ذلك بنقضهم بيعتي وطلبهم الفتنة والتماسهم الخروج علي فلا يرون إني أتيت ذلك علي غير يقين.

ثم نزل وهو يتلو علي درج المنبر هذه الأية: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾ (٢).

---

(١) سورة الأنعام، الأية رقم٤٥.

(٢) سورة سبأ، الأية رقم٥٤. ونص الخطبة في: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ٨ ص٩٢: ٩٤

وبلغ المنصور عزم محمد بن عبد الله علي القيام بالثورة فأمر بالاستعداد لحربه وإرسال الجيوش لمواجهته، ثم صعد المنبر فقال بعد أن حمدالله وأثني عليه وصلي علي النبي ﷺ:

مالي أكفكف عن سعد ويشتمني .. وإن شتمت بني سعد لقد سكتوا
جهلا علينا وجبنا عن عدوهم .. لبئست الخصلتان الجهل والجبن

أما والله لقد عجزوا عن أمر قمنا به، فما شكروا القائم ولا حمدوا الكافي، ولقد مهدوا فاستوعروا وغبطوا فغمطوا، فماذا تحاول مني؟ اسقي رنقا علي كدر؟ كلا والله. لأن أموت معززا أحب إلي من أن أحيا مستذلا، ولئن لم يرض العفو عني ليطلبن ما لا يوجد عندي. والسعيد من وعظ بغيره.

ثم نزل فقال: يا غلام، قدم، فركب من فوره إلي معسكره وقال:

اللهم لا تكلنا إلي خلقك فنضيع ولا إلي أنفسنا فنعجز، فلا تكلنا إلا إليك[1].

ثورة محمد ذو النفس الزكية[2]:-

انصرف العلويون في نهاية الدولة الأموية إلي نشر دعوتهم سرا، فتظاهروا بالإنصراف عن تلك الدعوة وشغلوا أنفسهم بالتجارة وحياتهم الخاصة مما هيأ الظروف لنجاح الدعوة العباسية في أول أمرها. وتذكر المصادر التاريخية أن بني هاشم قاموا بعقد مؤتمر في المدينة المنورة اتفقوا فيه علي بيعة محمد ذي النفس الزكية بالخلافة[3].

---

(١) المسعودي: مروج الذهب، جـ٣ ص٣٠٩.
(٢) محمد بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب من سادات بنى هاشم ورجالهم فضلاً وشرفاً وعلماً وشجاعة ورياسة وكرماً ونبلاً (ابن طباطبا: الفخرى، ص١٦٥).
(٣) انظر التفاصيل في : البلاذرى : أنساب الأشراف جـ٢ ص ٧٣٤، الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٧، ص٢٩٨، ٣٠٠، ٣١١. عبد الله بن على المسند: العلويون والعباسيون ودعوة آل البيت، دار المنار، القاهرة ١٩٩١م، ص٧٣: ٨٠ .

وبعد أن آل الأمر إلي العباسيين توجه عبد الله بن محمد النفس الزكية إلي أبي العباس ليشاوره في الأمر، إلا أن أبا العباس نجح في إسكاته وذلك بإجزال العطاء له ولأفراد أسرته(١). وقد وجد العلويون في ذلك الوقت أن قيامهم بالثورة ضد بني العباس سوف يكون مصيرها الفشل فآثروا أن ينتظروا حتي تحين الفرصة المناسبة(٢).

وفي عهد أبي جعفر المنصور نجده يوصي عماله على المدينة بالتجسس على العلويين وخاصة محمد النفس الزكية، ولما أدرك أهل المدينة ذلك التفوا حول محمد، فقام عامل المدينة بالتصدى لهم وألقى القبض عليهم، حتى كاد محمد ذو النفس الزكية أن يترك الدعوة لنفسه، لولا تأييد والدته هند(٣) له ووقوفها إلى جانبه، وعندما قام المنصور بالحج في عام ١٤٤هـ/ ٧٦١م سارع محمد إلى الاختفاء خوفاً من وقوعه في يده، مما أغضب المنصور فأمر بالقبض على العلويين في المدينة ثم نقلهم إلى الكوفة حيث ألقاهم في السجن هناك(٤)، إزاء هذا سارع محمد ذو النفس الزكية بالخروج وإعلانه لخلافته، وقد ألتف الناس حوله خاصة بعد أن مال الإمام مالك بن أنس إلى دعوته، ويقال أنه أعطاها صبغة شرعية عندما قال لأهل المدينة:" إنما بايعتم مكرهين وليس على مكره يمين أو طلاق(٥) بمعنى أنه حللهم من البيعة للعباسيين.

واخذ الخليفة أبو جعفر المنصور يعمل على إثبات حق العباسيين في الخلافة دون العلويين، وأخذ في تبال المكاتبات مع محمد ذى النفس الزكية،

---

(١) اليعقوبى : تاريخه، جـ٢ ص ٣٦٠.
(٢) المصدر السابق، جـ٢ ص ٣٦٠، ٣٦١.
(٣) هند بنت أبى عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب. انظر الأصفهانى: مقاتل الطالبين ، ص٢٣٩ ، ٢٤٠، سميرة الليثى: جهاد الشيعة ، ص١١٤.
(٤) انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٧ ص ٥٣٦ ، ٥٣٧. المقريزى: النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية ، وبنى هاشم ، ص١٠١ .
(٥) الطبرى: المصدر السابق، جـ٧ ص ٥٦٠. الأزدى: تاريخ الموصل ص١٨٧.

واتخذت هذه الماكتبات صفة المساجلات والمفاضلات بين العباسيين والعلويين حول أحقية كل منهما في تولي الخلافة[1].

وحاول المنصور في تلك المراسلات استعمال طرق اللين والمداراة فدعا محمد ذى النفس الزكية إلى حل الخلاف حلاً سلمياً ، وأعطاه أماناً لنفسه وولده وأخوته ومن بايعه، ووعده بإنزاله حيث شاء من البلاد، كما عرض عليه مبلغا كَبيراً من المال. واستمرت الرسائل المتبادلة بين أبى جعفر المنصور وبين محمد ذو النفس الذكية وهو ما يمكن أن نطلق عليه الحرب بالكلمات أو المناظرة بين خصمين من اجل إثبات أحقية كل طرف منهما بالخلافة فهي توازى أجهزة الدعاية والاعلام حديثاً، ولأهمية هذه الرسائل وما تحويه من وجهات نظر الطرفين، سنورد بعض نصوصها:

فمما بعث به المنصور إلى محمد النفس الزكية كتابة الذى جاء فيه:" بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله، أما بعد: (إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ{٣٣} إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[2].

ولك عهد الله وذمته وميثاقه وحق نبيه محمد ﷺ إن تبت من قبل أن أقدر علي أن أؤمنك على نفسك وولدك وإخوتك ومن بايعك وتابعك وجميع شيعتك، وأن أعطيك ألف ألف درهم وأنزلك من البلاد حيث شئت وأقضى لك ما شئت من الحاجات، وأن أطلق من في سجنى من أهل بيتك وشيعتك

---

(١) انظر نصوص الرسائل المتبادلة بين المنصور والنفس الزكية في : الطبرى: المصدر السابق، جـ٧ ص٥٦٦: ٥٧١. ابن الأثير: الكامل جـ٥ ص١٥١: ١٥٥.

(٢) سورة المائدة ، الآيتان ٣٣- ٣٤.

وأنصارك ثم لا أتتبع أحداً منكم بمكروه. فإن شئت أن تتوثق لنفسك فوجه إلى من يأخذ لك من الميثاق والعهد والأمان ما أحببت والسلام".

فأجابه محمد ذو النفس الزكية بقوله:" بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله محمد المهدى أمير المؤمنين إلى عبد الله بن محمد. أما بعد : (طسم{١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ{٢} نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ{٣} إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ{٤} وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ{٥} وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ)(١).

وأنا أعرض عليك من الأمان مثل الذى أعطيتنى، وقد تعلم أن الحق حقنا وأنكم إنما طلبتموه بنا ونهضتم فيه بشيعتنا وخطبتموه بفضلنا، وأن أبانا علياً عليه السلام كان الوصى والإمام فكيف ورثتموه دوننا ونحن أحياء؟ وقد علمت إنه ليس أحد من بنى هاشم يمت بمثل فضلنا ولا يفخر بمثل قديمنا وحديثنا ونسبنا وسببنا. وإنا بنو أم رسول الله ﷺ فاطمة بنت عمرو في الجاهلية دونكم، وبنو ابنته فاطمة في الإسلام من بينكم. فأنا أوسط بنة هاشم نسباً وخيرهم أماً وأباً ، لم تلدنى العجم ولم تعرق في أمهات الأولاد.

وإن الله تبارك وتعالى لم يزل يختارلنا فولدنى من النبيين أفضلهم محمد ﷺ ، ومن أصحابه أقدمهم إسلاماً وأوسعهم علماً وأكثرهم جهاداً على بن أبى طالب، ومن نسائه خديجة بنت خويلد أول من آمن بالله وصلى القبلة، ومن بناته أفضلهن وسيدة نساء أهل الجنة، ومن المولودين في الإسلام الحسن والحسين سيداً شباب أهل الجنة. ثم قد علمت أن هاشماً ولد علياً مرتين، وأن عبد المطلب ولد الحسن مرتين، وأن رسول الله ﷺ ولدنى مرتين من قبل جدى الحسن

(١) سورة القصص، الآيات ١-٦.

والحسين. فمازال الله يختار لى حتى لختار لي في النار، فولدنى أرفع النـاس درجة في الجنة وأهون أهل النار عذابا، فأنا ابن خيـر الأخيـار وابـن خيـر الأشرار وبن خير أهل الجنة وابن خير أهل النار. ولك على العهد، إن دخلـت في بيعتى أن أؤمنك على نفسك وولدك وكل ما أصبته، إلا حدا من حـدود الله، أو حقا لمسلم أو معاهد فقد علمت ما يلزمك فى ذلك، فأنا أوفى بالعهـد منـك وأحرى لقبول الأمان. فأما أمانك الذى عرضت على فأى الأمانات هو؟ أمـان ابن هبيرة أم أمان عمك عبد الله بن على أم أمان أبى مسلم؟! والسلام.

جواب *المنصور إلى محمد النفس الزكية* :

بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين إلى محمـد بن عبد الله. أما بعد: فقد أتانى كتابى وبلغنى كلامك فإذا جل فخرك بالنـساء، لتضل به الجفاة والغوغاء، ولم يجعل الله النساء كالعمومة ولا الآباء كالعـصبة والأولياء، وجعل العم أبا وبدأ به على الوالد الأدنى فقال جل ثناؤه عن نبيه عليه السلام: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِـي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾[1]. ولقد علمت أن الله تبارك وتعالى بعث محمداً ﷺ وعمومته أربعة فأجابه اثنان أحدهما أبى وكفـر اثنان أحدهما أبوك. فأما ما ذكرت من النساء وقراباتهن فلو أعطين على قرب الأنساب وحق الأحساب لكان الخير كله لآمنة بنت وهب، ولكن الله يختار لدينه من يشاء من خلقه .

فأما ما ذكرت من فاطمة أم أبى طالب فإن الله لم يهد أحداً من ولـدها للإسلام ، ولو فعل لكان عبد الله بن عبد المطلب أولاهم بكل خير في الآخـرة والأولى وأسعدهم بدخول الجنة غداً، ولكن الله أبى فقال : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْـدِي مَـنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَـدِينَ﴾[2]. فأما ما ذكرت من

---

(١) سورة يوسف، الآية ٣٨.
(٢) سورة القصص، الآية ٥٦.

فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب وفاطمة أم الحسن وأن هاشماً ولد علياً مرتين وأن عبد المطلب ولد الحسن مرتين فخير الأولين والآخرين محمد رسول الله ﷺ لم يلده هاشم إلا مرة واحدة، ولم يلده عبد المطلب إلا مرة واحدة.

وأما ما ذكرت من أنك ابن رسول الله فإن الله عز وجل أبى ذلك فقال (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) [1]. ولكنكم بنو ابنته وأنها لقرابة قريبة غير أنه امرأة لا تحوز الميراث ولا يجوز أن تؤم فكيف تورث الإمامة من قبلها؟ ولقد طلب بها أبوك بكل وجه فأخرجها تخاصم ومرضها سراً ودفنها ليلاً فأبى الناس إلا تقديم الشيخين. ولقد حضر أبوك وفاة رسول الله ﷺ فأمر بالصلاة غيره. ثم أخذ الناس رجلاً رجلا فلم يأخذوا أباك فيهم. ثم كان في أصحاب الشورى فكل دفعة عنها وبايع عبد الرحمن عثمان وقبلها عثمان.

وحارب أباك طلحة والزبير ودعا سعداً إلى بيعته فأغلق بابه دونه ثم بايع معاوية بعده، وأفضى أمر جدك إلى أبيك الحسن فسلمه إلى معاوية بخرق ودراهم وأسلم في يديه شيعته وخرج إلى المدينة فدفع الأمر إلى غير أهله وأخذ مالاً من غير حله، فإن كان لكم فيها شئ فقد بعتموه. فأما قولك أن الله اختار لك في الكفر فجعل أباك أهون أهل النار عذاباً فليس في الشر خيار، ولا من عذاب الله هين، ولا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يفخر بالنار، وستزد فتعلم. (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ).

وأما قولك أنك لم تلدك العجم ولم تعرق فيك أمهات الأولاد وإنك أوسط بني هاشم نسباً وخيرهم أماً وأباً، فقد رأيتك فخرت على بني هاشم طراً وقدمت نفسك على من هو خير منك اولاً وآخراً وأصلاً وفضلاً، فخرت على إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وعلى والد ولده ، فانظر ويحك أين تكون من الله

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٤٠.

غداً. وما ولد فيكم مولود بعد وفاة رسول الله ﷺ أفضل من على بن الحسين وهو لأم ولد، ولقد كان خيراً من جدك الحسن بنَ الحسن، ثم ابنه محمد بن على خير من أبيك وجدته أم ولد، ثم ابنه جعفر وهو خير منك . ولقد علمت أن جدك علياً حكم حكمين وأعطاهما عهده وميثاقه على الرضا بما حكما به ، فاجتمعا على خلعه. ثم خرج عمك الحسين بن على على ابن مرجانة فكان الناس الذين معه عليه حتى قتلوه.

ثم أتوا بكم على الأقتاب بغير أوطية كالسبى المجلوب إلى الشام ثم خرج منكم غير واحد فقتلتكم بنو أمية وحرقوكم بالنار وصلبوكم على جذوع النخل حتى خرجنا عليهم فأدركنابثأركم إذ لم تدركوه، ورفعنا أقداركم وأورثناكم أرضهم وديارهم بعد أن كانوا يلعنون أباك في أدبار الصلاة المكتوبة كما يلعن الكفرة، فعنفناهم وكفرناهم وبينا فضله وأشدنا بذكره فاتخذت ذلك علينا حجة وظننت أنا لما ذكرنا من فضل على أنا قدمناه على حمزة والعباس وجعفر، كل أولئك مضوا سالمين مسلما منهم وابتلى أبوك بالدماء .

ولقد علمت أن مآثرنا في الجاهلية سقاية الحجيج الأعظم وولاية زمزم، وكانت للعباس دون أخوته، فنازعنا أبوك فيها إلى عمر فقضى لنا عمر عليه. وتوفى رسول الله ﷺ وليس من عمومته أحد حياً إلا العباس فكان وارثه دون بنى عبد المطلب . وطلب الخلافة غير واحد من بنى هاشم فلم ينلها إلا ولده، فاجتمع للعباس أنه أبو رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء، وبنوه القادة الخلفاء ، فقد ذهب بفضل القديم والجديد، ولولا أن العباس أخرج إلى بدر كرهاً لمات عماك طالب وعقيل جوعاً أو يلحسا جفان عتبة وشيبة فاذهب عنهما العار والشنار.

ولقد جاء الإسلام والعباس يمون أبا طالب للأزمة التى أصابتهم، ثم فدى عقيلاً يوم بدر. فقدمناكم في الكفر وفديناكم من الأسر، وورثنا دونكم خاتم

الأنبياء، وحزنا شرف الآباء، وأدركنا من ثأركم ما عجزتم عنه، ووضعناكم بحيث لم تضعوا أنفسكم، والسلام[1].

ومن دراستنا لتطور الحوادث التاريخية لتلك الفترة نجد أن محمداً النفس الزكية قد وقع في خطأ كبير باختياره المدينة المنورة مقراً لدعوته وعاصمة لخلافته، فمنطقة الحجاز كانت منطقة فقيرة إذا ما قورنت ببقية بلاد العالم الإسلامي، فكان يكفى أن تقوم الحكومة العباسية بضرب الحصار على الحجاز للقضاء على مثل تلك الحركات. هذا إلى جانب أن محمد حفر خندقاً حول المدينة اقتداء برسول الله ﷺ فأحكم بذلك الحصار على نفسه[2].

كذلك فقد أخطأ محمد النفس الزكية في اختياره للموعد الذى خرج فيه وأعلن خلافته، وكان قد دبر الأمر مع شقيقه إبراهيم على أن يقوم الأخير في نفس الوقت بالخروج ضد الدولة العباسية في الكوفة، ولكن نجد انه لم تتح له الفرصة لتنفيذ ما اتفقا عليه بسبب مرض إبراهيم بالجدرى فتأخر عن الموعد شهرين[3].

وأخيراً بعث الخليفة أبو جعفر المنصور بولى عهده عيسى بن موسى على رأس جيش للقضاء على محمد النفس الزكية. وعندما أصبحت القوات العباسية قاب قوسين أو أدنى من المعسكر العلوى ، دب الانقسام بين أتباع محمد النفس الزكية، إذ رأى فريق منهم الخروج إلى مصر واتخاذها مركزاً للدعوة العلوية ضد العباسيين بينما رأى فريق آخر ضرورة البقاء في المدينة

---

(١) المبرد : الكامل في اللغة والأدب، ص١٢٧٣: ١٢٧٩. وورد نص هذه الرسائل الشهيرة في كثير من المصادر كالطبرى جـ٧ ص ٥٦٦: ٥٧١. والعقد الفريد جـ٥ ٧٩-٨٩ وصبح الأعشى جـ١ ٣٣١-٣٣٥ وابن الأثير جـ٥ ص ١٥١: ١٥٥. وهناك اختلافات كثيرة في نصوصها ولكن المعنى واحد.

(٢) وهناك أسباب اخرى لفشل الثورة. انظر : اليعقوبى : تاريخه، جـ٢ ص٣٧٦. الطبرى : تاريخ الرسل والملوك، جـ٧ ، ص ٥٩٣، ٥٩٤، ٦٢١. ابن الاثير. الكامل، جـ ٥ ص١٥٦.

(٣) الطبرى : المصدر السابق، جـ٧ ص ٥٢٢، ابن الأثير: المصدر السابق، جـ٥ ص١٤٧.

المنورة على اعتبار أنها قلب العالم الإسلامى ومركز الدعوة الإسلامية منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام. إزاء هذا فر محمد النفس الزكية إلى مكة فلحق به عيسى بن موسى حيث ضرب عليه الحصار وانتهى الأمر بهزيمة العلويين ومقتل محمد النفس الزكية في منتصف رمضان عام ١٤٥ هـ/ ٧٦٢م ولحتزت رأسه وحملت إلى أبى جعفر المنصور(١).

ثم اتجه القائد عيسى بن موسى بعد ذلك إلى جنوب العراق لمقاتلة إبراهيم، والتقى الفريقان عند قرية باخمرى (بين البصرة وواسط بالقرب من الكوفة) (٢) فى معركة حاسمة هزم فيها الجيش العلوى وقتل إبراهيم في ذى القعدة عام ١٤٥ هـ، ولهذا تطلق عليه المصادر اسم شهيد باخمرى(٣).

٥- المنصور ومسألة ولاية العهد:

من الجدير بالذكر أن الخليفة أبا العباس السفاح كان قد عهد بولاية العهد من بعده لأبى جعفر المنصور ثم لعيسى بن موسى من بعد المنصور، وغير أن ذلك لم يرق للمنصور فأراد أن يعزل عيسى وأن يقدم ابنه محمد المهدى.

ولجأ في هذا السبيل إلى الوعد والوعيد ودارت مراسلات بين الطرفين حتى نجح في ذلك. فعلى الرغم مما قدمه عيسى من أعمال لمصلحة الدولة وخاصة قضاءه على ثورتى محمد وإبراهيم العلويين كما سبق ذكره. فقد بعث إليه المنصور برسالة يطلب منه أن يخلع نفسه من ولاية العهد وأن يقدم المهدى مكانه وقبله فكتب إليه يقول:

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك، جـ٧ ص٥٩٠، ٥٩٣، ٥٩٤. ابن الأثير الكامل، جـ ٥ ص ١٥٦.

(٢) انظر: ياقوت الحموى : معجم البلدان، جـ١ ص٣١٦.

(٣) الطبرى: المصدر السابق، جـ٧ ص٦٤٢، ٦٤٥، ٦٤٦. ابن الأثير : المصدر السابق، جـ٥ ص١٧٤.

بسم الله الرحمن الرحيم: من عبد الله عبد الله المنصور أمير المـؤمنين إلى عيسى بن موسى، سلام عليك، فإني احمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، أمـا بعد: فالحمد لله ذى المن القديم والفضل العظيم والبلاء الحسن الجميل الذى ابتدأ الخلق بعلمه وأنقذ القضاء بأمره، فلا يبلغ مخلوق كنه حقه ولا ينال في عظمته كنه ذكره يدبر ما أراد من الأمور بقدرته ويصدرها عن مشيئته لا قاضى فيها غيره ولانفاذ لها إلا به يجريها على إذلالها لا يستأمر فيها وزيراً ولا يـشاور فيها معيناً ولا يلتبس عليه شئ أراده، يمضى قضاؤه فيما احب العباد وكرهوا، لا يستطيعون منه امتناعاً ولا عن أنفسهم دفاعاً رب الأرض ومن عليهـا لـه الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين.

ثم إنك قد علمت الحال التى كنا عليها في ولاية الظلمة كيف كانت قوتنا وحيلتنا لما اجترأ عليه أهل بيت اللعنة فيما أحببنا وكرهنا فصبّرنا أنفسنا على ما دعونا إليه من تسليم الأمور إلى من أسندوها إليه واجتمع رأيهم عليـه نُـسام الخسف ونُوطأ بالعسف لا ندع ظلماً ولا نمنع ضيماً ولا نعطى حقاً ولا ننكـر متكراً ولا نستطيع لها ولا لأنفسنا نفعاً، حتى إذا بلغ الكتاب أجله وانتهى الأمر إلى مدته وأذن الله تعالى في هلاك عدوه وارتاح بالرحمة لأهل بيت نبيـه ﷺ فابتعث الله لهم أنصاراً يطلبون بثأرهم ويجاهدون عدوهم ويدعون إلى سـعيهم وينصرون دولتهم على أرضين متفرقة وأسباب مختلفة وأهواء مختلفة فجمعهم الله على طاعتنا وألف بين قلوبهم بمودتنا على نصرتنا وأعزهم بنصرنا.

لم نلق منهم رجلاً ولم نشهر معهم سيفاً إلا ما قذف الله في قلوبهم حتى ابتعثهم لنا من بلادهم ببصائر نافذة وطاعة خالصة يلقـون الظفـر ويعـودون بالنصر وينُصرون بالرعب لا يلقون أحداً إلا هزموه، ولا واتراً إلا قتلوه، حتى بلغ الله بنا بذلك أقصى مدانا وغاية منانا ومنتهى آمالنا وإظهار حقنا وإهـلاك عدونا كرامة من الله جل وعز وفضلاً منه علينا بغير حول منا ولا قوة. ثم لـم نزل من ذلك في نعمة الله وفضله علينا حتى نشأ هذا الغلام فقذف الله لـه فـي

قلوب أنصار الدين الذين ابتعثهم لنا مثل ابتدائه لنا أول أمرنا، وأشرب قلـوبهم مودته وقسم في صدورهم محبته فصاروا لا يذكرون إلا فضله ولا ينوهون إلا باسمه ولا يعرفون إلا حقه.

فلما رأى أمير المؤمنين ما قذف الله في قلوبهم من مودته وأجرى على ألسنتهم من ذكره ومعرفتهم إياه بعلاماته واسمه ودعاء العامة إلى طاعته أيقنت نفس أمير المؤمنين أن ذلك أمر تولاه الله وصنعه ولم يكن للعباد فيه أمـر ولا قدرة ولا مؤامرة ولا مذاكرة للذى رأى أمير المؤمنين من اجتماع الكلمة وتتابع العامة حتى ظن أمير المؤمنين أنه لولا معرفة المهدى بحق الأبـوة لأفـضت الأمور إليه، وكان أمير المؤمنين لا يُمنع مما اجتمعت عليه العامـة ولا يجـد مناصاً عن خلاص ما دعوا إليه، وكان أشد الناس على أمير المؤمنين في ذلك الأقرب فالأقرب من خاصته وثقاته من حرسه وشرطه، فلم يجد أمير المؤمنين بداً من استصلاحهم ومتابعتهم.

وكان أمير المؤمنين وأهل بيته أحق من سارع إلى ذلك وحرص عليـه ورغب فيه وعرف فضله ورجا بركته وصدق الرواية فيه وحمد الله إذ جعـل في ذريته مثل ما سألت الأنبياء قبله إذ قال العبد الصالح: (فَهَبْ لِي مِن لَّـدُنكَ وَلِيّاً{٥} يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً)(١).

فوهب الله لأمير المؤمنين ولياً ثم جعله تقياً مباركاً مهـدياً وللنبـى ﷺ سمياً وسلب من انتحل هذا الاسم ودعا إلى تلك الشبهة التى تميز بها أهل تلـك النية وافتتن بها أهل تلك الشقوة فانتزع ذلك منهم وجعل دائرة الـسوء علـيهم وأقر الحق قراره وأعلن للمهدى مناره وللدين أنصاره. فأحب أمير المؤمنين أن يعلمك الذى اجتمع عليه رأى رعيته وكنت في نفسه بمنزلة ولـده يحـب مـن سترك ورشدك وزينك ما يحب لنفسه وولده، ويرى لك، إذ أبلغك من حال ابن عمك ما ترى من اجتماع الناس عليه أن يكون ابتداء ذلك مـن قبلـك لـيعلم

---

(١) سورة مريم، الآية ٦.

أنصارنا من أهل خراسان وغيرهم أنك أسرع إلى ما أحبوا مما عليه رأيهم في صلاحهم منهم إلى ذلك من أنفسهم، وإن ما كان عليه من فضل عرفوه للمهدى أو أملوه فيه كنت أحظى الناس بذلك وأسرهم به لمكانته وقرابته فاقبل نصح أمير المؤمنين لك تصلح وترشد، والسلام عليك ورحمة الله.

جواب عيسى بن موسى للمنصور على رسالته السابقة :

بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عبد الله أمير المؤمنين من عيسى بن موسى سلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو.

أما بعد: فقد بلغنى كتابك تذكر فيه ما أجمعت عليه من خلاف الحق وركوب الإثم في قطيعة الرحم ونقض ما أخذ الله عليه من الميثاق من العامة بالوفاء للخلافة والعهد لى من بعدك لتقطع بذلك ما وصل الله من حبله وتفرق بين ما ألف الله جمعه وتجمع بين ما فرق الله آمره مكابرة لله في سمائه وحولاً على الله في قضائه ومتابعة للشيطان في هواه. ومن كابر الله صرعه، ومن نازعه قمعه، ومن ما كره عن شئ خلعه، ومن توكل على الله منعه، ومن تواضع لله رفعه.

إن الذى أسس عليه البناء وخط عليه الحذاء من الخليفة الماضى عهد لى من الله، وأمر نحن فيه سواء ليس لأحد من المسلمين فيه رخصة دون أحد، فإن وجب وفاء فيه فما الأول بأحق به من الآخر، وإن حل من الآخر شئ فما حرم ذلك من الأول، بل الأول الذى تلا خبره وعرف أثره وكشف عما ظن به وأمل به أسرع، وكان الحق أولى بالذى أراد أن يضع أولا، فلا يدعك إلى الأمن من البلاء اغترار من الله وترخيص للناس في ترك الوفاء، فإن من أجابك إلى ترك شئ وجب لى واستحل ذلك منى لم يخرج إذا أمكنته الفرصة وافتتنته بالرخصة أن يكون إلى مثل ذلك منك أسرع ويكون بالذى أسست من ذلك أنجع.

فاقبل العافية وارض من الله بما صنع وخذ ما أوتيت بقوة وكـن مـن الشاكرين فإن الله عز وجل زائد من شكره وعداً منه حقا لا خلف فـيهن فمـن راقب الله حفظه ومن أضمر خلافه خذله، والله يعلم خائنه الأعين وما تخفـى الصدور. ولسنا مع ذلك نأمن من حوادث الأمور وبغتات الموت قبل ما ابتدأت به من قطيعتي، فإن تعجل لي أمر كنت قد كُفيت مؤونة ما اغتنمت له وسترت قبح ما أردت إظهاره، وإن بقيت بعدك لم تكن أوغرت صدري وقطعت رحمي ولا أظهرت عدائي في اتباع أثرك وقبول أدبك وعمل بمثالك.

وذكرت أن الأمور كلها بيد الله هو مدبرها ومقدرها ومـصدرها عـن مشيئته فقد صدقت أن الأمور بيد الله وقد حق على من عرف ذلـك ووصـفه العمل به والانتهاء إليه. واعلم أنا لسنا جررنا على أنفسنا نفعاً ولا دفعنا عنهـا ضراً ولا نلنا الذي عرفته بحولنا ولا قوتنا ولو وكلنا ذلك إلى أنفسنا وأهوائنـا لضعفت قوتنا وعجزت قدرتنا في طلب ما بلغ الله بنا. ولكن الله إذا أراد عزما لإنفاذ وإنجاز وعده وإتمام عهده وتأكيد عقده أحكم إبرامه وأبرم احكامه ونـور اعلانه وثبت أركانه حين أسس بنيانه فلا يستطيع العباد تأخير مـا عجـل ولا تعجيل ما أخر، غير أن الشيطان عدو مضل مبين، قد حذر الله طاعتـه وبـين عدوانه، ينزع بين ولاة الحق وأهل طاعته ليفرق جمعهم ويشتت شملهم ويوقع العداوة والبغضاء بينهم ويتبرأ منهم عند حقائق الأمور ومضايق البلايا.

وقد قال الله عز وجل في كتابه: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَـا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الـشَّيْطَانُ ثُـمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (١). ووصف الذين اتقوا فقـال: (إِذَا مَـسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ) (٢). فأعيذ أمير المؤمنين بالله من أن يكون نيته وضمير سريرته خلاف ما زين الله به جل وعز من كان قبلـه،

---

(١) سورة الحج، الآية ٥٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٢٠١.

فإنه قد سألتهم أبناؤهم ونازعتهم أهواؤهم إلى مثل الذى همّ به أمير المؤمنين فآثروا الحق على ما سواه وعرفوا أن الله لا غالب لقضائه ولا مانع لعطائه ولم يأمنوا مع ذلك تغيير النعم وتعجيل النقم فآثروا الآجلة وقبلوا العافية وكرهوا التغيير وخافوا التبديل فأظهروا الجميل فتمم الله لهم أمورهم وكفاهم ما أهمهم ومنع سلطانهم وأعز أنصارهم وكرم أعوانهم وشرّف بنيانهم فتمت النعم وتظاهرت المنن فاستوجبوا الشكر. فتم أمر الله وهم كارهون. وسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله (١).

وهكذا نجد الخليفة المنصور يتنكر لعمه عيسى بعدما قدمه للدولة من خدمات ويتنصل من الوعد السابق له بولاية العهد من بعده ويحاول بشتى السبل أن يحصل منه على التنازل لأبنه محمد المهدى، فكان المنصور يعده ويمنيه تارة ويهدده ويتوعده تارة أخرى وواضح من نص الرسالة التى بعثها المنصور إلى عيسى أن المنصور تحجج في أمر نقل الخلافة إلى المهدى بأن ذلك بناء على رغبة وإجتماع كلمتهم.

وقد حاول عيسى الدفاع عن حقه وذَكّر المنصور بالعهد السابق وحذره من خطورة الاقدام على نكثه، غير أن محاولاته باءت بالفشل أمام إصرار المنصور فلم يجد بداً من التسليم والاذعان بالتنازل عن ولاية العهد إلى محمد المهدى حيث بعث إلى المنصور كتاباً يقر له بذلك ويعلن بيع حقه في الخلافة بالمال بعد أن فشل في الحصول عليه فقال:" نعم قد بعت نصيبى من تقدمه ولاية العهد من عبد الله أمير المؤمنين لابنه محمد المهدى بعشرة آلاف ألف درهم وثلاثمائة ألف بين ولدى وفلان وفلان- وسماهم- وسبعمائة ألف لفلانة - امرأة من نسائه سماها- بطيب نفس منى وحب لتصييرها إليه لأنه أولى بها وأحق وأقوى عليها وعلى القيام بها وليس لى فيها حق لتقدمته في قليل ولا كثير

---

(١) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـ٨ ص١٤: ١٩.

فما ادعيته بعد يومى هذا فأنا فيه مبطل لا حق لى منه ولا دعوى ولا طلبه " وختم الكتاب ووضع عليه خطه وخاتمة وتشهد عليه الشهود[١].

٦- تأسيس بغداد:

بعد أن تولى الخليفة أبو جعفر المنصور مقاليد الأمور بدأ يفكر في إقامة عاصمة جديدة لدولته، فلم تعد العواصم الإسلامية السابقة تصلح عاصمة للعباسيين، فدمشق كانت مركزاً لأنصار بنى أمية، والحجاز قطر فقير لا يناسب متطلبات الخلافة الجديدة وتطلعاتها، والكوفة كانت مركزاً لشيعة على وأنصاره. فقرر المنصور أن يخرج بنفسه ليتجول في أنحاء البلاد ليختار أصلح الأماكن، لبناء هذه العاصمة الجديدة وأخيراً وقع اختياره على المكان الذى أقيمت عليه مدينة بغداد. فهو مكان مناسب من الناحية الصحية تتوافر فيه المياه، كما أنه يتوسط البلاد العراقية ويقع بين الطرق التى تربط أجزاء الدولة وأقاليمها المختلفة مثل: الشام والجزيرة ومصر وفارس والأقاليم الآسيوية[٢].

وفى هذا الموقع الذى بنيت عليه بغداد كانت تقوم قرية فارسية تقام فيها الأسواق ويقصدها التجار، وقد أوردت المصادر اسم تلك القرية عند ذكرها للفتح الإسلامى للعراق ، وكيف أن الجيش الإسلامى قد دخلها عام ١٣ هـ/٦٣٧م، بقيادة المثنى بن حارثة، كما وجدت هناك نقوش أثرية تؤيد هذا الرأى[٣].

وتقابلنا بغداد في المصادر تحت أسماء كثيرة منها بغداد وبغدان ومغداد ومغذاذ ومغدان والزوراء (لأن مداخلها كانت مزوَّرة بمعنى منحنية على شكل

---

(١) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك ، جـ٨ ص٢٥.
(٢) انظر : ياقوت: معجم البلدان، جـ ١ص ٤٥٦: ٤٥٩.
(٣) انظر :ابن الأثير: الكامل ، جـ٢ ص ٢٦٢: ٢٦٤. نخبة من المؤرخين العراقيين: العراق في التاريخ ، بغداد ١٩٨٣م، ص٣١٤، ٣٧٥.

دهاليز أو منعطفات ملتوية لأغراض حربية ودفاعية). كما كانت تعرف كذلك باسم مدينة المنصور ومدينة السلام والمدينة المدورة[١].

وتختلف الآراء حول تفسير لفظ بغداد، وإن كان أرجحها أنه يتكون من كلمتين فارسيتين : بغ ومعناها: الله وداد ومعناها: عطية أى عطية الله[٢]. ولهذا أطلق عليها المنصور اسم مدينة السلام لأن السلام اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى .

وقد بدأ العمل في لإقامة هذه المدينة عام ١٤٥هـ/٧٦٢م، ولكن قيام ثورة محمد النفس الزكية قد أدى إلى توقف هذا العمل حتى تم القضاء على حركته عام ١٤٦ هـ/ ٧٦٣م فاستؤنف من جديد وقد استغرق بناء هذه العاصمة الجديدة أربعة أعوام[٣]. وقام المنصور باستدعاء العمال والمهندسين من كل أنحاء الدولة من الشام والموصل والبصرة والكوفة وغيرها، وقد بلغ عدد العمال مائة ألف عامل[٤]، وضع على رأسهم أربعة من المشرفين كان أحدهم الإمام أبو حنيفة النعمان وقد عهد إليه الخليفة بعد الطوب اللبن والآجر ففكر في طريقة توفر الوقت والجهد وهي عده بالقصبة ويقال أن الذى دفع المنصور إلى أن يعهد للإمام أبى حنيفة بهذا العمل الحقير رغم مكانة هذا العالم الجليل أنه كان متهما بالانحياز إلى محمد بن عبد الله [٥].

ويروى أن المنصور أراد أن يطلع على رسم المدينة قبل بنائها فأمر أن تخط طرقها بالرماد وأن يوضع على هذا الرماد كرات من القطن مبللة بالنفط

---

(١) انظر التفاصيل في : السيد عبد العزيز سالم: دراسات في تاريخ العرب، جـ٣ ص٣٤٦: ٣٤٨.
(٢) انظر المسعودى: مروج الذهب، جـ ٣ ص٢٩٧. البلاذرى فتوح البلدان جـ٢، ص٣٦١.
(٣) انظر : ياقوت : معجم البلدان، جـ١ ص٤٥٧.
(٤) البلاذرى : المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.
(٥) انظر : ابن طباطبا : الفخرى ، ص١٦٢، ١٦٣.

وتشغل فيها النار، ثم نظر إليها والنار مشتعلة فبانت له خططها وأقسامها[١]. ولقد بنُيت بغداد على هيئة مستديرة وتختلف الآراء حول تفسير اتخاذها لهذا الشكل، منها أنها بينت على نمط مدينة فارسية قديمة، وأنها هكذا لكي لا يكون الخليفة أقرب إلى أى موضع في المدينة عن الآخر، وكذلك لكي تكون مدينة صحية[٢].

وأحاط أبو جعفر المنصور عاصمته بأسوار ثلاثة: سور دلخلي وسوران خارجيان، ويحيط بالسور الخارجي خندق تُجرى فيه المياه عرضه ستة أمتار، كما فتح في كل سور أربعة أبواب متساوية البعد كل منها عن الآخر، وكانت هذه الأبواب تسمى باب الكوفة، وباب البصرة وباب الشام وباب خراسان.

وكان لكل فتحة باب في السورين الخارجيين بابان يسمى الباب الأول باب الفصل والثانى باب المدينة، وبين البابين دهليز. وكان وسط المدينة يسمى الرحبة ومساحتها ميلاً مربعاً[٣].

وقد بنيت أسوار بغداد من اللبن الكبير الحجم، وكان طول كل ضلع في اللبنة الواحدة ذراع ووزنها نحو ٢٠٠ رطل، وكانت الأبواب الداخلية للسور من الحديد الذى نقل إلى بغداد من إحدى المدن الفارسية القديمة

وتذكر بعض المصادر[٤] أن أبواب السور الكبير كانت مرتفعة بحيث كان يمكن للفارس أن يدخل حاملاً العلم أو الرمح الطويل دون أن يميل أياً منهما، وكان فوق كل باب من أبواب هذا السور الكبير غرفة عليا تشرف على المدينة، كان الخليفة يجلس فيها إذا أراد النظر إلى المدينة. وبين كل باب وآخر

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك، جـ٧ ص٦١٩.
(٢) ياقوت: معجم البلدان، جـ١ ص٤٥٩.
(٣) المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.
(٤) انظر الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـ ٧ ص ٦١٨. ياقوت: معجم البلدان ، جـ١ ص٤٥٩. القزوينى : آثار البلاد ص ٣١٤ ، ٣١٥.

أبراج للجنود، وكان بين كل سورين مكان خال يسمى الفيصل حيث أقام رجال الخليفة دورهم ومساكنهم.

وفي وسط المدينة كانت توجد الرحبة وكانت تقسمها شوارع أربع يمتد كل منها من المركز إلى أحد الأبواب. وفي وسط هذه الرحبة أقام الخليفة قصره وإلى جانبه المسجد الجامع، ولم يسمح المنصور بإقامة أية مساكن خاصة حول القصر اللهم إلا دار لصاحب الشرطة وأخرى لصاحب الحرس، ثم أقام على جوانب الميدان قصور الأمراء ودواوين الحكومة المختلفة(١).

وقد أطلق على هذا القصر الذى شيده المنصور قصر الذهب أو قصر القبة الخضراء لأنه كانت تعلوه قبة خضراء اللون وفى قمتها تمثال فارس في يده رمح(٢). ثم أقام المنصور بعد ذلك قصراً آخر على نهر دجلة باب خراسان وأطلق عليه اسم قصر الخلد(٣).

وأخذت بغداد في النمو والاتساع بمرور الزمن، فبعد الانتهاء من تأسيسها وضع المنصور أساس مسجد وقصر آخرين على الضفة الشرقية لنهر دجلة، وسمى هذا الربض بالرصافة، التى كانت هى النواة التى تكونت حولها بغداد الشرقية، وكان الخلفاء يؤثرون الإقامة في هذا الجزء من العاصمة، كما نقلت إليها دواوين الحكومة المختلفة ومنحت القطائع لقادة الجيوش فبنوا فيها دوراً لهم. أما بغداد الغربية فلم تعمر طويلاً إذ أخذ الخراب يزحف عليها حتى إذا ما اشرف القرن الرابع الهجرى على الانتهاء كانت معظم معالم المدينة قد اندثرت(٤).

---

(١) ياقوت: المصدر السابق ،جـ١ ص ٤٥٩، ٤٦٠.السيد عبد العزيز سالم: دراسات في تاريخ العرب، جـ ٣ ص٣٥٧: ٣٥٩

(٢) القزوينى : المصدر السابق، ص ٣١٤.

(٣) انظر: الطبرى : تاريخ الرسل والملوك، جـ ٧ ص٦١٨.

(٤) انظر : القزوينى : آثار البلاد، ص٣١٤، ١٩٨، ٣١٥.

ومن الأرباض الهامة التي بنيت خارج بغداد الغربية نذكر ربض الكرخ في جنوبها، وكان سكناً للعامة وأرباب المهن، ويروى لنا الطبرى(١) أن السبب في بناء هذا الربض أن أحد بطارقة الروم زار بغداد في عهد المنصور وكانت الأسواق تقع داخل المدينة وتضمها أسوارها فأمر صاحبه الربيع بن يونس أن يطوف بالمدينة ويصعد به السور ويريه قباب الأبواب ليرى ما كانت عليه المدينة من البناء والعمران، فلما أتم البطريق جولته سأله المنصور كيف رأيت مدينتى، فقال: " رأيت بناءً حسناً ومدينة حصينة إلا أنى قد رأيت أعداءك معك في مدينتك".

فسأله المنصور: ومن هم؟ قال: السوقة، ويوافى الجاسوس من جميع الأطراف، فيدخل الجاسوس بعلة التجارة، فيتجسس بالأخبار ويعرف ما يريد وينصرف من غير أن يعلم به أحد، أو يفتح أبواب المدينة لرفاقه ليلاً.

كذلك يروى الخطيب البغدادى(٢) هذا الحديث من زاوية أخرى فيقول أن البطريق أجاب المنصور بقوله" أنت بنيت بناء لم يبنه أحد كان قبلك، غير أن فيه ثلاثة عيوب، وكانت هذه العيوب في نظره بُعد المدينة عن الماء وخلوها من الخضرة ومن الحدائق والبساتين وسكنى الرعية مع الخليفة داخل أسوار المدينة، وعلق على هذا العيب الأخير بقوله:" وإذا كانت الرعية مع الملك في بناء فشا سرَه".

ويقال أن المنصور أدرك قيمة هذا النقد، ولكنه لم يشأ أن يعترف للبطريق بما يشوب مدينته من نقص، بل أراد أن يدافع عن هذه العيوب بقوله:" أما قولك في الماء فحسبنا من الماء ما بل شفاهنا،وأما العيب الثانى فإننا لم نُخلق للهو واللعب،وأما قولك فى سرى فما لى سر دون رعيتى"

---

(١) تاريخ الرسل والملوك، جـ٧ ص٦١٧ ، ٦١٨. وانظر : القزوينى ، المصدر السابق، ص٤٤٤.

(٢) تاريخ بغداد، طبع القاهرة،جـ١ ص٢٢، ٢٧ ،٣١.

ولم يكد يغادر البطريق المدينة حتى استدعى المنصور رجاله وأمـــرهم بمد قناتين من دجلة إلى المدينة وبغرس العباسية وبنقل الناس إلى الكرخ(١).

٧- سياسة أبي جعفر المنصور الخارجية:

بعد أن انتهى المنصور من مشاكله الداخلية بدأ يتجـــه إلـــى الـــسياسة الخارجية وخاصة تلك التى تربطه مع الدولة البيزنطية(٢)، ونلاحظ أنه كانـــت تفصل بين الأراضى العباسية والبيزنطية منطقة تسمى الثغور وكانت منطقـــة تختص بالدفاع ضد الأعداء ومن أهم مدنها الدفاعية ملطية والمصيصة(٣).

وفى بداية عهد المنصور قام الإمبراطور البيزنطى قسطنطين بـــالهجوم على الأراضى العباسية في عام ١٣٧هـ/ ٧٥٠م واستولى على ملطية وضرب حصولها، ولكن الجيوش الإسلامية تمكنت بعد ذلك من استردادها حيث أقامت بها حامية كبيرة للدفاع عنها(٤).

ونلاحظ أن الحروب بين العباسيين والبيزنطيين تميزت بميزة خاصـــة تختلف عنها في الدولة الأموية ، ففى العهد العباسى كانت عبارة عن غـــارات للهدم والتخريب دون هدف محدد بينما كانت الحروب مع البيزنطيين في الدولة الأموية تهدف إلى الاستيلاء على القسطنطينية ،

ويرى المؤرخون(٥) أن اختلاف السياستين يعود إلى أن الدولة الأمويـــة كان مركزها في الشام أقرب الأراضى الإسلامية للبيزنطيين وكان الـــشاميون يدينون بالولاء للبيت الأموى، أما بعد قيام الدولـــة العباســـية ، فكـــان هـــؤلاء

---

(١) التفاصـيل فـى : دائرة المعـارف الإسلامية، مـادة بغداد، جـ ٦ ص٣٧٣، ٣٨٨، ٣٩١، ٣٩٤.

(٢) انظر: السيد عبد العزيز سالم: دراسات في تاريخ العرب، جـ٣ ص ٢١٤.

(٣)عن ملطية والمصيصة انظر: ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص٩٧، ٩٩.

(٤) انظر : البلاذرى : فتوح البلدان، جـ١ ص١٩٦، ١٩٧ ، ٢٢٢. ابن الأثير الكامل، جـ٥ ص١١٧، ١١٩.

(٥) انظر مثلا: السيد عبد العزيز سالم: دراسات في تاريخ العرب، جـ٣ ص٢١٤، ص٩١. حسن أحمد محمود: العالم الإسلامى في العصر العباسى، ص١٥٩،١٥٨.

الشاميون يناصبون العباسيين العداء، ولهذا لم يتمكن العباسيون من الاستعانة بهم للإغارة على الأراضى البيزنطية، كذلك لم يهتم العباسيون ببناء أسطول بحرى قوى، كما كان الحال في عهد الأمويين .

رغم ذلك فقد تمكنت الجيوش العباسية في عهد الخليفة أبى جعفر المنصور أن تصل إلى مدينة باكو على بحر قزوين[١] حيث كان يوجد النفط وفرضوا الجزية على سكانها، كما قامت هذه الجيوش بإخضاع القبائل التى كانت تقطن إقليم طبرستان، كذلك تقدمت في اتجاه الشرق واستولت على قندهار على حدود الهند ووصلت إلى كشمير إلى الشمال الغربى من جبال هيمالايا[٢].

كذلك حاول المنصور أن يبسط نفوذه على بلاد المغرب والأندلس وأن يعيد هذه الأقاليم إلى حظيرة الدولة العباسية، أما بخصوص المغرب فقد تمكن من استعادة سلطان الخلافة على المغرب الأدنى ولم يتعد مدينة القيروان، بينما ظل الرسمّيون يحكمون المغرب الأوسط والمدراريون في المغرب الأقصى[٣].

أما في الأندلس فقد تمكن أمير أموى هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام من الفرار من المذابح التى أقامها العباسيون لبنى أمية في المشرق، وتجول في البلاد حتى انتهى به المطاف إلى الأندلس، واستطاع أن يستثمر النزاع والصراع على اشده في الأندلس بين اليمنية والمضرية في تكوين إمارة أموية في تلك البلاد[٤].

---

(١) انظر: القزوينى: آثار البلاد ، ص٥٧٨.

(٢) انظر: اليعقوبى : تاريخه، جـ٢ ص٣٨٧، ابن الأثير: الكامل، جـ٥ ص ٢٠٢، حسن أحمد محمود :العالم الإسلامى في العصر العباسى ، ص١٧٤.

(٣) انظر: ابن الأثير: الكامل ، جـ٥ ص ١٩٧،١٩٨. حسن أحمد محمود: العالم الإسلامى في العصر العباسى،ص٤٠٤.

(٤) انظر التفاصيل في : ابن عذارى المراكشى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق/ ليفى بروفنسال وآخر، دار الثقافة ، بيروت ، الطبعة الثانية١٩٨٠م،

ولم يكن الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور ليرضى عن قيام تلك الدولة الجديدة، وراودته فكرة استرداد الأندلس والقضاء على عبد الرحمن، وإعادة ممتلكاته إلى سلطان الخليفة كما كان الحال على عهد الدولة الأموية

فاتفق المنصور مع أحد سكان مدينة باجة في غرب الأندلس يدعى العلاء بن مغيث، على أن يقوم الأخير بمحاولة القضاء على عبد الرحمن ووعده بإمارة الأندلس إذا ما نجح في مهمته. وبدأ العلاء في تنفيذ المهمة الموكولة إليه بالدعاء للخليفة المنصور، فانضم إليه كل ساخط على عبد الرحمن، ولا سيما القبائل اليمنية(١)، وكانت تلك القبائل قد ساعدت عبد الرحمن في بداية الأمر طمعاً في النفوذ والسلطة، ولكن خاب ظنهم في السيطرة على عبد الرحمن، وظهر تبرمهم منه، وأمام هذا لم يجد عبد الرحمن بداً من أن ينضم صراحة إلى أعدائهم المضرية(٢).

وقام العلاء بثورته في مدينة باجة بعد أن اجتمع إليه الأنصار والأعوان عام ١٤٧هـ/ ٧٦٤م، ورفع هناك العلم الأسود شعار الدولة العباسية، ودعى لأبي جعفر المنصور، وانثال إليه الساخطون على عبد الرحمن، وانضموا تحت لوائه، فقويت شوكته، وتوجه عبد الرحمن لقتاله ، غير أنه هُزم أمامه واضطر أن يعتصم بمدينة قرمونة(٣)، فحاصرها العلاء شهرين، حتى أخذ الجهد والتعب من عبد الرحمن ورجاله، كل مأخذ ، فجمع رجاله وأمر بنار فأوقدت ثم أمر بأجفان السيوف فطرحت في النار وأحرقت وقال لأصحابه: " أمامنا الآن

جـ٢ ص ٤٤: ٤٦. ابن الأثير: الكامل، جـ٥ ص١٢٢، ١٢٣. ابن خلدون العبر، ج٤ ص١٤٥ ، ١٤٦.

(١) ابن الأثير: الكامل ، جـ٥ ص١٧٨، ٢٠٩. المقرى : نفح الطيب منغصن الأندلس الرطيب : تحقيق / إحسان عباس، دار صادر بيروت ١٩٨٨م، جـ١ ص٢٣٢.

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب، جـ٢ ص٥١. المقرى: نفخ الطيب، جـ١ ص٢٣٢.

(٣) انظر :ياقوت:معجم البلدان،جـ٤ ص٣٢٩. المقرى: المصدر السابق نفس الجزء والصفحة.

طريقان: إما النصر أو الموت، فأخرجوا معى خروج من لا يحدث نفسه بالرجوع.

وكانوا سبعمائة فثارت حميتهم وساروا خلف قائدهم، وانقضوا على المحاصرين مزقوهم شر ممزق، وقتلوا قائدهم العلاء بن مغيث ومعظم رجاله. وبعد أن طيف برأس العلاء أمر عبد الرحمن بوضع بعض الملح والكافور فيه كى لا يفسد، كما أمر بأن تقطع آذان القتلى من رجاله، وأن توضع في كل أذن بطاقة باسم صاحبها، وأن تلف مع رأس العلاء في العلم العباسى الأسود، وأن تحمل إلى مكة في سفط ، حيث كان المنصور يحج في هذا العام، ووضع أمام باب خيمته، فلما أتى به إليه ونظر فيه اشتد غضبه وانزعج قائلا: " الحمد لله الذى جعل بيننا وبين هذا الشيطان بحراً. (١)

وهكذا نرى أن المنصور الذى امتد حكمه إلى اثنتين وعشرين سنة يعتبر هو المؤسس الحقيقى للدولة العباسية، إذ مكن لها فقضى على فتن الخارجين والطامحين ووضع حداً لفتن الشيعة وأنشأ عاصمة للخلافة وأرسى نظمها، كما أنه قد انطلق ليحارب الأعداء ويفتح البلاد.

وكان يعرف عن المنصور جده وصرامته، يحكى أنه سمع يوماً جلبة فى قصره فسأل عن مصدرها فقيل له بأن أحد الخدم قد جلس بين الجوارى يضرب لهن على الطنبور فأخذن في الضحك، فأمر بأن يحطم ذلك الطنبور على رأس الخادم وأن يخرج من القصر(٢).

كذلك عرف عن المنصور دقته في محاسبة عماله ومباشرة أعماله بنفسه، وكذلك حرصه فى إنفاق الأموال حتى أنه كان يتهم أحياناً بالبخل . ويقول ابن طباطبا:" كان المنصور من عظماء الملوك وحزمائهم وعقلائهم

---

(١) انظر التفاصيل في : ابن عذارى: البيان المغرب ، جـ٢، ص٥١، المقرى : نفخ الطيب، جـ١، ص٢٣٢، القزوينى: آثار البلاد ص ٤١٣: ٤١٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل،جـ٥ ص ٢١٩،٢٢٠.

وعلمائهم وذوى الآراء الصائبة منهم والتدبيرات السديدة، وقوراً شديد الوقار حسن الخلق، تراه في بيته من أشد الناس احتمالا للعبث.. والمزاح، فإذا لبس ثيابه وخرج إلى المجلس العام تغير لونه واحمرت عيناه وانقلبت جميع أوصافه، وهو يقول في ذلك لأولاده: يا بنى إذا رأيتمونى قد لبست ثيابى وخرجت إلى المجلس فلا يدنون أحد منى مخافة أن أعاره بشئ[١].

ويقص ابن طباطبا كذلك أن أحد رجال الدولة الأموية[٢] قال عن المنصور: " ما رأيت رجلاً في حرب أو سلم أمكر ولا أنكر ولا أشد تيقظاً من المنصور.. لقد حاصرنى تسعة شهور، ومعى فرسان العرب فجهدنا كل الجهد لننال من عسكره شيئاً، فما قدرنا لشدة ضبطه لعسكره وكثرة تيقظه[٣] ، ولقد حصرنى وما في رأسى شعرة بيضاء ، ثم انقضى ذلك وما في رأسى شعرة سوداء"[٤].

وفي عام ١٥٨ هـ/٧٧٥ م توفى الخليفة المنصور وهو في طريق عودته بعد أداء فريضة الحج وخلفه ولده محمد المهدى[٥].

---

(١) ابن طباطبا: الفخرى ، ص١٥٩.
(٢) وهو يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى.
(٣) المصدر السابق . ص١٦٠.
(٤) ابن طباطبا : الفخرى، ص١٦٠.
(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ ص ٢١٥،٢١٨.

الفصل الثانى

بدايات الصراع الأسرى ودور الفرس فيه

أولاً : الخليفة محمد المهدى

١ - زيادة نفوذ الموالى.

٢- علاقات المهدى الخارجية .

ثانياً : الخليفة موسى الهادى

١ - ثورة الحسين بن على.

٢- مشكلة ولاية العهد .

ثالثاً الخليفة هارون الرشيد

١ - البرامكة ونكبتهم .

٢- سياسة الرشيد الخارجية .

أولا - الخليفة محمد المهدي:

بويع بالخلافة لمحمد المهدى بالله في يوم وفاة أبيه (السبت ٦ من ذى الحجة عام ١٥٨/ اكتوبر ٧٧٥)[١]، وامتدت خلافته حوالى عشر سنوات. وقد عمل المهدى على إرساء نظم الدولة العباسية وتمكينها، فاستكمل بناء الرصافة وأدخل عدداً من الدواوين الجديدة نذكر منها " ديوان الأزِمَّة " لمراجعة الحسابات المالية"، كما أقام البريد بين بغداد وجُرجان (عند بحر قزوين) والحجاز واليمن، مما ساعد على تقدم التجارة وازدهار العمران.

واهتم بالنظر في المظالم وجعله من مراسم الدولة، كما نظم أحوال المسجونين السياسيين، وعفا عن الكثير ممن كانوا في سجون المنصور ورد إليهم أموالهم ولا سيما العلويين. واسترضى أهل الحجاز، واكتسب مودة أهل الشام، كذلك اهتم بحركة الثقافة والتعليم وبناء المستشفيات وغيرها من المنشآت ذات النفع العام[٢].

١- زيادة نفوذ الفرس:

ازداد نفوذ الموالى الفرس ولا سيما أهل خراسان زيادة كبيرة في عهد الخليفة المهدى ، فقد أحاط نفسه بهم وتمكن الموالى في عصره من السيطرة على كل الوظائف العليا في الدولة مثل الوزارة وقيادة الجيوش، ونذكر منهم أبو عبيد الله معاوية[٣] ويعقوب بن داود بن طمهان[٤] وكلاهما من الموالى الذين

---

(١) ابن حزم : موجز تاريخ الإسلام ، ص٤٠.

(٢) انظر التفاصيل في : اليعقوبى : تاريخه ، جـ ٢ ص ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٦٩. ابن الأثير الكامل جـ٥ ص ٢٣٦، ٢٣٧. ابن طباطبا: الفخرى ، ص١٧٩، ١٨٠.

(٣) أبو عبيد الله معاوية بن عبيد الله بن يسار، مولى فارسى ينتسب بالولاء إلى الأشعريين وينتسب بالإقامة إلى مدينة طبرية الأردنية فيقال معاوية بن يسار الأشعرى الطبرانى. الجهشيارى : الوزراء والكتاب، ص١٢٦.

(٤) يعقوب بن داوود بن طمهان، مولى فارسى ينتسب بالولاء إلى بنى سليم فيقال معاوية بن داود السلمى ، السمعانى: الأنساب، جـ٣ ، ص٢٧٨.

فوض إليهم المهدى تدبير الخلافة. فاستبدوا بالدولة، ولا سيما الثانى الذى تمكن من السيطرة على دواوينها وجعل عمالها من العجم(١).

كذلك تذكر شخصية أخرى من الموالى لعبت دوراً مهماً فـي عـصر المهدى وهى : الخيزران(٢)، وكانت في الأصل جارية أعجمية من أصل فارسى ثم أعتقت فتزوجها المهدى في عام (١٥٩هـ/٧٧٥-٧٧٦م) وأصبحت أما لكل من الهادى وهارون الرشيد وكلاهما تولى الخلافة بعد وفاة أبيهما، وكانت هذه المرأة متعصبة للفرس بطبيعة الحال، وقد تمكنت من السيطرة على أمور الحكم، وكان لها الأمر والنهى ، فكانت الرجال تروح وتغدو إلى بيتها، قبل التوجه إلى الخليفة نفسه(٣)، وقد استطاعت أن تحقق ثروة طائلة، حتى قيل أنه عند وفاتهـا تركت أكثر من مليون درهم(٤).

- ***الفرس والزندقة*** :

كانت كلمة الزندقة في العصر العباسى تحمل معانى كثيرة، فكان العامة يطلقون على المستهترين زنادقة لإفراطهم في شرب الخمر والمجون، كما كانت تطلق على أصحاب النزعات التحريرية ضد التقاليد القديمة .

كذلك فإن بعض الفرس قد وجدوا في العصر العباسى أنه لا سبيل لنيل الجاه والسلطان إلا بالدخول في الإسلام، فاعتنقوه ظاهراً ، فظلوا على ولائهـم لدينهم القديم، ورأى قوم منهم أنه لا سبيل لإفساد العقيدة الإسلامية إلا بالانتساب إلى الإسلام حتى يؤمن جانبهم، ثم أخذوا في بث تعاليمهم في العلـوم والآداب

---

(١) انظر: الجهشيارى: الوزراء والكتاب، ص ١٥٨،١٥٧. يذكر أن يعقوب ابن داود تولى إدارة جميع شئون الدولة وباشرها نيابة عن الخليفة وتفرد بتدبير الأمور كلها. وانظر : ابن الأثير : الكامل جـ٥ ص٢٥١.

(٢) الخيزران : أم ولد ابنة عطاء مولدة كوفية وقيل مولدة جرش من ارض اليمن المسعودى: التنبيه والإشراف ، ص٣٤٤. ابن حزم : موجز تاريخ الإسلام، ص٤٢.

(٣) انظر اليعقوبى: تاريخ ،جـ٢ ص ٤٠٦ ابن عمرانى : الأنباء في تاريخ الخلفاء ، ص ٣٥ ، ٣٤ .

(٤) توفت الخيزران سنة ١٧٣هـ. ابن الأثير: الكامل،جـ٥ ص ٢٨٦.

وعُرِف هؤلاء كذلك باسم الزنادقة، وقد لاقوا من تنكيل الخلفاء العباسيين الشئ الكثير. كذلك عُرِف الإلحاد باسم الزندقة، وسمى الملحد زنديقا[١].

ويبدو أن كلمة زندقة كلمة فارسية قديمة، كانت تطلق على من يتبع "الزند" وهو شرح كتاب الفرس المقدس الذى يسمى الافستا[٢]. وترتبط الزندقة على وجه الخصوص بعقيدتين فارسيتين، الأولى : تلك العقيدة التى دعا إليها مانى(٢١٥ -٢٧٦م) قبل الإسلام ونادى بقول المجوسية دين الفرس القديم الذى يقول بأن الوجود قائم على مبدأين أساسيين هما: الخير والشر أو النور والظلام، ولما كانت الشمس هى مصدر النور، والشمس من نار لهذا قدس المجوس النار وقاموا بعبادتها، وأعلن مانى أن رسالته تتلخص في تخليص الإنسانية من دنس المادة ، وذلك بالبعد عن الملذات البشرية كمقاطعة النساء، وبإفناء الشهوات بإنهاك الجسد بالصوم الطويل والصلاة الخاصة بهم، وكان مانى يؤمن بتناسخ الأرواح، وأن روح الله تتقمص في الإنسان[٣].

أما العقيدة الثانية فهى: المزدكية " نسبة إلى مزدك. وقد ظهر بعد مانى بحوالى قرنين من الزمان، وقال أيضا بقول المجوسية ولكن تميزت تعاليمه بتفسير الافستا على أساس شيوعى، بأن يتساوى الناس في الأملاك، وأن من كان عنده فضل من الأموال والنساء والخدم والأمتعة، فما هو أولى به من غيره. وقد مال كثير من الناس إلى العقيدة المزدكية ، واعتقدوا في مزدك صاحبها بالنبوة[٤].

---

(١) انظر التفاصيل في : النوبختى: فرق الشيعة، ص٦٤. البغدادى: الفرق بين الفرق، ص٢٠٣ ، ٢٢٥. سميرة مختار الليثى : الزندقة والشعوبية ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٨م ص ٢٥: ٢٩.

(٢) انظر: ابن منظور: لسان العرب،دار صادر بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٠م، جـ١ ص١٤٧.

(٣) انظر : ابن النديم: الفهرست، ص٤٥٦: ٤٥٩ . البيرونى: الآثار الباقية تحقيق/ إدوارد سخاو، ليبزخ ١٩٢٣ ، ص٢٠٧، ٢٠٨ .

(٤) ابن النديم :المصدر السابق، ص٤٧٩. البيرونى : المصدر السابق، ص٢٠٩.

وقد تجرد الخليفة المهدى العباسى لمقاومة الزنادقة، وأخذ بتعقبهم في كل أرجاء دولته ويضطهدهم وينكل بهم، كذلك قام بتعيين رجل وعهد إليه بتعقبهم ومحاكمتهم، أسماه " صاحب الزنادقة " أو " عريف الزنادقة"(١). كذلك أقام لهم سجنا خاصا حتى لا يقوموا بتلقين افكارهم إلى غيرهم، وخصص لهم رجالا بقصد محاولة استتابتهم(٢)، كما عهد المهدى إلى بعض العلماء من رجال الدين بوضع الكتب للرد على هؤلاء الزنادقة. (٣)

وكان من نصيب عهد المهدى ظهور حلقة جديدة من حلقات ثورات الزنادقة في العصر العباسى الأول . وهى حركة المقنع الخراسانى، التى كانت من أخطر الحركات التى واجهها العباسيون في ذلك العصر، ولذا ركز المهدى كل جهوده حتى نجح في القضاء عليها، فقد كان المهدى من أكثر الخلفاء العباسيين تديناً وتمسكاً بتعاليم الإسلام، وكما يقول ابن طباطبا(٤) عنه" كان المهدى شهما فطنا كريماً شديداً على أهل الإلحاد والزندقة لا تأخذه في إهلاكهم لومة لائم".

ظهرت حركة المقنع الخراسانى فى سنة ١٦١هـ/ ٧٧٧م في محاولة الفرس إحياء العقائد المجوسية البائدة في خراسان وفاقت الراوندية في دقة التنظيم، والمقدرة على نشر التعاليم المجوسية الفاسدة، والتف حولها عدد كبير من الناس، وصارت مصدر خطر على الدولة العباسية زهاء أربعة عشر عاما(٥).

تزعم هذه الحركة رجل يدعى حكيم المقنع أو المقنع الخراسانى كما اسلفنا، ينتسب إلى قرية من قرى مرو بخراسان، وكان قبيح الخلقة، أعور

---

(١) انظر: الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـ٨ ص١٦٥.
(٢) الجهيشارى: الوزراء والكتاب ، ص١٥٣ ، ١٥٤. ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ص ٢٥٣.
(٣) السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص ٣٢٨.
(٤) الفخرى ص١٨٠.
(٥) الدورى: المجتمع ومناهضة الشعوبية ص١١٠.

قصيراً، ويرجع سبب تسميته المقنع، إلى أنه أدرك قبح وجهه مما يدعو إلى نفور الناس، فأراد إخفاءه عنهم، فصنع قناعا من الذهب على صورة وجه إنسان وركبه على وجهه[١]. ولم يفض المقنع إلى اتباعه بسر اتخاذه هذا القناع الذهبى وزعم أنه يشع من وجهه نور ساطع يبهر الأنظار، وقد تحرق من يقع عليه.

وكان المقنع في بداية الأمر يعتنق مذهب (الرزامية) وهم فرع من فروع حزب الشيعة الكيسانية الذى ساق الإمامة في اعتقاد أصحاب هذا المذهب إلى محمد بن على بن أبى طالب المعروف باسم(ابن الحنفية)، ثم إلى ابنه أبى هاشم، ثم إلى على بن عبد الله بن العباس ، ثم إلى ابنه محمد، ثم إلى ابنه إبراهيم الإمام، ثم إلى أخيه أبى العباس أول الخلفاء العباسيين، ثم انتقلت الإمامة منه إلى أبى مسلم الخراسانى داعية العباسيين الأول .

تحدث الشهرستانى[٢] عن الرزامية وانتماء المقنع لهم فقال:" وهؤلاء ظهروا بخراسان في أيام أبى مسلم، حتى قيل أن أبا مسلم كان على هذا المذهب لأنهم ساقوا الإمامة إلى أبى مسلم، فقالوا: له حظ في الإمامة ، وادعوا حلول روح الإله فيه، ولهذا أيده الله على بنى أمية ، حتى قتلهم عن بكرة أبيهم، وإصطلمهم[٣]. وقالوا بتناسخ الأرواح . والمقنع الذى أدعى الإلوهية لنفسه على مخاريج أخرجها كان في الأول على هذا المذهب". ويرى الشهرستانى أيضاً أن الرزامية " صنف من الخرمية نادوا بترك الفرائض، فقالوا الدين معرفة الإمام فقط، ومنهم من قال : الدين أمران ، معرفة الإمام وأداء الأمانة ومن حصل له الأمران فقد وصل إلى الكمال وارتفع عنه التكليف".

---

(١) يرى البغدادى (الفرق بين الفرق ص) ٢٢٦، أن المقنع وضع على وجهه برقعا من حرير.
(٢) الملل والنحل جـ ١ ص ١٣٧.
(٣) أصطلمهم : أى استأصلهم .

نادى المقنع بنظرية " تناسخ الأرواح"[1] كما ادعى الإلوهيـــة . فــزعم المقنع أن الله خلق آدم فتحول في صورته، ثم في صورة نوح، ثم إلى صـــورة إبراهيم ، ثم إلى صورة الأنبياء والحكماء، ثم في صورة محمد، ثم تحول بعده فى صورة على بن أبى طالب، ثم انتقل في صورة أولاده، ثم إلى صورة أبـــى مسلم الخراسانى، وزعم المقنع أنه انتقل من أبى مسلم إليه، ولـــذا طلـــب مـــن أنصاره أن يعبدوه ويسجدوا له.

ونظر المقنعية إلى أبى مسلم نظره تقديس، فزعموا أن روح الله قد حلت فيه، مما أدى إلى انتصاره على بنى أمية وإسقاط دولتهم. وقد أصبح أبو مسلم إلاها إذ حلت فيه روح الله . وهم ينكرون موت أبى مسلم وإذا سألهم أحد : من الذى قتله الخليفة المنصور إذن ؟ أجابوا أنه شيطان تمثل على صـــورة أبـــى مسلم[2]. كما ذهبوا إلى أن أبا مسلم أفضل من جبريل وسائر الملائكة . وأن أبا مسلم سيعود ليثأر لنفسه من أعدائه، ولينشر العدل والسلام[3].

وشرح ابن طباطبا[4] تعاليم المقنعية الفاسدة ، فقال: " كان هذا المقنـــع رجلا أعوراً قصيراً من أهل مرو، وكان قد عمل وجهاً من ذهب وركبه علـــى وجهه لئلا يرى وجهه، وادعى الألوهية ، وكان يقول أن الله خلق آدم فتحول فى صورته ثم فى صورة نوح. وهكذا هلم جراً إلى أبى مسلم الخراسانى، وســـمى نفسه هاشماً، وكان يقول بالتناسخ، وبايعه خلق من ضـــلال النـــاس، وكـــانوا يسجدون إلى ناحيته أين كانوا من البلاد ، وكانوا يقولون في الحرب: يا هاشـــم أعنا، واجتمع إليه خلق كثير" وقد عمل المقنع على هدم أركان الإسلام فأسقط

---

(١) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـ٨ ص ١٣٥.
(٢) النويختى: فرق الشيعة ص٢٤ .
(٣) الـشهرستانى: الملـل والنحـل جــ١ ص٢٠٥-٢٠٧ ، البغـدادى : الفـرق بـين الفـرق: ص٢٢٧.
(٤) الفخرى ص١٨٠.

عن أتباعه الصلاة والصوم والزكاة وطالبهم بالسجود له وأباح لهم النساء كيفما شاءوا فانتشرت الإباحية والفوضى الأخلاقية (١).

ودعم المقنع مكانته فى نفوس أتباعة بسبب الأدوار الخارق للعادة التى أظهرها لهم من حين إلى آخر. ذلك بأنه كان خبيراً بالهندسة والحيل وهى الأمور التى ساعدت على تنفيذ بعض الأشياء التى استعصت على الناس فى تلك الحقبة فهم سرها وحملهم على الإيمان بأنها ضرب من المعجزات (٢).

وأدرك المقنع أنه لكل نبى معجزة، فما بالكم وقد ادعى الألوهية ولذا فقد أظهر المقنع قمراً يطلع ويراه الناس على مسيرة شهر، ثم يأفل ولم تمدنا المصادر التاريخية القديمة بمعلومات وافية نستطيع أن نصل بها إلى حقيقة هذه الخدعة التى لجأ إليها المقنع، ولكننا نعتقد أنه لجأ إلى وسائل علمية، وزعم أنها معجزة من معجزاتة. وكان قد سبقة فى زمن سالف له رجل ادعى النبوة فى بلاد ما وراء النهر فى ناحية كش، تسمية كتب التاريخ (الممخرق) وتسمى أتباعه (الممخرقين)، وادعى أنه يطلع بدراً فى السماء، فحفر بئراً واسعة فى بعض جبال تلك الناحية، طرح فيها الزئبق الكثير فوق الماء، فكان شعاعة يظهر فى الجو كأنه البدر، ونعتقد أن المقنع لجأ إلى مثل هذه الحيلة(٣).

ولم يبادر المقنع بالهجوم على البلاد إلا بعد أن استكمل خططة الدينية والحربية. ليتجنب المصير الذى تردت فيه الراوندية نتيجة اندفاع أتباعها فعمد إلى نشر دعوتة فى بلاد ما وراء النهر كذلك، وجمع ما فيها من عناصر دينية كارهة لسلطان العرب، فقد كانت بلاد ما وراء النهر مصدر كثير من الفتن والثورات. ضد العرب أواخر العصر الأموى، ورأى المقنع ضمها إلى جانبه بنشر تعاليمه بينها، والتحالف كذلك مع رؤساء الفرق الدينية الباطلة فيها .

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ١ ص ٤٥٣ .
(٢) العدوى: المجتمع العربى ومناهضة الشعوبية ص ١١١ .
(٣) الخربوطلى: المهدى العباسي ص ١٦٨ .

ساد تلك البلاد معتقدات فاسدة عرف الضار منها باسم (المبيضة) ولم يعترفوا بأى سلطان للدولة العباسية عليهم. وأقامت غالبية المبيضة فى منطقة الصعد التى سبق أن أعلن أهلها العصيان على الأمويين، بانضمامهم إلى ثورة الحارث بن سريج، فقبلت تلك الفرقة محالفة المقنع، وجمعوا إليه أيضاً الكثير من القبائل التركية الوثنية(١).

ويعتبر البغدادى (٢) أيضا المبيضة هى المقنعية، فيقول: "وأما المقنعية، فهم المبيضة بما وراء نهر جيحون، وكان زعيمهم المعروف بالمقنع رجلاً أعور قصارا بمرور، من أهل قرية لها (كازه كيمن دات) وكان قد عرف شيئاً من الهندسة والحيل والنيرجيات،وكان على دين الرزامية بمرور، ثم ادعى لنفسة الإلهية".

وكانت المجوسية لاتزال منتشرة فى الأطراف الشرقية من الدولة العباسية، فهى دين متوارث عن الآباء والأجداد ، ورمزاً للقومية الفارسية والمجد التليذ المفقود، ولذا لقيت تعاليم المقنع الفاسدة هوى فى نفوسهم وقبولاً منهم . فانتشرت آراؤه ومبادؤه فى بخارى وسمرقند ومنطقة بحر قزوين. والتجأ المقنع إلى قلعة حصينة فى (كش) وجمع فيها كمية وفيرة من الطعام حتى يمكنة ان يتحمل حصاراً طويلاً قد يضرب حول القلعة(٣) ووصف البغدادى هذه القلعة فقال: " وكان له حصن عظيم وثيق بناحية كش ونخشب يقال له سيام" وكان عرض جدار سورها أكثر من مائة آجره، ودونها خندق كبير، وكان من أهل الصغد والأتراك الخليجية" . وكان لتحالف المقنع مع كثير من القبائل التركية الوثنية أن أجتمع له آلاف من الأتباع، فأخذ يهاجم منازل

---

(١) العدوى: المجتمع العربى ومناهضة الشعوبية .
(٢) الفرق بين الفرق ص٢٢٧ .
(٣) تاريخ الرسل والملوك، جـ ٨ ص ١٣٥ .

العرب فى الجهات المجاورة له، ويقتل الكثيرين منهن ويستولى على منـازلهم ومتاعهم(١).

شعر المهدى بخطورة دعوة المقنع، فهى تهدم أركان الإسلام، كما انها تمجد أبا مسلم الخراسانى الذى تخلصت الدولة العباسية منه، كما تـدعو إلـى مبادئ مزدك الفوضوية التى تهدد سلامة المجتمع الإسـلامى ونظـم الدولـة الإسلامية.

بعث المهدى بعدة جيوش كثيفة قادها قواد عباسيون اشتهروا بالشجاعة والخبرة والإقدام، مثل أبو النعمان والجنيد وليث بن النصر. ولكن لم يتحقق لهذه الجيوش الانتصار، وصمدت المقنعية " وهزموا عساكر كثيـرة مـن عـساكر المسلمين(٢) " فقد رأت المبيضة التصدى لتلك الجيوش ، كمـا كـان لتحـالف الأتراك أثره في صمود المقنعية .

ورأى المهدى أن يركز جهوده للقضاء على هذه الثورة الجامحة، فأعد سنة ١٦١هـ/ ٧٧٧م جيشاً كثيفاً، عهد بقيادته إلى معـاذ بـن مـسلم، واليـه بخراسان، يعاونه سعيد الحرشى، وتألف الجيش من أكثر من سبعين ألف مقاتل، وانضم إليه رجال من أبرز قواد الدولة العباسية، وهم عقبة بن مسلم ، وجبرائيل بن يحيى ، وليث مولى المهدى.

ونجح الجيش العباسى في الاستيلاء على كثير مـن قـلاع وحـصون المقنعية، واضطر اهلها إلى الفرار إلى القلعة الرئيسية التى يتحصن فيها المقنع نفسه في منطقة (كش) . وحاصر الجيش العباسى هذه القلعة طـويلاً، ورغـم توافر التموين في القلعة إلا أن كثيرا من أنـصار المقنـع ضـاقوا بالحـصار الطويل، وخرجوا من القلعة يسلمون انفسهم إلى قائد المهدى، وبقي المقنع فـي قليل من أنصاره(٣).

---

(١) المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة .

(٢) البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٢٢٧.

(٣) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك/ جـ٨ ص ١٣٥.

تولى سعد الحرشى الهجوم على القلعة، وكان قائدا ملما بالفنون الحربية ، فأمر بصنع أكثر من مائتى سلم من الحديد والخشب ليضعها على فتحة الخندق، كما جلب من مدينة (مولتان) بالهند عشرة آلاف من جلد الجاموس، حيث اشتهرت تلك المدينة بهذه الصناعة، ثم حشى هذه الجلود بالرمل، وألقى بها في الخندق حتى يساعد على عبوره ومهاجمة المقنع في عقر داره(١).

وأدرك المقنع أن نهايته قد قربت، وأنه إذا وقع في أيدى العباسيين، فسيقتلوه ويصلبوا، ويمثلوا بجثته، ورأى أن تكون نهايته على يديه، فأشعل النيران في القلعة . وأحرق كل ما فيها من دواب وثياب ومتاع،وأذاب النحاس والسكر في تنور، وجمع نساءه وأولاده وطلب من أصحابه أن يلقوا بأنفسهم في النار ليرتفعوا إلى السماء. وأبى أتباعه أن يستجيبوا إلى طلبه، إما لحبهم الحياة أو لاكتشافهم كذبه واحتياله . ولكن المقنع أبى أن يموت وحده.

وأصر على أن يشاركه أتباعه مصيره، فأخذ سراًشراباً مسموماً، وطلب من أتباعه أن يشربوا منه ، وقال لهم : أنا صاعد إلى السماء، فمن أراد أن يصحبنى فليشرب من هذا الشراب. ولم يفطن أتباعه إلى حقيقة الشراب المسموم ، فشربوا منه ، فماتوا، وألقى المقنع بجثثهم ، وبجثث نسائه وأطفاله فى النيران، ثم ألقى نفسه أخيراً في النار. حتى لا يظفر العباسيون بجثته وجثث أسرته وأتباعه(٢).

وهكذا قضى على المقنع وكثير من أتباعه ولكن تعاليمه الفاسدة ظلت باقية فيقول البغدادى(٣) "وأحرق المقنع نفسه في تنور في حصنه قد أذاب فيه النحاس مع القطران حتى ذاب فيه، وافتتن به أصحابه بعد ذلك لما لم يجدوا له

(١) البغدادى: الفرق بين الفرق ص٢٢٧.
(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك، جـ ٨ ، ص١٥. ابن طباطبا، ص١٨٠.
(٣) الفرق بين الفرق ص٢٢٧.

جثة ولا رماداً. وزعموا أنه صعد إلى السماء، وأتباعه اليوم في جبل العــراق الآن -زمن المؤلف- أكره أهلها، ولهم في كل قرية مــن قــراهم مــسجد لا يصلون فيه".

ولكن يكترون مؤذنا يؤذن فيه. وهم يستحلون الميتة والخنزيــر، وكــل ولحد منهم يستمتع بإمراة غيره، وإن ظفروا بمسلم لم يره المؤذن الــذى فــي مسجدهم قتلوه وأخفوه، غير أنهم مقهورون بعامة المسلمين في ناحيتهم".

ورأى المهدى أن تيارات الزندقة لم يقتصر ظهورها على شكل الثــورة المسلحة التى قادها المقنع الخراسانى، بل قد امتدت بغداد وكثير من مدن بــلاد العراق وفارس، وتزندق عدد من عامة الناس فضلاً عن بعض وجــوه القــوم والشعراء والأدباء ، وأدرك المهدى أن تعاليم الزندقة تهــدد الإســلام بخطــر عظيم، فضلاً عن تهديدها لكيان الدولة العباسية التي قامت على اساس دينــى، وتهديدها للمجتمع العربى الإسلامى .

ولذا أنشأ المهدى ديوان الزنادقة ،واجتهد فى "طلب الزنادقة، والبحــث عنهم فى الآفاق وقتلهم "[1] وأصبح رئيس هذا الديوان يطلق عليه اسم "صاحب الزنادقة وكانت هذه هى المرة الأولى التى ينشأ فيها مثل هذا الديوان فى الدولة الإسلامية وكان المحتسب أو صاحب الشرطة يتولى من قبــل حمايــة الــدين والآداب العامة، وتتبع المفسدين والمضلين . ولكن أصبح وجود مثل هذا الديوان ضرورة كبرى كما كان تعبيراً عن كراهية المهــدى للزنادقــة، فيقــول ابــن طباطبا[2]: " وكان المهدى شديداً على أهل الإلحاد والزندقة، ولا يزال يتطلــع عليهم ويتفكك بهم "

---

(١) الطبرى : المصدر السابق ، جـ ٨ ص ١٦٥.
(٢) الفخرى: ص ١٨٣.

كما يقول السيوطى[١] " وجد المهدى فى تتبع الزنادقة وإبادتهم، والبحث عنهم فى الآفاق والقتل على التهمة".

وعهد الخليفة المهدى برئاسة هذا الديوان إلى عمر الكلــواذى، يعاونـــه هيئة من كبار رجالات العرب المعروفين بالتدين العميق والحرص على مصالح الدولة ونظمها الاجتماعية، وأطلق على رئيس الديوان اسم (صاحب الزنادقة). وكان أول من قبض عليه عمر الكلواذى من الزنادقة هو يزيد بن الفيض كاتب الخليفة المنصبور، الذى اعترف بزندقتة، فأمر الكلواذى بسجنة[٢].

ولم يُقصر المهدى مهمة تتبع الزنادقة على الديوان الذى أنشأه بل رأى أن يقوم بنفسة باقتفاء أثر الزنادقة فى كل مصر من أمصار الدولـــة العباســية. يتضح هذا خلال رحلته التى قام بها إلى بلاد الشام، ففى مدينة حلب علم المهدى بوجود جماعة من زنادقة العراق قد خرجوا إلى حلب ناجين بأنفــسهم، فـــأمر المهدى بالقبض عليهم ومحاكمتهم، حتى إذا ثبت عليهم الاتهام بالزندقـــة أمـــر بإعدامهم[٣].

ورحل المهدى إلى البصرة، فهاله أن وجد هذه المدينـــة قـــد أصـــبحت مركزاً من مراكز الزندقة. إذا انتشرت فيها مبادئ الخرمية المزدكية التى تبيع الحرمات والملذات وتدعو إلى الإباحية والفوضى الاجتماعية.

وكان الشاعر بشار بن برد على رأس زنادقة البصرة وقد أظهــر فـــى أشعاره وسلوكياتة الكثيرة من مظاهر المجون والإباحية والفوضى الاجتماعيـــة والأخلاقية، فلما قدم الخليفة المهدى إلى البصرة شكا له أهلها من بشار، فـــأمر بالقبض عليه وضربة بالسياط حتى مات ١٦٦ هـــ/٧٨٢[٤].

---

(١) السيوطى: تاريخ الخلفاء ص ٢٧٣.
(٢) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـــ ٨ ص ١٦٥.
(٣) الطبرى: المصدر السابق، جـــ٨ ص ١٤٨، ١٦٧ .
(٤) الأصفهانى: الأغانى جـ١ ص ٩٠ .

وممن قدمهم ديوان الزنادقة للمحاكمة أمام الخليفة المهدى، الشاعر صالح بن عبد القدوس، وهو من كبار الزنادقة فى عصر المهدى، وقد بدا فى شعره نزعة ثنوية كان ينزعها الفرس قديماً، وكان يعمد إلى دس معانى الزندقة فى أشعاره[١] ، حتى إذا أصدر المهدى عليه الحكم بالإعدام، أعلن صالح رغبته فى التوبة، ثم أنشد:

ما يبلغ الأعداء من جاهل ... يا مبلغ الجاهل من نفسه
والشيخ لا يترك أخلاقه ... حتى يوارى فى ثرى رمسه

وكاد المهدى أن يطلق سراحه، حتى إذا سمع البيت الأخير قال : ألم تقل الشيخ لا يترك أخلاقه ؟ قال: بلى. فقال المهدى :فكذالك أنت لا تدع أخلاقك حتى تموت. ثم أمر المهدى بقتله[٢].

ومن دواعى الأسف أن الزندقة لم تعد قاصرة على الفرس بل انتقلت عدواها إلى العرب، وشمل الاتهام بالزندقة فئات مختلفة من الناس، بين فرس وعرب، بل اتهم بعض الهاشمين، عباسيين وعلويين، ومنهم الحسين بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، وعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب[٣] .

ومَثُلَ ابن لداود بن على، ويعقوب بن الفضل بن عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، أمام المهدى لمحاكمتهما على اتهامهما بالزندقة وعقد المهدى محاكمة لكل منهما على حدة، وأقر كل منهما بصحة الإتهام، ورفض يعقوب أن يقر بها أما الناس وقال: أقر بها بينى وبينك ، فإما أن أظهر ذلك عند الناس فلا أفعل ولو قرضتنى بالمقارض . وأحجم المهدى

---

(١) أمالى المرتضى جـ ١ ص ٩٠ .
(٢) السيوطى: تاريخ الخلفاء ص ٢٧٥.
(٣) الأصفهانى: الأغانى جـ١١ ص ٧٥ .

عن الحكم بإعدامهما لأنهما هاشميان، واكتفى بسجنهما، وقال : أما والله لــولا أنى كنت جعلت الله على عهد إذا ولانى هذا الأمر ألا أقتل هاشمياً لما ناظرتك ولقتلتك. ثم التفت المهدى إلى ابنه موسي الهادى وقال: أقسمت عليك بحقى إن وليت هذا الأمر بعدى ألا تناظرهما ساعة واحدة. ومات ابن داود بن على فـــى الحبس قبل وفاة المهدى، وأما يعقوب فظل محبوســاً حتى ولى الهادى "فأرسل إليه يعقوب من ألقى عليه فراشاً وأقعدت الرجال عليه حتى مات، وادعى الهادى أنه مات ميتة طبيعية، ودعا الهاشميين ألى تشيع جنازتة[١].

ويرى البعض أن المهدى اتهم ابناً من أبناء داود بن على ويعقوب بــن الفضل بالزندقة بدافع الخصومة السياسية، ولما كان المهدى قد ارتبط من قبــل بعهد ألا يقتلهما فإنه لم يستطع أن يأمر هو بقتلهما، وإنما حبسهما وأشار إلـــى ابنه الهادى أن يقتلهما حينما يتولى الخلافة، بيد أن الهادى لم يتح له أن يقتــل غير يعقوب، لان ابن داود بن على مات في سجنه قبــل أن يتــولى الهــادى الخلافة[٢].

ولكننا نؤمن بصدق باتهام كل من يعقوب بن الفضل، وابن داود بالزندقة ونرى أن الزندقة، وليست الخصومة السياسية، هى العامل الوحيد على سجنهما معتمدين فى رأينا على روايا للطبرى، إذ ذكر أن فاطمة بنت يعقوب أقرت أنها "حامل من أبيها "[٣] ونحن نعلم أن المانوية تبيح زواج الآباء بالبنات .

اتسعت الدائرة، وشملت المحاكمات التى عقدها المهدى جماعــة مــن القدرية ويذكر البغدادى[٤] أن معبد الجهنى كان أول من تكلم فى القدر فى عهد عبد الملك بن مروان، وتابعة كثيرون، ومنهم غيلان الدمشقى فى عهد عمر بن

---

(١) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـ٨ ص ١٩٠، ١٩١ .
(٢) عبد الرحمن بدوى الجهلد فى الإسلام ص ٣٠ .
(٣) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك ، جـ٨ ص ١٩١ .
(٤) الفرق بين الفرق ص ٣٥ :٣٧ .

عبد العزيز، وقد قتله بعد ذلك الخليفة هشام بن عبد الملك، ومنهم الجعد بن درهم مربى مروان بن محمد ، آخر الخلفاء الأمويين، الذى اتهم بالزندقة، وقد تبرأ الصحابة وأبناؤهم من القدرية "وأوصوا أخلافهم بأن لا يسلموا على القدرية، ولا يصلوا على جنائزهم ولا يعودوا مرضاهم" .

وعاودت القدرية نشاطها فى المدينة فى عهد الخليفة المهدى، فأمر واليه بأن يبعث له بزعمائها "فحمل إليه رجالاً منهم عبد الله بن أبى عبيدة بن محمد بن عمار وعبد الله بن يزيد بن قيس الهذلي وعيسى بن يزيد بن داب الليثى وإبراهيم بن محمد بن أبى بكر الأسلامى فأدخلوا على المهدى فانبرى له عبد الله بن أبى عبيدة من بينهم فقال : هذا دين أبيك ورأيه قال : لا ذاك عمى داود قال: لا ألا أبوك على فارقنا وبه كان يدين ! فأطلقهم"[١] .

ويرى المستشرق (فيدا) [٢] أن الزندقة التى حاربها المهدى فى شخص هؤلاء الزنادقة هى المانوية أولاً بالذات ويعتمد (فيدا) فى هذا الرأى على رواية الطبرى التى تحدثت عن محاكمة المهدى لأحد الزنادقة حتى إذا طلب الخليفة منه أن يتبرأ من مانى ورفض الزنديق، فأمر الخليفة بقتلة والتفت إلى ابنه موسي الهادى وقال له كلاماً يحثه فيه على محاربة هذه العصبة من الزنادقة ووصف له مبادئ هذه العصبة وصفاً منطبق كله على مذهب المانوية مما يدل على أن المقصود بالزندقة كان حينئذ مذهب المانوية .

ولم تفتر حماسة المهدى طوال عهده فى تتبع الزنادقة فى كل أرجاء الدولة العباسية وقتلهم . وتحدث المؤرخ السعودى عن جهود المهدى فى مكافحة الزندقة فقال عن المهدى[٣] " إنه أمعن فى قتل الملحدين والمداهنين عن الدين لظهورهم فى أيامه وإعلانهم باعتقادهم فى خلافته لما انتشر من كتب مانى وابن

---

(١) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك ، جـ٨ ص ١٧٨ .
(٢) انظر كتاب الإلحاد فى الأسلام ص ٣١ .
(٣) مروج الذهب ، جـ ٣ ص ٣٢٢ .

ديصان ومرقيون مما نقلة عبد الله بن المقفع وغيرة وترجمه من الفارسية والفهلوية إلى العربية وما صنف فى ذلك ابن أبى العوجاء وحماد عجرد ويحي بن زياد ومطيع بن إياس من تأييد المذاهب المانوية والديصانية والمرقونية. فكثر بذلك الزنادقة وظهرت آراؤهم فى الناس" .

ولم يقصر الخليفة المهدى أمر مكافحة الزندقة على ديوان الزنادقة بل لجأ إلى طريقة ناجحة أخرى. فقد كان بعض الذين اعتنقوا مبادئ الزنادقة من جهلاء الناس الذين خدعوا بتعاليمها التى ترضى الشهوات والأطماع فأراد المهدى توعيتهم ومساعدتهم على العودة إلى الطريق القويم وإقناعهم بفساد الزندقة. فألف المهدى هيئة علمية لمناظرتهم وأمر بتأليف الكتب التى تنقض تعاليم الزندقة وتبين فسادها ومناقضتها لتعاليم الإسلام مما ادى إلى عودة بعض المنحرفين الجهلاء إلى حظيرة الإسلام. [١]

وتحدث المؤرخ المسعودى[٢] عن هذا المنهج العلمى الذى انتهجه المهدى فقال: " وكان المهدى أول من أمر الجدليين من أهل البحث ممن ذكرنا من الجاحدين وغيرهم، وأقاموا البراهين على المعاندين، وأزالو شبهة الملحدين".

وساهم العلماء فى حملة التوعية والإرشاد التى خطها المهدى. وفى مقدمتهم واصل بن عطاء زعيم المعتزلة، الذى اهتم بتفنيد التعاليم المجوسية، وقام بدور كبير فى مناهضة إلحاد بشار بن برد، وتعاون مع عمرو بن عبيد على نفيه من البصرة. وقام واصل بوضع كتاب فيه ألف مسألة للرد على المانوية. وبعث واصل ببعض أصحابة إلى بلاد خراسان لتفنيد تعاليم الزنادقة كما كشف عمر بن عبيد، تلميذ واصل،عن زندقة الشاعر صالح عبد القدوس، مما أدى– كما رأينا – إلى محاكمته وقتلة .

---

(١) الخربوطلى : المهدى العباسي ١٧٤ .
(٢) مروج الذهب جـ٣ ص ٣٢٢ .

وأوصى المهدى ابنه موسى الهادى، بأن يكمل ما بـدأه مـن مكافحـة الـزندقة، وحرص فى وصيتة أن يشرح له تعاليم الزنادقة، وخاصة المانوية منهم، فقال المهدى "يا بنى، إن صـار لـك هـذا الأمـر[١]، فتجـرد لهـذه العصابة[٢]، فأنها فرقة تدعو الناس إلى ظاهر حسن، كاجتناب الفواحش، والزهد فى الدنيا، والعمل للآخرة ثم تخرجها على تحريم اللحم ومس المـاء الطهـور وترك قتل الهوام تحرجاً وتحوباً ، ثم تخرجها من هذا إلى عبادة اثنين : أحدهما النور والآخر الظلمة، ثم تبيح بعد هذا نكاح الأخوات والبنات والاغتسال بالبول وسرقة الاطفال من الطريق لتنقذهم من ضلال الظلمة إلى هداية النور، فـارفع فيها الخشب وجرد فيها السيف وتقرب بأمرها إلى الله لا شريك له، فإنى رأيت جدك العباس فى المنام قلدنى سيفين، وأمرنى بقتل أصحاب الاثنين[٣].

٣- سياسة المهدى الخارجية :

- مع البيزنطيين :

استمر العداء بين العباسيين والبيزنطيين فـى عهـد المهـدى، حيـث استؤنفت الحرب بين الدولتين وتولى قيادة كثير من هذه الحملات هارون الرشيد بن المهدى وولى عهده، وكان أخطر هذه الحملات الحملة التى قادها هارون فى عام ١٦٥ هـ/٧٨٢ م ووصل بها إلى البسفور وهدد القسطنطينية نفسها حتـى اضطرت الإمبراطورة ايرينى وكانت وصية على ابنها الطفـل قـسـطنطين الرابع، وتولت الحكم نيابة عنه، اضطرت أن تعقد الصلح مع المسـلمين على أن تدفع لهم جزية سنوية قدرها تسعون ألف دينار مقسمة على مرتين، وأن تعيد إليهم أسراهم، ونستطيع أن ندرك خطورة هـذه الحملـة إذا عرفنـا أن قتلـى البيزنطيين كانو ٥٤,٠٠٠ وأن أسراهم كانوا ٥٠٠٠، وقد رفعت هذه الحـرب

---

(١) أى الخلافة .
(٢) أى الزنادقة من المانوية.
(٣) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـ٨ص٢٢٠ .

من قدر هارون فلقبة أبوه منذ ذلك الحين بالرشيد، وأوصى له بولاية العهد بعد أخية الأكبر موسي الهادى(١).

وقد كانت هذه هى آخر غزوة حاول فيها العرب محاصرة القسطنطينية وقد سبقتها محاولات ثلاث فى عهد الدولة الأموية أيام معاوية وسليمان بن عبد الملك وتلتها محاولات أخرى فى عهد الأتراك العثمانيون الذين نجحوا فى الإستيلاء عليها على يد سلطانهم محمد الفاتح .

- مع الاموبين بالاندلس :

عمل المهدى على القضاء على الدولة الأموية بالأندلس وإعادة تلك البلاد إلى حظيرة الدولة الإسلامية، فقام بتدبير مؤامرة واسعة اشترك معه فيها أحد الولاة المغامرين فى بلاد المغرب ويدعى عبد الرحمن بن حبيب الفهرى ويعرف بالصقلبى وسليمان بن يقظان الأعرابى حاكم مدينة سر قسطة فى شمال أسبانيا وكان على نزاع وخلاف مع عبد الرحمن الداخل أمير الأندلس يومئذ، أما الشخصية الثالثة التى تحالف معها المهدى ،فهو شارلمان(٢).

واتفق المتآمرون أن يعبر شارلمان جبال البرانس بجيشة ثم يتجة إلى مدينة سر قسطة فيسلمها له ابن الأعرابى، وفى نفس الوقت يقوم ابن حبيب الفهرى بمهاجمة الساحل الشرقى للاندلس فى أسطول قوى وينزل مدينة مرسية، ويشترك الجميع فى محاربة عبد الرحمن الداخل والقضاء عليه (٣) .

---

(١) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٨ ص ١٥٢ ، ١٥٣ ابن الأثير: الكامل جـ ٥ ص ٢٤٨ ، ٢٤٩.

(٢) ابن الأثير : الكامل، جـ٥ ص ١٩٨،٢١٠، ٢٣٩ . وانظر : رشيد عبد الله الجميلى : دراسات فى تاريخ الخلافة العباسية، مكتبة المعارف، الرباط، الطبعة الأولى ١٩٨٤م، ص ٥٤، ٣٧٥ . دائرة المعارف ، جـ ٥ ص ٤٠،٤١.

(٣) انظر: السيد عبد العزيز سالم: دراسات فى تاريخ العرب ، جـ ٣ ص ١٧٥، ١٧٦ دوزى: تاريخ مسلمى أسبانيا، ترجمة / حسن حبشي، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٣م . جـ ١ ص ٢٢٩ .

إلا أن هذه الخطة قد باءت بالفشل وذلك لعدة أسباب منها: نزول عبد الرحمن بن حبيب الفهرى إلى ساحل الأندلس قبل الموعد المتفق عليه مما أتاح للداخل أن يلتقى بكل جيش من جيوش أعدائه على انفراد، ويحقق عليه النصر .كذلك قام أهل سر قسطة بالثورة ضد ابن الأعرابى ورفضوا تسليم مدينتهم لشرلمان، كذلك فإن أخباراً قد وصلت إلى شارلمان بأن قبائل السكسون الجرمانية قد قامت بثورة خطيرة فى المانيا، وأنها تركت ديانتها المسيحية وعادت إلى الوثنية[١].

فقرر شارلمان الانسحاب والارتداد إلى بلاده للقضاء على تلك الثورة لكن عبد الرحمن الداخل لم يتركة يرحل فى سلام، فقد أثار عليه قبائل البشكنس وكانوا ينقمون على شارلمان تخريبة عاصمتهم برشلونة، فترصدوا مؤخرة جيشة وهو يجتاز ممر الرونسفال وأمطروها وابلاً من السهام والحجارة حتى أفنوا هذه المؤخرة تماماً وقتل عدد كبير من كبار قادة شارلمان منهم الضابط رولان وكان محبباً إلى قلب شارلمان[٢] وهكذا فشلت المحاولة الثانية من قبل الدولة العباسية لاسترداد الأندلس إلى حظيرة الدولة الإسلامية الكبرى .

وتوفى الخليفة المهدى بالله فى عام ١٦٩ هـ /٧٨٥ م بعد حكم طال إلى أكثر من عشر سنوات[٣] مكن خلالها للدولة العباسية وجعلها مرهوبة الجانب.

ثانيا- الخليفة موسى الهادي:-

هو موسي الهادي بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، ولد عام ١٤٤هـ، وبويع له بالخلافة في يوم الخميس ٢٢محرم عام١٦٩هـ/٤أغسطس

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، جـ ٢ ص ٨٣ . ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ٢٤٠، ٢٤٧.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب، جـ ٣ ص ٨٣ . وانظر السيد عبد العزيز سالم: دراسات فى تاريخ العرب، جـ٣ ص ١٧٦ : ١٨٠ .

(٣) توفى المهدى فى الثامن من المحرم سنة ١٦٩ هـ . انظر ابن الأثير: الكامل جـ ٥ ص ٢٦٠ ، ٢٦١ ابن طباطبا: الفخرى، ص ١٧٩: ١٨١ .

٧٨٥م وتوفي عام١٧٠هـ/٧٨٦م، بعد أن قضي في الخلافة ما يزيد عن العام بقليل(١).

تصفه المصادر(٢) بأنه كان قويا شجاعا وانه كان يثب علي الدابة وعلية درعان، كذلك يحكي عنه أن خارجيا انتهز فرصة وجوده بمفرده فاقترب منه لقتله، فلم يتحرك حتي دنا منه، فصاح: اقتلاه!! فظن الخارجي أن وراءه أحدا من الحراس، فالتفت وراءه يستطلع الأمر، فوثب عليه الهادي وانتزع سيفه وقتله به، مما يدل علي شجاعته.

وكان الهادي يطرب للغناء، ويحب اللهو والشراب، وقد ذكرنا من قبل أن أهل العراق يتعاطون من أنواع النبيذ ما لا يسكر، ويؤثر عنه إنه كان كريما معطاء يحب الأدب وسماع التاريخ(٣).

وتروي المصادر أن الهادي كان يعرف عنه أنه كان شديد الغيرة وأنه نهى أمة الخيزران أن يدخل عليها أحد من القواد أو الرؤساء، بعد أن كان لها من النفوذ في عهد المهدي ما لم يكن لامرأة غيرها. وكانت الخيزران في أول خلافة موسي الهادي تشير عليه في أموره(٤)، وتسلك به مسلك أبيه من قبله في الاستبداد بالأمر والنهي، فأرسل إليها أن: " لا تخرجي من خفر الكفاية إلي بذاءة التبذل فإنه ليس من قدر النساء الاعتراض في أمر الملك، وعليكي بصلاتك وتسبيحك وتبتلك" .

كما قال لها: "لئن بلغني إنه وقف ببابك أحد من قوادي أو أحد خاصتي أو خدمي لأضربن عنقه ولأقبضن ماله، فمن شاء فليزم ذلك. ما هذه المواكب

---

(١) ابن عمراني: الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص٣٤.
(٢) ابن الأثير: الكامل، جـ٥ ص٢٧٤، ٢٧٥. ابن طباطبا: الفخري، ص١٨٩. السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٣٣٧.
(٣) ابن عمراني: المصدر السابق، ص٣٥. ابن الأثير: المصدر السابق، جـ٥ ص٢٧٤.
(٤) ابن الأثير: المصدر السابق، جـ٥ ص٢٧٣. ابن طباطبا: الفخري، ص١٩١.

التي تغدو وتروح إلي بابك في كل يوم، أما لكي مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك، أو بيت يصونك، إياك ثم إياك ما فتحت بابك علي مسلم أو ذمي" فانصرفت ما تعقل ما تقول، فلم تنطق عنده بحلوة ولا مرة بعدها[١].

وقد سار موسي الهادي علي سنن أبيه في تتبع الزنادقة والإيقاع بهم، ويروي الطبري[٢] أن المهدي قال يوما لموسي وقد قام إليه زنديق فاستتابه فأبي أن يتوب فضرب عنقه وأمر بصلبه: يا بني إن صار لك هذا الأمر فتجرد لهذه العصابة (يقصد الزنادقة) فإنها تدعو الناس إلي ظاهر حسن، كاجتناب الفواحش والزهد في الدنيا والعمل للآخرة، ثم تخرجها إلي تحريم اللحم ومس الماء الطهور وترك قتل الهوام تحرجا وتحوبا ثم تخرجها من هذه إلي عبادة اثنين أحدهما النور والآخر الظلمة ثم تبيح بعد هذا نكاحا لأخوات والبنات والاغتسال بالبول وسرقة الأطفال من الطرق تنقذهم من ضلال الظلمة إلي هداية النور، فارفع فيها الخشب وجرد فيها السيف وتقرب بأمرها إلي الله لا شريك له، فإني رأيت جدك العباس في المنام قلدني سيفين، وأمرني بقتل أصحاب الاثنين. فقال موسي: أما والله لئن عشت لأقتلن هذه الفرقة كلها حتي لا أترك منها عين تطرف" . ونفذ الهادي وصية أبيه فجد في تتبع الزنادقة والقضاء عليهم وأعد ألف جذع لصلبهم عليها، وقتل منهم جماعة وصلبهم علي الجذوع[٣].

١- ثورة الحسين بن علي:-

هو الحسين بن علي بن الحسين بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب، ابن عم النفس الزكية[٤]. وترجع أسباب تلك الثورة إلي أن والي الهادي علي المدينة واسمه عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، أمر

---

(١) ابن الأثير: الكامل، جـ٥ ص٢٧٣. ابن طباطبا: الفخري، ص١٩١.
(٢) تاريخ الرسل والملوك، جـ٨ ص٢٢٠. وانظر: ابن الأثير: المصدر السابق، جـ٥ ص٢٧٦.
(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ٨ ص١٩٠، ١٩١، ٢٢٠.
(٤) انظر: المسعودي: مروج الذهب، جـ٣ ص٣٣٧. ابن طباطبا: الفخري ص١٩٠.

بضرب الحسن بن محمد النفس الزكية وبعض أصحابة لأنهم شربوا نبيذا، ثم أمر بوضع حبل في أعناقهم والطواف بهم في المدينة مما أغضبه زعيم العلويين آنذاك الحسين بن على وتوجه إلى والى المدينة وكلمه فيهم وقال له: ليس هذا عليهم وقد ضربتهم ولم يكن لك أن تضربهم لأن أهل العراق لا يرون به بأسا، فلم تطوف بهم. ثم قام بثورته واستولي علي المدينة حيث أقام بها أحد عشر يوما ثم توجه بعدها إلي مكه في موسم الحج حيث انضم إليه بعض الحجاج هناك[١].

ولابد هنا من الإشارة إلي الحياة الإجتماعية بالمدينة ومدرستها الغنائية التي ظهرت في أواخر القرن الأول الهجري، وما أدي ذلك إلي ظهور شعراء تميزوا بشعر الغزل خاصة، ومن ظهور نساء شهيرات في عالم الطرب والغناء. ونري أن الأمويين قد شجعوا مثل هذه الحياة الأمر الذي أدي إلي إقبال شباب العلويين علي هذا النوع من الحياة.

ولما وصلت أنباء هذه الثورة إلي مسامع الخليفة الهادي، بعث بجيش بقيادة محمد بن سليمان، والتقي الجانبان في موضع يسمي فخ بين مكة والمدينة[٢]، وانتهت الموقعة بقتل الحسين بن علي والحسن بن محمد النفس الزكية الذي كان سبب قيام هذه الثورة[٣].

علي أن الذي يهمنا هنا هو إنه قد أفلت من هذه الموقعة رجلان من العلويين، لعبا دورا كبيرا في سير الأحداث بعد ذلك، أولهما إدريس بن عبد الله الذي لتجه إلي المغرب الأقصي وأسس دولة الأدارسة هناك، كما قام في

---

(١) انظر التفاصيل في: الطبري: المصدر السابق، جـ٨ ص١٩٢، ١٩٣. ابن الأثير: المصدر السابق، جـ٥ ص٢٦٥، ٢٦٦ .
(٢) انظر: ياقوت: معجم البلدان، جـ٤ ص٢٣٧.
(٣) انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ٨ ص١٩٧. المسعودي: مروج الذهب، جـ٣ ص٣٣٦. ابن الأثير: الكامل ، جـ٥ ص٢٦٧، ٢٦٨.

عام١٧٧هـ/٧٩٣م بتأسيس مدينة فاس ليتخذها عاصمة لدولته(١) والثاني هو شقيقة يحيي بن عبد الله الذي فر إلي بلاد طبرستان بالمشرق حيث أختفي هناك(٢). وسنتحدث عنهما بالتفصيل فيما بعد ذلك.

٢- مشكلة ولاية العهد وتدخل الفرس :-

كانت ولاية العهد لهارون الرشيد بمقتضي عقد للخليفة المهدي، فخطر للهادي أن يخالفه ويعهد إلي ابنه جعفر بولاية العهد، وتابعه في ذلك القواد وحرضوا الناس فتكلموا في المسجد الجامع في أمر الرشيد وانتقصوا من قدره وقالوا لا نرضي به(٣).

وأمر الهادي ألا يشار بحرية أمام الرشيد، وتروي المصادر إنه مر يوما ومعه جعفر بن الهادي راكبين فبلغ إحدي القناطر فالتفت الشرطي إلي هارون وقال له: مكانك حتي يجوز ولي العهد(٤).

وكاد هارون أن يوافق علي التنازل عن ولاية العهد لابن أخية جعفر لولا أن يحيي بن خالد البرمكي الفارسى نصحه بالخروج للصيد تهربا من الخليفة. وعلم الهادي بتحريض يحيي البرمكي لهارون، فاستدعاه وكلمه في خلع هارون وتوليه ولده جعفر فقال له يحيي: "يا أمير المؤمنين إنك إن حملت الناس علي نكث الإيمان، هانت عليهم أيمانهم، وجرأتهم علي حل العقود التي تعقد لهم. ولو تركت الأمر في بيعتك لأخيك بحاله، وبويع لجعفر من بعده كان ذلك أوكد لبيعته فقال له الهادي: صدقت ونصحت لي في هذا التدبير(٥).

---

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، جـ١ ص٨٣،٨٤. ابن خلدون: العبر، جـ٤ ص١٦.
(٢) انظر: اليعقوبي: تاريخه، جـ٢ ص٤٠٨. البلخي: البدء والتاريخ، جـ٦ ص١٠٠.
(٣) ابن الأثير: الكامل، جـ٥ ص٢٧٠، ٢٧١.
(٤) اليعقوبي: تاريخه، جـ٢ ص٤٠٥،٤٠٦. ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٢٧٠.
(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ٨ ص٢٠٩. ابن الأثير: المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

وعلي الرغم من اقتناع الهادي بصحة رأي يحيي، لم يتركه مشيروة من العرب بل ما زالوا يحرضونه علي الرشيد حتي أشتد غضبه عليه، وقبض علي يحيي البرمكي وعزم علي قتله(١).

إلا أن وفاة الهادي وضعت حدا لهذا النزاع، وقد أتهم الناس أمة الخيزران الفارسية الأصل بقتله لما كان له من غل يدها عن المداخلة في أمر الملك ومنعه القواد والرؤساء من الدخول عليها وكذلك لخوفها علي ولدها هارون حيث كان الهادي يسعي إلي عزله وكان الرشيد بارا بأمه(٢).

ويستشهد أصحاب هذا الرأي بأن الخيزران أرسلت إلي يحيي، والهادي علي فراش الموت تعلمه أن الرجل لا محالة ميت، وتأمره بالاستعداد لما ينبغي فاستعد يحيي للأمر وأعد الكتب للعمال باسم الرشيد لوفاة الهادي وأن الرشيد قد ولاهم في نفس أماكنهم(٣).

وتذكر المصادر أن الهادي توفي بعد أن وضعت الخيزران له سما، أو أنها أمرت جواريها بالجلوس علي وجهه في أثناء مرضه فكتموه، أو أنهم طعنوه بالخناجر عام١٧٠هـ/٧٨٦ بتحريض من الخيزران(٤).

علي أن جمهرة من المؤرخين يشكون في صحة هذه الرواية التي كانت تبدو ضعيفة، إذ ليس من المصدق أن تقبل امرأة مهما كانت صفاتها علي قتل ولدها، ويسوقون رواية تؤيد وجهة نظرهم وذلك أن الهادي عندما حضرته الوفاة استسمح والدته واعتذر لها قائلا: ما كنت أمرتك بأشياء، ونهيتك عن أخري، مما أوجبته سياسة الملك لا موجبات الشرع من برك، ولم أكن بك عاقا بل كنت لك صائنا وبارا واصلا" .

---

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٨ ص٢١٠. ابن الأثير: المصدر السابق جـ٥ ص٢٧٢.
(٢) انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ٨ ص٢٠٦، ٢٠٧.
(٣) اليعقوبي: تاريخه، جـ٢ ص٤٠٦. ابن عمراني: الأنباء، ص٣٥.
(٤) انظر: الطبري: المصدر السابق، جـ٨ ص٢٠٥، ٢٠٦.

ويوصف الهادي بأنه: " شكس الأخلاق، صعب المراس، قليل الإغضاء، سئ الظن، قل من توقاه وعرف أخلاقه إلا أغناه، وما من شئ أبغض إليه من ابتداؤه بسؤال، وكان يأمر للغني بالمال الخطير الجزيل، فيقول: لا يعطيني بعدها شيئا، فيعطيه بعد أيام مثل تلك العطية"[١].

ثالثا- الخليفة هارون الرشيد:-

تولي هارون الرشيد الخلافة في يوم الجمعة منتصف ربيع الأول عام ١٧٠هـ/١٤سبتمبر٧٨٦م. ولم تحظ شخصية من خلفاء الدولة العباسية بما حظيت به شخصية هارون الرشيد من الشهرة والمجد، ليس فقط بين الكتاب العرب ولكن أيضا في المدونات الألمانية والهندية والصينية. واختلطت الحقائق التاريخية بالأسطورة الشعبية حول هذه الشخصية، فبينما تصوره بعض المصادر بصورة الخليفة الذي لا هم له إلا الترف والملذات[٢]، تصوره مصادر أخري بأنه خليفة ورع يصلي في اليوم مائة ركعة، ويتصدق كل يوم من حر ماله بمبلغ ألف درهم غير عطاياه وهباته. وأما حجة فإنه كان لا يتخلف عنه إلا إذا كان مشغولا بالغزو، فهو في كل عام بين غاز وحاج[٣].

وكان يسمع وعظ الواعظين فتسيل عبراته وتترقرق عيناه بالدموع، وتروي المصادر في ذلك روايات كثيرة[٤] منها ما يحكي من أنه دخل عليه ابن السماك الواعظ، فقال له الرشيد: عظني فقال: يا أمير المؤمنين اتق الله وحده لا شريك له واعلم إنك غدا بين يدي الله ربك ثم مصروف إلي إحدي منزلتين لا ثالث لهما جنة أو نار، فبكي الرشيد حتي بلت لحيته، فأقبل الفضل بن الربيع

---

(١) الجاحظ: التاج في أخلاق الملوك، ص٤٢.
(٢) انظر: ابن عمراني: الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص٣٨، ٣٩.
(٣) الجاحظ: التاج في أخلاق الملوك، ص٤٤،٤٥. ابن الأثير: الكامل، جـ٥ ص٣٥٦،٣٥٧. ابن طباطبا: الفخري،ص١٩٣.
(٤) ابن الأثير: المصدر السابق، جـ٥ ص٣٥٧،٣٥٨. ابن طباطبا: المصدر السابق، ص١٩٣، ١٩٤.

علي ابن السماك فقال: سبحان الله وهل يخالج أحد شك بأن أمير المؤمنين مصروف إلي الجنة إن شاء الله لقيامه بحق الله وعدله في عبادة وفضله، فلم يحفل بذلك ابن السماك ولم يلتفت إليه وأقبل علي الرشيد فقال: يا أمير المؤمنين إن هذا (يعني الفضل بن الربيع) ليس والله معك ولا عندك في ذلك اليوم فاتق الله وانظر لنفسك. فبكي هارون الرشيد حتي أشفق عليه الحاضرون وأفحم الفضل بن الربيع فلم ينطق بحرف.

وهارون هذا هو ابن الخليفة المهدي من زوجته الخيزران التي سبق الحديث عنها، وقد تزوج هارون عام١٦٥هـ/٧٨١م من ابنة عمة زبيدة بنت جعفر، وكان أبوها قد وافته المنية وهي لم تزل بعد طفلة في الثالثة من عمرها فكفلها جدها أبو جعفر المنصور، ولما ماتَ تولي شئونها عمها المهدي، فنشأت نشأة طيبة واختارتها الخيزران شريكة لحياة ولدها هارون، الذي تزوجها في حفل مهيب ورد ذكره في كتب التاريخ[١].

وكانت الأمور في بداية عصر الرشيد في يد أمة الخيزران حتي توفيت عام ١٧٤هـ/٧٩٠م، فانفردت أسرة البرامكة الفارسية بالنفوذ والسلطان حتي نكبهم الرشيد عام١٨٧هـ/٨٠٢م[٢].

١- البرامكة ونكبتهم:

ينتمي البرامكة إلي برمك، وهو لقب كان يطلق علي أجداد هذه الأسرة ويتوارثونه، ويعني رئيس سدنة معبد قرب بلخ من مدن خراسان كان يعرف باسم "النوبهار" ومعناه باللغة الهندية المعبد الجديد ويبدو إنه كان معبدا بوذيا[٣].

---

(١) انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ٨ ص٣٥٩. ابن الأثير: الكامل جـ٥ ص٣٥٥.

(٢) انظر: ابن طباطبا: الفخري، ص٢٠٩، ٢١٠.

(٣) انظر: البلخي: البدء والتاريخ جـ٦ ص١٠٤، القزويني: اثار البلاد ص٣٣١.

وخالد بن برمك، هو أول جد مسلم معروف لهذه الأسرة وقد ارتبط خالد بالدعوة العباسية منذ بدايتها فنجده ينضم إلي أبي مسلم الخراساني ويحارب معه الأمويين، حتي إذا ما تم الأمر للعباسيين، نجد الخليفة أبو العباس استعمله في الدواوين[١]، كما قام الخليفة أبو جعفر المنصور بتعيينه واليا علي بعض الأقاليم، وظل خالد علي هذا الوضع في عهد المهدي كذلك ثم توفي في خلافته عام١٦٥هـ/٧٨١م[٢].

ترك خالد ولدا هو يحيي بن خالد، فقد بدأت صلته بالدولة العباسية في عهد المنصور الذي وضعه علي بعض الولايات[٣]، ثم عهد إليه المهدي بأمر النفقات للعسكر، وجعله مربيا وكاتبا لابنه هارون[٤]. وعندما آلت الخلافة إلي هارون الرشيد تمتع يحيي بنفوذ واسع وكان هارون يدعوه "يا أبتي" اعترافا منه بفضله عليه في تربيته وتنشئته، فوضعه علي الوزارة وأصدر تقليدا بذلك جاء فيه" يا أبت أنت أجلستني هذا المجلس ببركة رأيك وحسن تدبيرك وقد قلدتك أمر الرعية، وأخرجته من عنقي إليك فأحكم بما تري. واستعمل من شئت، واعزل من رأيت، فإني غير ناظر معك في شئ[٥].

ويصف ابن طباطبا يحيي بن خالد قائلا[٦]: "فنهض يحيي بن خالد بأعباء الدولة أتم نهوض، وسد الثغور وتدارك الخلل، وجبي الأموال، وعمر الأطراف، وأظهر رونق الخلافة، وتصدي لمهمات المملكة، وكان كاتبا بليغا لبيبا أديباً، سديدا صائب الآراء، حسن التدبير، ضابطا لما تحت يده، قويا علي

---

(١)انظر: الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص٨٩،١٥١. ابن الأثير: الكامل جـ٥ ص٤٧، ٤٨.

(٢) الجهشياري: المصدر السابق، ص٩٩، ١٠٠ ، ١٥١.

(٣) انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ٧ ص٥٠٩، ٥١٠.

(٤) الطبري: المصدر السابق، جـ٨ ص٢٣٠. ابن الأثير: المصدر السابق، جـ٥ ص٢٧٧. ابن عمراني: الأنباء،ص٣٦.

(٥) انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، جـ٨ ص٢٣٥،٢٣٣. الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص١٧٧. ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٥ ص٢٦٦.

(٦) الفخري، ص١٩٨.

الأمور جوادا يباري الريح كرما وجودا، ممدحا لكل لسان، حليما عفيفاء وقورا مهيبا، وله يقول القائل:

لا تراني مصافحا كف يحيي إنني إن فعلت ضيعت مالي
لو مس البخيل راحة يحيي لسخت نفسه ببذل النوال

واستعان يحيي في إدارة دفة الحكم بأبنائه، وكان يضعهم علي الولايات دون الرجوع إلي الخليفة، بحيث سيطر هو وأولاده علي دولة بني العباس وغدت الدولة عباسية اسما، برمكية فعلا. وقد وضع يحيي ولده الفضل علي بلاد المشرق(طبرستان وخراسان وأرمينيا وبلاد ما وراء النهر)، وجعفر علي الجزيرة والشام ومصر والأقاليم الغربية[١]. وأكثر من ذلك فقد دفع هارون بخاتمه إلي يحيي، وبعد أن تقدم يحيي في السن[٢]، ازداد نفوذ ولده جعفر حتي إنه كان يشارك الخليفة في نقش اسمه علي السكة[٣].

وكان البرامكة علي ثقافة عالية، تجمع بين ثقافات الهند والفرس والإسلام وكانوا علي معرفة تامة باللغتين العربيه و الفارسية، ويصفهم الجاحظ قائلا إن: "البلاغة لم تستكمل إلا فيهم، ولم تكن مقصورة إلا عليهم، ولا انقادت إلا لهم" ووصف يحيي بأنه ذو علم ومعرفة، أما جعفر فكان نادرة عصره في البلاغة والأدب، وكانت بلاغته مثالا يُحتذي، وكان البرامكة يعقدون الندوات التي يجتمع فيها العلماء، وكذلك مجالس السمر والغناء، كما كانوا يغدقون علي العلماء والشعراء الكثير من العطايا والأموال والصلات[٤].

---

(١) انظر: الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص١٩٣،١٩٠. ابن طباطبا: الفخري ص٢٠٥. دائرة المعارف،جـ٦ ص٥٤٤.
(٢) انظر: الماوردي: الأحكام السلطانية، ص٢٥،٢٨. الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص١٧٧. ابن خلكان: وفيات الأعيان ، حـ٥ ص٢٦٦.
(٣) ابن طباطبا: الفخري، ص٢٠٥.
(٤) انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ٨ ص٢٩١. ابن خلدون، المقدمة، ص١٥،١٦ ضوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، ص ٤٧، ٤٨.

ولكن هذا النفوذ الواسع الذي تمتع به البرامكة، سرعان ما قُضي عليه بعد أن قرر الرشيد نكبتهم والقضاء علي سيطرتهم ونفوذهم. وقد اختلفت المصادر حول الاسباب التي دفعت الرشيد إلي نكبة البرامكة وحيكت حول تلك الحادثة الكثير من الروايات والقصص التي تحمل طابع الأسطورة.

من هذه الروايات تلك القصة التي تذكر أن "العباسة" أخت الرشيد وكانت أديبة مثقفة وكان الرشيد يحب الجلوس إليها وفي الوقت نفسه كان يحب مجالسة جعفر البرمكي، ولكي يجمع بينهما في مجلس واحد ويحل لجعفر النظر إليها اتفق مع جعفر علي أن يزوجها له علي أن لا يقربها، وأخذ عليه الإيمان والمواثيق بذلك، فكان جعفر والعباسة يجتمعان في مجلس الرشيد، ثم يقوم الرشيد عنهما، ويخلوان بأنفسهما، فعاشرها جعفر وولدت له ولدين وكتمت الأمر عن هارون، فلما علم حنق عليهما وقرر نكبة البرامكة(١).

بل أننا نجد المسعودي في كتابه مروج الذهب(٢) يورد هذه الرواية بشكل آخر، هو أن العباسة كانت تريد جعفرا، وهو يمتنع عنها، حتي استطاعت أن تصل إلي غرضها عن طريق أمه التي دبرت خلوتهما بعد أن أفهمته أنها جارية اشترتها له. وانصرفت العباسة وقد حملت منه وولدت غلاما أرسلته بعيدا إلي مكة خوفا من الرشيد. وظل ذلك الأمر سرا حتي وقع خلاف بين العباسة وواحدة من جواريها التي كانت علي علم بهذا الأمر، فقصت علي هارون ما حدث، ودلته علي مكان الصبي ومن معه من جواري العباسة وما عليه من ثياب وحلي. ولما حج الرشيد في هذا العام، أرسل في طلب الصبي ومن معه من الجواري اللاتي إعترفن بنفس الرواية، وأزمع هارون علي قتل الصبي ولكنه عدل عن ذلك، وقرر نكبة البرامكة بعد عودته من الحج.

---

(١) انظر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ٨ ص٢٩٤.وقد فند ابن خلدون هذه القصة ودحضها من أساسها. انظر المقدمة،ص١٥.

(٢) مروج الذهب، جـ٣ ص٣٠٨.

وواضح من تلك القصة أنها مليئة بالخيال، ولا شك أنها من وضع الفرس الذين أرادوا تشويه صورة هارون الرشيد وطعنه في رجولته وشرفه ومروءته انتقاما منه بعد نكبة البرامكة، إذ كيف يوافق الرشيد علي هذا الشكل من الزواج الذي لا ترضي عنه الشريعة الإسلامية.

وقد نفي ابن خلدون في مقدمته هذه القصة من أساسها، وتعجب كيف تدنس العباسة شرفها بمولي من العجم، وهي ابنة خليفة، واخت خليفة، ويتساءل: اين يطلب الصون والعفاف إذا ذهب عنها، أو اين توجد الطهارة والذكاء إذ فقدا عن بيتها؟ [١].

هذا وتذكر كتب التاريخ أن العباسة قد تزوجت ثلاث مرات ، كلهم توفوا في حياتها، حتي أن الشاعر أبو نواس قال إنه لكي يموت إنسان عليه أن يتزوج العباسة، ومع ذلك فلا تذكر هذه الكتب جعفرا من بين أزواجها كذلك لم ترد هذه القصة في بعض المصادر الأساسية مثل كتاب الأغاني، مما يؤكد الاعتقاد في إنها قصة مُختلّقة، بل أننا نجد أن رجالا علي صلة بالأحداث ينكرون تلك القصة مثل: مسرور سياف هارون الذي قال لمن سأله عن سبب نكبة البرامكة: كأنك تريد ما تريده العامة وتردده فيما ادعوه من أمر المرأة، فقال له: ما أردت غيره، فقال: لا والله ما لشئ من هذا أصل[٢].

كذلك يرجع بعض الكتاب سبب نكبة البرامكة إلي اتهامهم بالزندقة وهي تعنى الكفر والإلحاد، وأنهم جعلوا من بيوتهم ملجأ لشرب الخمر والمجون، كما كانت لهم مجالس شراب ولهو ومجون علنية، بل يحكي أنهم زينوا للرشيد أن يضع نارا علي الكعبة، يوضع فيها العود، فاتهمهم الرشيد بأنهم يريدون جعل الكعبة بيت نار عودة إلي المجوسية ديانتهم السابقة[٣].

---

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص١٥.

(٢) انظر: دياب الإتليدي: إعلام الناس بما وقع للبرامكة من بني العباس، المطبعة اليوسفية، القاهرة سنة ١٩٣٠م، ص٨١: ٨٣.

(٣) ابن النديم: الفهرست، ص٤٧٣. البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٢٥٠. البلخي: البدء والتاريخ، جـ٦ ص١٠٤.

ويروي كذلك إنه كان من أسباب نكبة البرمكة احتجابهم الأموال فكان الرشيد وأسرته يطلبون اليسير من المال، فلا يتحصلون علي شئ كما نجد أن جعفرا كان يسك العملة باسمه، كما كانوا ينفقون أموال الدولة من غير حساب أو رقيب واغتنوا غناء فاحشا، وفاقت ممتلكاتهم وضياعهم ضياع الخليفة نفسه، فكان الرشيد لا يمر بضيعة ولا بستان إلا وقيل هذا لجعفر. بل ويحكي إنه أنفق علي بناء داره عشرين مليون درهم غير الأثاث والرياش والخدم مما دفع بالرشيد أن قال يوما: أن ضياعهم ليس لولدي مثلها وتطيب نفسي لها"(١).

كذلك يري فريق آخر من المؤرخين أن السبب في نكبة البرامكة هو أنهم كانوا يضمرون نقل الخلافة إلي العلويين بدليل إطلاقهم سراح يحيي بن عبد الله العلوي(٢).

لكننا في الواقع نري أن نكبة البرامكة تعود إلي حد كبير إلي ذلك الصراع المحتدم بين العنصرين العربي والفارسي، وكثرة السعايات والدسائس ضد البرامكة مما أفزع الرشيد ودفعه إلي نكبتهم ومن بين تلك السعايات ما أشاعة الفضل بن الربيع وزير الرشيد العربى من أن البرامكة يسعون للوصول إلي الخلافة وإعادة الحكم الفارسي من جديد، وأوعز إلي أحد المغنيين أن يغني في مجلس الرشيد بهذه الأبيات:

ليت هند أنجزتنا ما تعد ... وشفت أنفسنا مما نجد

واستبدت مرة واحدة ... إنما العاجز من لا يستبد(٣)

كذلك يحكي أن الفضل بن الربيع أوصل إلي هارون الرشيد بعض أبيات جاء فيها:

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ٨ ص٢٩١. دياب الإتليدي: إعلام الناس، ص٨٠، ٨٢.

(٢) الطبري: المصدر السابق، جـ٨ ص٢٨٩. ابن الأثير: الكامل، جـ٥ ص٣٢٧، ٣٢٨.

(٣) ابن خلدون: المقدمة ، ص١٧.

قل لأمين الله في أرضه ومن إليه الحل والعقد
هذا ابن يحيي قد غدا ملكا مثلك ما بينكما حد
وقد بني الدار التي ما بني الفرس لها مثلا ولا الهند
الدر والياقوت حصباؤها وتربتها العنبر والند
ونحن نخشي إنه وارث ملكك إن غيبك اللحد
ولا يباهي العبد أربابه إلا إذا ما بطر العبد(١)

ولقد أتت هذه السعايات العربيسة ثمارها ونكب الرشيد البرامكة عام١٨٧هـ/٨٠٢م ويؤيد هذا الرأي قيام خلفاء بني العباس بقتل كل من شكوا في إخلاصه لهم، فنجد كما رأينا المنصور يطيح بأبي مسلم الخراساني، والرشيد ينكب البرامكة، والمأمون يتخلص من الفضل بن سهل، والمعتصم يتخلص من قائدة الأفشين فيما بعد .

وتذكر المصادر(٢) أن الرشيد كان قد حج وصحبه جعفر بن يحيي. فلما عادا ركب السفن من الحيرة إلي الأنبار، ثم صحبه جعفر إلي قصر الخلافة بالأنبار وهناك أذن له الرشيد بالإنصراف. فسار جعفر إلي منزله، وواصل الرشيد الرسل إليه بالألطاف إلي وجه السحر، وحينئذ استدعي الرشيد غلامة مسرور، وقال: " قد انتخبتك لأمر لم أرض له محمدا (ويقصد محمد الأمين)، ولا عبد الله (يقصد المأمون) فحقق ظني، واحذر أن تراجعني فتهلك. قال" يا أمير المؤمنين لو أمرتني بقتل نفسي لفعلت. قال: " اذهب إلي جعفر بن يحيي وجئني برأسه الساعة" فوجم لا يحير جوابا فقال له: " ما لك؟ ويلك: قال: "الأمر

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ١ ص٢٩٩. القرماني: آثار الدول وأخبار الأول، مكتبة المتنبي، القاهرة د/ت، ص١٥١.
(٢) انظر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ٨ ص٢٩٤، ٢٩٥. ابن الأثير: الكامل، جـ٥ ص٣٢٩. ابن طباطبا: الفخري، ص٢١٠.

عظيم، وددت إني مت قبل وقتي هذا فقال: "امض لأمري" . فمضي مسرور حتي دخل علي جعفر بن يحيي وأحد المغنيين يغنيه(١):

فلا تبعد فكل فتي سيأتي   عليه الموت يطرق أو يغادي
وكل ذخيرة لابد يوما   وإن بقيت تصير إلي نفاذ
ولو فوديت من حدث الليالي   فديتك بالطريف وبالتلاد

فقال جعفر: "يا مسرور سررتني بقدومك، وسؤتني بدخولك من غير إذن" فقال "الأمر أكبر من ذلك، أجب أمير المؤمنين إلي ما يريد بك فقد أمرني أن أتيه برأسك. " فوقع جعفر بن يحيي علي رجليه يقبلهما، وقال: "عاود أمير المؤمنين، فإن الشراب قد حمله علي ذلك. فقال: "ما أظنه شرب اليوم. قال: "دعني ادخل داري وأوصي. قال: " لا سبيل إلي الدخول، ولكن أوص بما بدا لك. " قال: لي عليك حق ولا تقدر علي مكافأتي إلا الساعة. قال: " تجدني سميعا إلا فيما يخالف أمر أمير المؤمنين قال: " خذني معك، وأعلمه أنك نفذت أمره، فإن ندم أخبرته بالحقيقة، وإن أصر عدت ونفذت ما يريد. قال: "أما ذلك فنعم وسار به إلي الرشيد، ثم تركه بحيث يسمع. ودخل علي الرشيد فأخبره بقتله فصاح الرشيد" واين رأسه يا ابن اللخناء؟ " فغاد مسرورا إلي جعفر فضرب عنقه، وحمل إلي الخليفة رأسه(٢).

ثم قام الرشيد بوضع بقية البرامكة في منازلهم لا يخرجون منها كما أخذ كل مالهم من ضياع ومتاع ورقيق وغير ذلك(٣). ولقد أثارت نكبة البرامكة شعور الفرس، فعمدوا إلي إفساد صورة هارون الرشيد، ووصفوه بأبشع

---

(١) وهو أو كار الأعمي. الطبري: المصدر السابق، جـ٨ ص٢٩٥.
(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ٨ ص٢٩٥. الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص٢٣٤، ٢٣٥. ابن عمراني: الأنباء،ص٤٣.
(٣) البلخي: البدء والتاريخ، جـ٦ ص١٠٥.

الصور، منها إنه كان ولعا بالغلمان محباً للنساء، معاقرا للخمر، كما اختلقوا قصة العباسة للحط من شرف البيت العباسي وكرامته.

٢- سياسة الرشيد الخارجية:-

- بين الرشيد وشارلمان:

في مطلع القرن الثالث الهجري(التاسع الميلادي) كانت العظمة قد خلصت لرجلين في العالم: شارلمان في الغرب وهارون الرشيد في الشرق وقد قامت بين الرجلين صلات حلف وود وصداقة، فاتخذ شارلمان هارون حليفا ليدرأ بهذا الحلف شر عدوه إمبراطور الدولة البيزنطية ويضعف من قوته. كما طمع هارون في أن يستغل صداقة شارلمان وتحالفه معه للحد من قوة الأمويين في الأندلس.

فكانت مظاهر هذا التحالف وهذه الصداقة بين الملكين تلك السفارات المتبادلة بينهما، حاملة الهدايا من أحدهما إلي الآخر وكانت السفارة الأولي التي وصلت إلي الدولة العباسية في عام١٨١هـ/٧٩٧م تتكون من شخصيتين هما كموند ولانتفريد، ومن يهودي يدعي إسحق كانت مهمته القيام بترجمة ما كان يدور بين هارون الرشيد والسفيرين المذكورين، فقد أمضى السفيران ثلاث سنوات وماتا بعد أن تمكنا من إنجازمهمتهما[١].

وقد رد الرشيد علي هذه السفارة بسفارة مثلها عبارة عن سفيرين أحدهما فارسي والآخر من أفريقيا، ووصلا في عام١٨٦هـ/٨٠٢م، ثم لحق بهما إسحاق اليهودي الذي حمل معه إلي شارلمان فيلا كان قد أهداه هارون الرشيد إليه[٢]. وتروي بعض المصادر أن هذا الفيل كان أروع ما كان يزدان به المظهر الحربي للإمبراطور شارلمان حتي نفق عام١٩٥هـ/٨١٠م. [٣]

---

(١) انظر: السيد عبد العزيز سالم: دراسات في تاريخ العرب، جـ٣ ص٢٤٠.
(٢) المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.
(٣) المرجع السابق، جـ٣ ص٢٤١.

أما السفارة الثانية فقد بعث بها شارلمان إلي هارون الرشيد في عام ١٨٦هـ/٨٠٢م وتحدثنا المصادر أن اعضاءها قد حملوا معهم بعض الهدايا والهبات إلي كنيسة القيامة ثم اتجهوا بعد ذلك إلي الرشيد الذي أوكل إلي شارلمان مهمة حماية الأماكن المقدسة المسيحية[١]. ويفند أحد المؤرخين[٢] هذا الخبر فيقول: وأما خبر مفاتيح بيت المقدس وكنيسة القيامة فالظاهر فيه الوضع، ولا يعقل بحال من الأحوال أن يعطي الرشيد وهو الخليفة الدَّين التقي مفاتيح بلدة مقدسة إلي رجل غير مسلم ومن الغريب الذي لا يصدق أن يعهد الرشيد وهو في أعظم سلطانه وأقوي سطوته لرجل مسيحي بحماية الأماكن المقدسة" .

وقد بعث الرشيد بسفارة إسلامية ردا علي ذلك فوصلت إلي بلاط شارلمان عام١٩٢هـ/٨٠٧م كان يمثل الخليفة فيها رجل يدعي عبد الله حمل معه إلي شارلمان هدايا نفيسة منها صوان ملون بألوان متعددة وأواني نحاسية وقطع من النسيج الإسلامي وعطور وشمعدان وسرادق، وساعة مائية غريبة تدق الساعات، وفي دائرتها ١٢ نافذه يخرج منها في الساعة الثانية عشر فرسان تغلق بعد خروجهم ثم تفتح من جديد ليعودا إليها ، كما بعث الرشيد إلي شارلمان بوعد أن يجعل بيت المقدس تحت سلطانه[٣]. وقد وردت أخبار تلك السفارات للأسف في المصادر الأوربية فقط بينما أغفلتها المصادر العربية بسبب غير معروف، مما يجعلنا نشك في صحة البعض منها وخاصة الأخبار التي تقول بأن الرشيد جعل بيت المقدس تحت سلطان شارلمان وحمايته.

- **بين الرشيد والبيزنطيين:-**

ظلت العلاقات بين الدولة العباسية والبيزنطيين علاقات حرب وعداء في عهد الرشيد كما كانت في عهد أبيه وجده. وقد رأينا من قبل كيف أجبرت

---

(١) انظر: مجيد خوري: الصلات البلوماطيقية بين هارون الرشيد وشارلمان، بغداد سنة ١٩٣٩م، ص٢٥، ٣٧. السيد سالم: المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

(٢) يوسف العش: تاريخ عصر الخلافة العباسية ، ص٨٣.

(٣) مجيد خوري: الصلات البلوماطيقية ، ص٣٧.

الدولة العباسية الأمبراطورة إيريني علي دفع جزية سنوية مقدارها تسعون ألف دينار علي مرتين. وقد ظلت إيريني تفي بشروطها إلـي أن ماتـت وخلفهـا الإمبراطور نقفور الأول (١٨٧-١٩٦هـ/٨٠٢-٨١١م) الذي نقـض الهدنـة وطلب من الرشيد أن يرد إليه الجزية التي دفعت للعباسيين في عهـد إيرينـي، وارسل إليه خطابا قال فيه: "من نقفور ملك الروم إلي هـارون الرشـيد ملـك العرب، أما بعد فإن الملكة التي كانت قبلي أقامتك مقام الرخ، وأقامـت نفـسها مقام البيدق، فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقا يحمل أمثاله إليها، لكن ذلك ضعف النساء وحمقهن، فإذا قرأت كتابي فأردد ما حصل قبلك مـن أموالهـا، وافتد نفسك لما يقع به المبادرة لك، وإلا فالسيف بيننا وبينك".

وقد غضب الرشيد بعد قراءته هذه الرسالة غضبا شديدا وأمر في الحال بقلم ودواة وكتب ردا علي نقفور جاء فيه: " بسم الله الرحمن الـرحيم" ، مـن هارون أمير المؤمنين إلي نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك، والجواب ما تراه دون ما تسمعه والسلام"[1] وخرج بعد ذلك بجيوشه الجرارة، فـاخترق آسـيا الصغري حتي وصل إلي مدينة هرقلة، ولم يستطيع الإمبراطـور البيزنطـي الوقوف أمام الجيوش العباسية وذلك لكثرة عددها ولانشغاله بإخماد بعض الفتن الداخلية التي كانت قد اشتعلت في بلاده، أمام هذا بعث إلي المـسلمين يطلـب وقف القتال علي أن يقوم بدفع الجزية من جديد[2].

غير أن البيزنطيين سرعان ما نقضوا هذه الهدنة، إذا انتهزوا فرصـة انشغال الرشيد ببعض الثورات الداخلية وتقدموا نحو أراضي الدولة العباسـية جنوب أسيا الصغري وهاجموا المسلمين وخاصة في مرعش وطرسوس فأسرع

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ٨ ص٣٠٨،٣٠٧. ابن الأثير: الكامل جـ٥ ص٣٣٣، ٣٣٤.

(٢) الطبري: المصدر السابق، جـ٨ ص٣١٣،٣١٠. ابن الأثير: المصدر السابق، جـ٥ ص٣٣٤، ٣٣٧: ٣٣٩.

إليهم الرشيد بجيش كبير ونجح في أن يردهم علي أعقابهم وان يسترد هرقلة ويستولي علي كثير من مدن الروم، وأن يأسر عشرة آلاف من رجالهم كما أجبرهم علي دفع جزية كبيرة[١].

وفاة الرشيد :-

خرج الرشيد من بغداد في ٥شعبان سنة١٩٢هـ/٨٠٧م قاصدا خراسان وذلك للقضاء علي فتنة قامت هناك[٢]، وفي الطريق اشتدت عليه علته في مدينة طوس حيث مات بها ودفن في أرضها في جمادي الأخرة عام١٩٣هـ/٨٠٩م[٣]. ويصفه السيوطي[٤] فيقول: "كان من أميز الخلفاء وأجل ملوك الدنيا، وكان كثير الغزو والحج، وكان يصلي في خلافته كل يوم مائة ركعة إلي إن مات، ولا يتركها إلا لعلة ويتصدق من صلب ماله كل يوم بألف درهم، وكان يحب العلم وأهله ويعظم حرمات الإسلام، ويبغض المراء في الدين والكلام في معارضة النص، وكان يبكي علي نفسه وعلي إسرافه وذنوبه سيما إذا وعظ".

---

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٨ ص٣٢٠: ٣٢٢.
(٢) هي فتنة رافع بن الليث بن نصر بن سيار. انظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ٨ ص٣٣٨. ابن الأثير: الكامل، جـ٥ ص٣٥٠.
(٣) الطبري: المصدر السابق جـ٨ ص٣٤١: ٣٤٦.
(٤) تاريخ الخلفاء، ص٢٤١.

الفصل الثالث

مأساة الأخوين وتطور نفوذ الفرس

أولاً : خلافة محمد الأمين :

١ - الرسائل المتبادلة بين الأمين والمأمون حول ولاية العهد وإدارة الدولة.

٢- الوفود المتبادلة.

ثانياً : مرحلة الصراع العسكري ومقتل الأمين.

ثالثاً : خلافة عبدالله المأمون :

١ - الصراع بين العرب والفرس في عهده.

٢- علاقات المأمون الخارجية.

أولا - خلافة محمد الأمين:

هو محمد الأمين بن هارون الرشيد وأمه زبيدة بنت جعفر بن المنصور، بويع له بالخلافة بعد وفاة الرشيد في طوس، ووصل الخبر إلى بغداد فبايعه الخاصة والعامة واستمر في الخلافة أربع سنوات إلى أن قتل في ٢٥ محرم سنة ١٩٨هـ/ ٥ سبتمبر ٨١٣ م(١).

وبتولى الأمين الخلافة، اشتعلت الفتنة بينه وبين أخيه المأمون وكان أبوه قد عينه لولاية العهد ومن بعده المأمون، والواقع أن الصراع بين الأمين والمأمون كان في حقيقته صراع بين العرب والفرس، فالأمين من نسل عربى خالص وكان يسيطر على الأقاليم العربية بالفعل ، كما كانت لوزيره الفضل ابن الربيع أحاسيس عربية كذلك(٢)، حتى أنه اعتبر أن زوال الأمين معناه زوال النفوذ العربى. أما المأمون فكانت أمه فارسية(٣)، وكان يسيطر على الأقاليم الفارسية، واعتبر نفسه في وسط أخواله كما أعلن في أكثر من مناسبة ميله للعنصر الفارسى، وكان لوزيره الفضل بن سهل ميله إلى العنصر الفارسى الذى ينتسب إليه(٤).

١- الرسائل المتبادلة بين الأمين والمأمون حول ولاية العهد وإدارة الدولة :

سارت الأمور بين الأخوين في بادئ الأمر بصورة طبيعية لا تنذر بوقوع الفتنة بينهما ثم بدأ النزاع على شكل مكاتبات ومراسلات وسفارات

---

(١) أنظر اليعقوبى : تاريخه ، جـ٢ ص ٤٣٣ ، ٤٤١. ابن طباطبا: الفخرى، ص ٢١٢، ٢١٥.

(٢) أنظر : الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، جـ ٨ ص ٢٤٠ ، ابن الأثير: الكامل جـ ٥ ، ص ٢٨٨ ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ٢١٢.

(٣) أم المأمون : فارسية خراسانية اسمها مراجل ، توفيت أثناء ولادة المأمون أو بعد ولادته بقليل ، ابن حزم : موجز تاريخ الإسلام، ص ٤٤ ، ابن عمرانى : الأنباء ، ص ٥٨.

(٤) انظر : الطبرى : المصدر السابق ، جـ ٨ ص ٣٤١ . البلخى: البدء والتاريخ ، جـ ٦ ص ١٠٧.

متبادلة بينهما، أشبه بمبارزة كلامية حول العهد الذى أخذه عليهما والـدهما الرشيد ووضعه في الكعبة وجاء فيه أن يترك الأمر للمـأمون بعـد توليـه الخلافة كل بلاد الشرق ثغورها، وكورها وجندها وخراجها وبيوت اموالهـا وصدقاتها وعشورها وبريدها(١).

وعندما بدأ النزاع بين الأخوين كان المأمون يرى التمسك بنصوص هذا العهد الذى يقرر استقلاله بخراسان خلال حكم أخيه الأمين أما الأمـين فكان يرى أنه مادام خليفة للمسلمين فإنه من سلطانه أن يتصرف فـى كـل أرجاء الدولة بما فيها خراسان.

ولا شك أن موقف رجال الحاشية كان من الأسباب التـى ادت إلـى اتساع شقة الخلاف بين الأمين والمأمون، فنجد أن الفضل بن الربيع العربى ينصح الأمين بأن يستدعى المأمون إلى بغداد حتى يحتفظ به كرهينـه كمـا أشار عليه أن يأخذ ولدى المأمون رهينة حتى ينفذ مطالبه فإذا أبى تنفيـذها قتلهما، إلآ أن الأمين اعترض على ذلك فقال له : أنت أعرابـى مجنـون، أدعوك إلى ولاية أعنة العرب والعجم وأطعمك خراج الجبال إلى خراسـان وارفع منزلتك على نظرائك من أبناء القواد والملوك وتدعونى إلى قتل ولدى وسفك دماء أهل بيتى ! (٢).

وبعث الأمين إلى أخيه المأمون بكتاباً التعهد الـذى سـبق أن كتبـه بحضرة أبيه الخليفة الرشيد، والذى ينص على تنظيم العلاقة بينهمـا حـول ولاية العهد وإدارة الدولة، وأكد الأمين لآخيه إلتزامه بنص التعهد واحترام ما

---

(١) أنظر اليعقوبى : تاريخه ، جـ٢ ص ٤١٦ ، ٤٢١. الطبرى: تاريخ الرسل والملوك جـ ٨، ص ٢٧٨، ٢٨٣ .

(٢) اليعقوبي : تاريخه ، جـ٢ ص ٤٣٦ ، الطبرى: المصدر السابق جـ ٨، ص ٣٧٤، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٥ ص ٣٦٣ .

ورد فيه من شروط، وتمسكه بماله من حقوق وما عليه من واجبات، وهـذا نص الكتاب:" بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب لعبـد الله هـارون أميـر المؤمنين كتبه محمد بن هارون أمير المؤمنين في صحة من عقله وجواز من أمره طائعاً غير مكره. إن أمير المؤمنين ولانى العهد من بعده وصير البيعة لى في رقاب المسلمين جميعاً، وولى عبد الله بن هارون أمير المؤمنين العهد والخلافة وجميع أمر المسلمين بعدى برضا منى وتسليم طائعاً غير مكـره، وولاه خراسان وثغورها وكورها وحربها وجنـدها وخراجهـا وطرازهـا وبريدها وبيوت أموالها وصدقاتها وعشرها وعشورها وجميع أعمالها فـي حياته وبعده.

وشرطت لعبد الله بن هارون أمير المؤمنين برضا منى وطيب نفسى أنَ لأخى عبد الله بن هارون على الوفاء بما عقد له هارون أمير المـؤمنين من العهد والولاية والخلافة وأمور المسلمين جميعاً بعدى وتسليم ذلك له وما جعل له من ولاية خراسان وأعمالها كلها ومما أقطعه أمير المـؤمنين مـن قطيعة أو جعل له من عقدة أو ضيعة من ضياعه أو ابتـاع مـن الـضياع والقعد، وما أعطاه في حياته وصحته من مال أو حلى أو جوهر او متاع أو كسوة أو منزل أو دواب أو قليل أو كثير فهو لعبد الله بـن هـارون أميـر المؤمنين موفراً مسلماً إليه. وقد عرفت ذلك كله شيئاً شيئاً.

فإن حدث بأمير المؤمنين حدث الموت وأفضت الخلافة إلى محمد بن أمير المؤمنين فعلى محمد إنفاذ ما أمره به هارون أمير المؤمنين في توليـة عبد الله بن هارون أمير المؤمنين خراسان وثغورها ومن ضم إليه من أهـل بيت أمير المؤمنين بقرماسين، وأن يمضى عبد الله ابن أمير المؤمنين إلـى خراسان والرى والكور التى سماها أمير لمؤمنين حيث كان عبد الله ابن أمير

المؤمنين من معسكر أمير المؤمنين وغيره من سلطان أمير المؤمنين وجميع من ضم إليه أمير المؤمنين حيث أحب من لدن الرى إلى أقصى عمل خراسان ليس لمحمد بن أمير المؤمنين أن يحول عنه قائداً ولا مفقوداً ولا رجلً واحداً ممن ضم إليه من أصحابه الذين ضمهم إليه أمير المؤمنين، ولا يحول عبد الله بن أمير المؤمنين عن ولايته التى ولاه إياها هارون الرشيدد أمير المؤمنين عن ثغور خراسان وأعمالها كلها ما بين عمل الرى مما يلى همذان إلى أقصى خراسان وثغورها وبلادها وما هو منسوب إليها ولا يشخصه إليه ولا يفرق أحداً من أصحابه وقواده عنه ولا يولى عليه أحداً ولا يبعث عليه ولا على أحد من عماله وولاة أموره بنداراً ولا محاسباً ولا عاملاً ولا يدخل عليه في صغير من امره ولا كبير ضرراً.

ولا يحول بينه وبين العمل في ذلك كله برأيه وتدبيره، ولا يعرض لأحد ممن ضم إليه أمير المؤمنين من اهل بيته وصحابته وقضاته وعماله وكتابه وقواده وخدمه ومواليه وجنده بما يلتمس إدخال الضرر والمكروه عليهم في أنفسهم ولا قراباتهم ولا مواليهم.ولا أحد ينتسب منهم ولا في دمائهم ولا فى أموالهم ولا في ضياعتهم ودورهم ورباعهم وأمتعتهم ورقيقهم ودوابهم شيئا من ذلك صغيراً ولا كبيراً، ولا أحد من الناس بأمره ورأيه وهواه بترخيص له في ذلك وإدهان منه به لأحد من ولد آدم، ولا يحكم في أمرهم ولا أحد من قضاته ومن عماله وممن كان بسبب منه بغير حكم عبد الله ابن أمير المؤمنين ورأيه ورأى قضاته.

وإن نزع إليه أحد ممن ضم أمير المؤمنين إلى عبد الله ابن أمير المؤمنين من أهل بيت أمير المؤمنين وصحابته وقواده وعماله وكتابه وخدمه ومواليه وجنده ورفض اسمه ومكتبته ومكانه مع عبدالله ابن أمير المؤمنين

عاصياً له أو مخالفاً عليه، فعلى محمد ابن أمير المؤمنين رده إلى عبد الله ابن أمير المؤمنين يصغر له وقماً حتى ينفذ فيه رأيه وأمره، فإن أراد محمد ابن أمير المؤمنين خلع عبد الله ابن أمير المؤمنين عن ولاية العهد من بعده، أو عزل عبد الله ابن أمير المؤمنين عن ولاية خراسان وثغورها وأعمالها والذى من حد عملها مما يلى همذان والكور التى سماها أمير المؤمنين في كتابه هذا، أو صرف أحداً من قواده الذين ضمهم أمير المؤمنين إليه ممن قدم قرماسين، أو أن ينتقصه قليلاً أو كثيراً مما جعله أمير المؤمنين له بوجه من الوجوه أو بحيلة من الحيل صغرت أو كبرت.

فلعبد الله ابن هارون أمير المؤمنين الخلافة بعد أمير المؤمنين وهو المقدم على محمد بن أمير المؤمنين وهو ولى الأمر من بعد أمير المؤمنين، والطاعة من جميع قواد أمير المؤمنين هارون من أهل خراسان وأهل العطاء وجميع المسلمين في جميع الأجناد والأمصار لعبد الله ابن أمير المؤمنين والقيام معه والمجاهدة لمن خالفه والنصر له والذب عنه ما كانت الحياة فى أبدانهم، وليس لأحد منهم جميعاً من كانوا أو حيث كانوا أن يخالفه ولا يعصيه ولا يخرج من طاعته ولا يطيع محمد ابن أمير المؤمنين في خلع عبد الله بن هارون أمير المؤمنين وصرف العهد عنه من بعده إلى غيره أو ينتقصه شيئا مما جعله له أمير المؤمنين هارون في حياته وحجته واشترط في كتابه الذى كتبه عليه في البيت الحرام.

وفى هذا الكتاب: وعبد الله ابن أمير المؤمنين المصدق في قوله وأنتم في حل من البيعة التى في أعناقكم لمحمد ابن أمير المؤمنين هارون إن نقص شيئاً مما جعله له أمير المؤمنين هارون، وعلى محمد بن هارون أمير المؤمنين أن ينقاد لعبد الله ابن أمير المؤمنين هارون ويسلم له الخلافة، وليس

لمحمد ابن أمير المؤمنين هارون ولا لعبد الله ابن أمير المؤمنين هارون أن يخلعا القاسم ابن أمير المؤمنين هارون ولا يقدما عليه أحداً من أولادهما وقراباتهما ولا غيرهم من جميع البرية.

فإذا أفضت الخلافة إلى عبد الله ابن أمير المؤمنين فالأمر إليه في إمضاء ما جعله أمير المؤمنين من العهد للقاسم بعده أو صرف ذلك عنه إلى من رأى من ولده وإخوانه وتقديم من أراد أن يقدم قبله وتصيير القاسم ابن امير المؤمنين بعد من تقدم قبله يحكم في ذلك بما أحب ورأى. فعليكم معشر المسلمين إنفاذ ما كتب به أمير المؤمنين في كتابه هذا وشرط عليهم وآمر به، وعليكم السمع والطاعة لأمير المؤمنين فيما ألزمكم وأوجب عليكم لعبد الله ابن أمير المؤمنين وعهد الله وذمته وذمة رسوله ﷺ وذمم المسلمين، والعهود والمواثيق التى أخذ الله على الملائكة المقربين والنبيين والمرسلين ووكدها في أعناق المؤمنين والمسلمين لتفن لعبد الله أمير المؤمنين بما سمى، ولمحمد وعبد الله والقاسم بنى أمير المؤمنين بما سمى وكتب في كتابه هذا واشترط عليكم وأقررتم به على أنفسكم.

فإن أنتم بدلتم من ذلك شيئاً أو غيرتم أو نكثتم أو خالفتم ما أمركم به أمير المؤمنين واشترط عليكم في كتابه هذا فبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وذمم المؤمنين والمسلمين، وكل مال هو اليوم لرجل منكم أو يستفيده إلى خمسين سنة فهو صدقة على المساكين، وعلى كل رجل منكم المشى إلى بيت الله الحرام الذي بمكة خمسين حجة نذراً واجباً لا يقبل الله منه إلا الوفاء بذلك، وكل مملوك لأحد منكم أو يملكه فيما يستقبل إلى خمسين سنة حر، وكل امرأة له فهى طالق ثلاثاً البتة طلاق الحرج لا مثنوية فيها، والله عليكم بذلك كفيل وراعٍ وكفى بالله حسيباً(١).

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ٢٧٨ : ٢٨١ .

واجاب المأمون على كتاب الأمين بتعهد مماثل باحترام ما عقده أبوهما من ولاية العهد للأمين وله من بعده وللقاسم من بعدهما وفيه:" هذا كتاب لعبد الله هارون أمير لمؤمنين كتب له عبد الله بن هارون أمير المؤمنين في صحة من عقله وجواز من أمره وصدق نيته فيما كتب في كتابه هذا ومعرفة بما فيه من الفضل والصلاح له ولأهل بيته وجماعة المسلمين. إن أمير المؤمنين هارون ولانى العهد والخلافة وجميع أمور المسلمين في سلطانه بعد أخي محمد ابن هارون وولانى في حياته ثغور خراسان وكورها وجميع اعمالها، وشرط على محمد بن هارون الوفاء بما عقد لى من الخلافة وولاية أمور العباد والبلاد بعده، وولاية خراسان وجميع أعمالها، ولا يعرض لى في شئ مما أقطعنى أمير المؤمنين وابتاع لى من الضياع والعقد والرباع وابتعت منه من ذلك ما أعطانى أمير المؤمنين من الأموال والجواهر والكساء والمتاع والدواب والرقيق وغير ذلك، ولا لأحد منهم ابداً.

ولا يدخل على ولا عليهم ولا على من معى ممن استعنت به من جميع الناس مكروهاً في نفس ولا دم ولا شعر ولا بشر ولا مال ولا صغير من الأمور ولا كبير فأجابه إلى ذلك وأقر به وكتب له كتاباً أكد فيه على

= وأورد نص هذا التعهد الشهير الأزرقى جـ ١، ٢٣٥- ٢٣٩ وصبح الأعشى جـ ١٤، ٨٥ – ٨٩ الذى يذكر أنه نقله عن الأزرقى ، واليعقوبى جـ ٢ ص ٤١٦- ٤١٩ ونصوصها متشابهة إلى حد كبير مع وجود بعض الإختلافات . وينفرد اليعقوبى بذكر أسماء الشهود الذين وقعوا على كتاب تعهد الأمين وكتاب تعهد المأمون . هذه الأسماء هى : شهد سليمان ابن أمير المؤمنين المنصور وعيسى بن جعفر وجعفر بن جعفر وعبيد الله بن المهدى وجعفر بن موسى أمير المؤمنين وإسحاق بن عيسى بن على وعيسى بن موسى أمير المؤمين وإسحاق بن المؤمنين وأحد بن اسماعيل بن على سليمان بن جعفر بن سليمان وعيسى بن صالح بن على وداود ابن عيسى بن موسى وداود بن سليمان بن جعفر ويحيى بن موسى بين عيسى ويحيى بن خالد وخزيمة بن خازم وهرثمة بن أعين وعبد الله ابن الربيع والفضل بن الربيع والعباس بن الفضل القاسم بن الربيع ودقاقة بن عبد العزيز وسليمان بن عبد الله بن الأصم.. ومحد بن عبد الرحمن قاضى مكة وعبد الكريم الحجي وإبراهيم بن عبد الرحمن الحجي وإيان مولى أمير المؤمنين وخالد مولى أمير المؤمنين محمد بن منصور إسماعيل بن صبيح . وكتب فى ذى الحجة سنة ١٨٦هـ .

نفسه ورضى به أمير المؤمنين هارون وقبله وعـرف صـدق نيتـه فيـه، فشرطتُ لأمير المؤمنين وجعلت له على نفسى أن اسمع لمحمد وأطيـع ولا أعصيه وأنصحه ولا أغشه وأوفى ببيعته وولايته ولا أغدر ولا أنكث وأنفـذ كتبه واموره وأحسن مؤازرته وجهاد عدوه في ناحيتي، ما وفى لى بما شرط لأمير المؤمنين في امرى وسمى فى الكتاب الذى كتبـه لأميـر المـؤمنين ورضى به أمير المؤمنين ، ولم يتبعنى بشئ عن ذلك ولم ينقض أمراً مـن الأمور التى شرطها أمير المؤمنين لى عليه.

فإن احتاج محمد بن أمير المؤمنين إلى جند وكتـب إلـى يـأمرنى بإشخاصه إليه أو إلى ناحية من النواحى أو إلى عدو من أعدائـه خالفـه أن اراد نقض شئ من سلطانه أن سلطانى الذى أسنده أمير المؤمنين إلينا وولانا إياه فعلى أن أنفذ أمره ولا أخالفه ولا أقصر في شئ كتب به إلـى، وإن أراد محمد أن يولى رجلاً من ولده العهد والخلافة بعدى فذلك له ما وفى لى بمـا جعله أمير المؤمنين إلى واشترطه لى عليه وشرط على نفسه فـي أمـرى، وعلى أنفاذ ذلك والوفاء له به ولا انقص من ذلك ولا أغريه ولا أبدلـه ولا أقدم قبله أحداً من ولدى ولا قريباً ولا بعيداً من الناس أجمعين إلا أن يـولى أمير المؤمنين هارون أحداً من ولده العهد من بعدى فيلزمنى ومحمداً الوفاء له.

وجعلت لأمير المؤمنين ومحمد على الوفاء بما شرطت وسميت فـي كتابى هذا ما وفى لى محمد بجميع ما اشترط لى أمير المؤمنين عليه فـي نفسي وما أعطانى أمير المؤمنين من جميع الأشياء المسماة في هذا الكتـاب الذى كتبه لى . وعلى عهد الله وميثاقه وذمة أمير المؤمنين وذمتـى وذمـم آبائي وذمم المؤمنين وأشد ما أخذ الله على النبيين والمرسـلين مـن خلقـه أجمعين من عهوده ومواثيقه والإيمان المؤكدة التى أمر الله بالوفاء بها ونهى عن نقضها وتبديلها.

فإن أن نقضت شئيا مما شرطت وسميت في كتـابى أو غيـرت أو بدلت أو نكثت أو غدرت فبرئت من الله عز وجل ومن ولايته ودينه ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقيت الله يوم القيامة كافراً مشركاً، وكـل امرأة هى لى اليوم أو أتزوجها إلى ثلاثين سنة أحـرار لوجـه الله، وعلـى المشى إلى بيت الله الحرام الذى بمكة ثلاثين حجة نذراً على في عنقى حافياً راجلاً لا يقبل الله منى إلا الوفاء بذلك ، وكل مال لى أو أملكه إلى ثلاثـين سنة هدى بالغ الكعبة، وكل ما جعلت لأمير المؤمنين وشرطت في كتابى هذا لازم لى ولا أضمر غيره ولا أنوى غيره، وشهد سليمان بن امير المـؤمنين وفلان وفلان وكتب في ذى الحجة سنة ست وثمانين ومائة(١).

ومن الواضح أن الخليفة الرشيد كان يخشى من الـصراع والتنـافس على السلطة بين الأخوين من بعده، ويدرك خطورة هذا الصراع على الدولة فحرص على توثيق العلاقة التى نظمها لهم فكتب إلى عماله وولاته يعلمهـم بما انتهى إليه الاتفاق ويشهدهم عليه فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم: أما بعد. فإن الله ولى أمير المؤمنين ولى ما ولاه والحافظ لما استرعاه وأكرمه به من خلافته وسلطانه، والصانع له فيما تقدم وأخر من اموره، والمنعم عليه بالنصر والتأييد فـي مـشارق الأرض ومغاربها، والكالئ والحافظ والكافى من جميع خلقه، وهو المحمـود علـى جميع آلائه المسؤول تمام حسن ما أمضى من قـضائه لأميـر المـؤمنين وعاداته الجميلهعنده والهام ما يرضى به ويوجب له عليه أحسن المزيد مـن فضله ، وقد كا[illegible] الله عز وجل عند أمير المؤمنين وعنـدك وعنـد

(١) الطبرى : تـاريخ الرسـل والملـوك، جـ ٨ ص ٢٨١ : ٢٨٣ . وورد نـص هـذا الكتـاب أيضا فى اليعقوبى : جـ ٢ ص ٤١٩ : ٤٢١ . فى أخبار مكة للأزرقى جـ ١ ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ . فى صبح الأعشى للقلقشندى جـ ٤ ص ٨٩ : ٩٢ .

عوام المسلمين ما تولى الله من محمد وعبدالله ابني أمير المؤمنين من تبليغه بهما أحسن ما أملت الأمة ومدت إليه أعناقها وقذف الله لهما فى قلوب العامة من المحبة والمودة والسكون إليهما والثقة بهما لعماد دينهم وقوام أمورهم وجمع ألفتهم وصلاح دهمائهم ودفع المحذور والمكروه من الشتات والفرقة عنهم.

حتى ألقوا إليهما أزمتهم وأعطوهما بيعتهم وصفقات أيمانهم بالعهود والمواثيق ووكيد الأيمان المغلظة عليهم، أراد الله فلم يكن له مرد وأمضاه فلم يقدر أحد من العباد على نقضه ولا إزالته ولا صرف له عن محبته ومشيئته وما سبق في علمه منه. وأمير المؤمنين يرجو تمام النعمة عليه وعليهما فى ذلك وعلى الامة كافة لا عاقب لأمر الله ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه. ولم يزل أمير المؤمنين منذ اجتمعت الأمة على عقد العهد لمحمد ابن أمير المؤمنين يعمل فكرة ورأيه ونظره ورؤيته فيما فيه الصلاح لهما ولجميع الرعية والجمع للكلمة واللم للشعث والدفع للشتات والفرقة والحسم لكيد أعداء النعم من أهل الكفر والنفاق والغل والشقاق والقطع لآمالهم من كل فرصة يرجون إدراكها وانتهازها منهما بإنقاص حقهما، ويستخير الله أمير المؤمنين ذلك ويسأله العزيمة له على ما فيه الخيرة لهما ولجميع الأمة، والقوة في امر الله وحقه وائتلاف أهوائهما وصلاح ذات بينهما وتحصينهما من كيد أعداء النعم ورد حسدهم ومكرهم وبغيهم وسعيهم بالفساد بينهما فعزم الله لأمير المؤمنين على الشخوص بهما إلى بيت الله وأخذ البيعة منهما لأمير المؤمنين بالسمع والطاعة.

والإنفاذ لأمره واكتتاب الشرط على كل واحد منهما لأمير المؤمنين ولهما بأشد المواثيق والعهود وأغلظ الأيمان والتوكيد والأخذ لكل واحد منهما على صاحبه بما التمس به أمير المؤمنين اجتماع ألفتهما ومودتهما

وتواصلهما ومؤازرتهما ومكانفتهما على حسن النظر لأنفسهما ولرعية أمير المؤمنين التى استرعاهما والجماعة لعدو المسلمين من كانوا وحيث كانوا وقطع كل عدو مظهر للعداوة ومسر لها وكل منافق ومارق، وأهل الأهواء الضالة المضلة من فرقة تكيد بكيد توقعه بينهما وبدحس تدحس به لهما وما يلتمس أعداء الله واعداء النعم وأعداء دينه من الضرب بين الأمة والسعى بالفساد في الأرض والدعاء إلى البدع والضلالة نظراً من أمير المؤمنين لدينه ورعيته وأمة نبيه محمد ﷺ.

ومنا صحة لله ولجميع المسلمين ونبا عن سلطان الله الذى قدره وتوحد فيه للذى حمله إياه، والاجتهاد في كل ما فيه قربة إلى الله وما ينال به رضوانه والوسيلة عنده. فلما قدم مكة أظهر لمحمد وعبد الله رأيه في ذلك وما نظر فيه لهما فقبلا كل ما دعاهما إليه من التوكيد على أنفسهما بقبوله وكتبا لأمير المؤمنين في بطن بيت الله الحرام بخطوط أيديهما بمحضر من شهد الموسم من أهل بيت أمير المؤمنين وقواده وصحابته وقضاته وحجبة الكعبة وشهاداتهم عليها كتابين استودعهما أمير المؤمنين الحجبة وأمر بتعليقهما في داخل الكعبة.

فلما فرغ أمير المؤمنين من ذلك كله في داخل بيت الله الحرام وبطن الكعبة أمر قضائه الذين شهدوا عليهما وحضروا كتابهما أن يعلموا جميع من حضر الموسم من الحجاج والعمار ووفود الأمصار ما شهدوا عليه من شرطهما وكتابهما وقراءة ذلك عليهم ليفهموه ويعرفوه ويحفظوه ويؤدوه إلى إخوانهم واهل بلدانهم وأمصارهم ففعلوا ذلك وقرئ عليهم الشرطان جميعاً في المسجد الحرام.

فانصرفوا وقد اشتهر ذلك عندهم وأثبتوا الشهادة عليه وعرفوا نظر أمير المؤمنين وعنايته بصلاحهم وحقن دمائهم ولم شعثهم وإطفاء جمرة

أعداء الله أعداء دينه وكتابه وجماعة المسلمين عنهم، وأظهروا الدعاء لأمير المؤمنين والشكر لما كان منه في ذلك، وقد نسخ لك أمير المؤمنين ذينك الشرطين اللذين كتبهما لأمير المؤمنين ابناه محمد وعبد الله في بطن الكعبة في أسفل كتابه هذا. فأحمد الله عز وجل على ما صنع لمحمد وعبد الله ولي عهد المسلمين حمداً كثيراً وأشكره ببلائه عند أمير المؤمنين وعند ولي عهد المسلمين وعندك وعند جماعة أمة محمد ﷺ كثيراً . وأقرئ كتاب أمير المؤمنين على من قبلك من المسلمين وأفهمهم إياه وقم به بينهم وأثبته في الديوان قبلك وقبل قواد أمير المؤمنين ورغيته قبلك، واكتب إلى أمير المؤمنين بما يكون في ذلك إن شاء الله وحسبنا الله ونعم الوكيل وبه الحول والقوة والطول. وكتب إسماعيل بن صبيح يوم السبت لسبع ليال بقين من المحرم سنة ست وثمانين ومائة(١).

٢- محاولات الأمين استدراج المأمون لبغداد:

أرسل الأمين رسالة إلى المأمون يطلب منه فيها أن يحضر عنده في بغداد لأنه بأشد الحاجة إليه من أجل المعاونة في إدارة شئون الدولة، وأرسلها مع وفد مؤلف من العباس بن عيسى بن موسى وعيسى بن جعفر بن المنصور ومحمد بن عيسى بن نهيك وصالح صاحب المصلى، وأرسل معهم هدايا كثيرة وألطافاً، وطلب منهم أن يعدوا المأمون ويمنوه وأن يحثوه على الحضور عند أخيه في بغداد. وقد تكلم أغلب أعضاء الوفد أمام المأمون، وفيما يلي خطبهم ونبدؤها بخطبة العباس الذى قال:

أيها الأمير: إن أخاك قد تحمل من الخلافة ثقلاً عظيماً، ومن النظر في أمورها عبئاً جليلاً، وقد صدقت نيته في الخير فأعوزه الوزراء والأعوان

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك، جـ ٨ ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

والكفاة على العدل، وقليل ما يأنس بأهل بيته. وأنت أخوه وشقيقه، وقد فزع إليك في أموره وأملك للمؤازرة والمكانفة، ولسنا نستبطئك في بره اتهاما لنصرك له، ولا نحضك على طاعة تخوفاً لخلافك عليه، وفى قدومك عليه أنس عظيم وصلاح لدولته وسلطانه. فأجب أيها الأمير دعوة أخيك آثر طاعته وأعنه على ما استعانك عليه من أمره، فإن في ذلك قضاء الحق وصلة الرحم وصلاح الدولة وعز الخلافة، عزم الله للأمير على الرشد في أموره وجعل له الخيرة والصلاح في عواقب أمره[1].

وخطب عيسى بن جعفر بن المنصور فقال:" إن الإكثار على الأمير– أيده الله– في القول خرق، والاقتصاد في تعريفه ما يجب من حق أمير المؤمنين تقصير وقد غلب الأمير– أكرمه الله– عن أمير المؤمنين ولم يتغن عن قربه، ومن شهد غيره من أهل بيته فلا يجد عنده غناء ولا يجد منه خلفاً ولا عوضاً. والأمير أولى من بر أخاه وأطاع إمامه، فليعمل الأمير فيما كتب به إليه أمير المؤمنين بما هو أرضى وأقرب من موافقة أمير المؤمنين ومحبته، وإن القدوم عليه فضل وحظ عظيم، والإبطاء عنه وكف في الدين وضرر ومكروه على المسلمين.

وخطب محمد بن عيسى بن نهيك فقال:" أيها الأمير :إنا لا نزيدك بالإكثار والتطويل فيما أنت عليه من المعرفة بحق أمير المؤمنين ، ولا نشحذ نيتك بالأساطير والخطب فيما يلزمك من النظر والعناية بأمور المسلمين. وقد أعوز أمير المؤمنين الكفاة والنصحاء بحضرته، وتناولك فزعاً إليك في المعونة والتقوية له على امره، فإن تجب أمير المؤمنين فيما دعاك فنعمة عظيمة تتلافى بها رعيتك وأهل بيتك، وإن تقعد يغن الله أمير المؤمنين عنك، ولن يضعه ذلك مما هو عليه من البر بك والاعتماد على طاعتك ونصيحتك.

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك، جـ ٨ ص ٤٠١ .

وخطب صالح صاحب المصلى فقال:" أيها الأمير: إن الخلافة ثقيلة والأعوان قليل، ومن يكيد هذه الدولة وينطوى على غشها والمعاندة لأولياتها من أهل الخلف والمعصية كثير. وأنت أخو أمير المؤمنين وشقيقه، وصلاح الأمور وفسادها راجع عليك وعليه إذ أنت ولى عهده والمشارك في سلطانه وولايته، وقد تناولك أمير المؤمنين ووثق بمعاونتك على ما استعانك عليه من أموره، وفى إجابتك إياه إلى القدوم عليه صلاح عظيم في الخلافة وأنس وسكون لأهل الملة والذمة. وفق الله الأمير في أموره وقضى له بالذى هو أحب إليه وأنفع له(١).

ثم خطب المأمون جواباً على خطب أعضاء الوفد: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :"قد عرفتمونى من حق أمير المؤمنين – أكرمه الله– ما لا أنكر، ودعوتمونى من المؤازرة والمكانفة إلى ما أؤثره ولا أدفعه. وأنا لطاعة أمير المؤمنين مقدم وعلى المسارعة إلى ما سره ووافقه حريص، وفى الروية تبيان الرأى وفى إعمال الرأى نصح الاعتزام. والأمر الذى دعانى إليه أمير المؤمنين أمر لا أتاخر عنه تثبطاً ومدافعة، ولا أتقدم عليه اعتسافاً وعجلة. وأنا في ثغر من ثغور المسلمين كلب عدوه، شديد شوكته، وإن أهملت أمره لم آمن دخول الضرر والمكروه على الجنود والرعية، وإن أقمت لم آمن فوت ما أحب من معونة أمير المؤمنين ومؤازرته وإيثار طاعته، فانصرفوا حتى أنظر في أمرى ونصح الرأى فيما أعتزم عليه من مسيرى إن شاء الله(٢).

وإلى هذا الحد نجد أن الأمور تسير طبيعية وودية، وأن الأخوين يلتزمان الأدب والاحترام في المراسلات ويحسنان اختيار الرسل المخلصين

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك، جـ ٨ ص ٤٠٢ .
(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك، جـ ٨ ص ٤٠٢ ، ٤٠٣ .

والحريصين على الأمن والسلام بينهما، غير أن الأمور تبدلت بعد ذلك تدخل بعض رفاق السوء لكل من الأخوين فنجد الفضل بن سهل الفارسي ينصح المأمون بالاعتذار عن لقاء الامين في بغداد، ونجد الفضل بن الربيع العربى يوشى للأمين بأن يطلب من المأمون التنازل له عن بعض الأقاليم من خراسان بدعوى أنها بلاد غنية وأن مالها يكفيها أما مال العراق فإنه قليل لا يكفى، فرد عليه المأمون قائلاً له " فلا تبعثنى يا ابن أبى على مخالفتك، وانا عن بطاعتك ولا قطيعتك، وأنا على إيثار ما تحب من صلتك، وأرضى بما كم الحق في أمرك، أكن بالمكان الذى أنزلنى به الحق فيما بينى وبينك السلام[1].

ثانيا- مرحلة الصراع العسكرى ومقتل الأمين :

عندئذ تنتهى فترة المفاوضات الودية، وتبدأ مرحلة جديدة من الصراع الأخوين ونعنى بها مرحلة الصراع العسكرى فقد أثار هذا الرد غضب مين ويعث إلى المأمون يخبره أن عليه أن يختار بين أمرين : إما الموافقة شروطه وإما القتال، فلم يوافق المأمون على مطالب الأمين واستعد

ومن جهته قام الأمين بمنع ذكر المأمون والدعاء له على المنابر ثم سحب العهد المودع في الكعبة، وأخذ البيعة من بنى هاشم والقواد والجند بولاية ابنه موسى العهد من بعده وأسماه: الناطق بالحق، ثم لابنه عبد الله من بعده، وأسماه: القائم بالحق[2]. أمام هذا أعد المأمون جيشاً كبيراً في منطقة الرى على حدود خراسان، ووضع عليه قائدين مخلصين هما: طاهر بن

(١) الطبرى : المصدر السابق ، جـ ٨ ص ٣٧٧، ٣٧٩ ، الجهشيارى: الوزراء الكتاب ، ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٥ ص ٣٦٠، ٣٦١ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك، جـ ٨ ص ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، الجهشيارى : الوزراء والكتاب، ص ٢٩٣ . ابن عمرانى: الأنباء ، ص ٥٠ .

الحسين وهرثمة بن أعين. وبعث الأمين بثمانين ألف مقاتل معظمهم من أعراب البوادى، لقتال المأمون، وجعل على رأسهم على بن عيسى بن ماهان، أحد ولاة خراسان السابقين على عهد الرشيد،، وكان معروفاً بميوله العربية، مما جعله مكروهاً من الفرس[1].

وتقدم على بن عيسى بن ماهان لقتال طاهر بن حسين في الرى وانتهت هذه المعركة بهزيمة جيش الأمين ومقتل قائده على بن عيسى، وذلك لأنه لم يستعد للقاء جيش طاهر استعداداً مناسباً فقد استهان به[2]، وهنا نجد أن الأمين يقوم بإرسال عدد من الجيوش بعد ذلك إلى منطقة الرى ولكنها منيت جميعاً بالهزيمة، وقد أدى ذلك الأمر إلى إنهاك موارد الأمين، فلم يتمكن من إرسال جيوش أخرى[3]. ووجد قادة المأمون أن الفرصة قد أصبحت سانحة للتقدم إلى العراق وبغداد والقضاء على الأمين، واتفق طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين على أن يقوم الأول بالهجوم على العاصمة من الغرب بينما يهاجمها الثانى من الشرق، وتمكنا بالفعل ن إيقاع الهزيمة بجيوش الأمين وتمكنت جيوشهما من الوصول إلى أراضى بغداد[4].

ولم يبق للأمين جيش حقيقى في بغداد، على اننا نجد أن الذين أبلوا في الدفاع عنها هم أهلها ولا سيما جماعة العيارين (أو الفتيان) ويقال أن عددهم بلغ مائة ألف وكان معظمهم من العراة يتخذون الخوذ من الخوص وفي يد كل واحد منهم ترس من خوص خشبى مملوء بالحصى والرمل، وفي

---

(١) أنظر الطبرى : المصدر السابق، جـ٨ ص ٣٧٨. المسعودى : التنبيه والإشراف ، ص ٣٠٠. البلخى : البدء والتاريخ ، جـ ٦ ص ١٠٨ .

(٢) أنظر الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٨ ص ٤١٢ ، ٤١٤ ، ٤٢٣ .

(٣) انظر : اليعقوبى : تاريخه ، جـ ٢ ص ٤٣٧ . الطبرى : المصدر السابق جـ٨ ص٤١٢ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ . ابن الأثير : الكامل ، جـ ٥ ص ٣٨٠، ٣٨٢ ، ٣٩٤ .

(٤) الطبرى : المصدر السابق ، جـ ٨ ص ٤٥٦، ابن الأثير: المصدر السابق،جـ ٥ ص ٣٩٤.

اليد الأخرى مقلاع وتحت إبطه مخلاة فيها حجارة ، بمعنى أنهم كانوا لا يستخدمون السلاح، فإذا ما انتهت سهام المهاجم أخذوا يمطرونه وابلاً من الحجارة مستخدمين المقلاع في ذلك. وقد قاتل هؤلاء العياريون ضد طاهر وهرثمة ببسالة وشجاعة شهد لهم قواد المأمون، وكانوا لا يهابون القتل، حتى قتل منهم كما تروى المصادر نحو عشرة آلاف، وكان القتال يدور من شارع إلى شارع، ومن بيت إلى بيت ، حتى سميت هذه المواقع العسكرية باسم الدروب[1].

ولما طال أمد الحصار الذى استمر أربعة شهراً بدأت أحياء بغداد تستسلم الواحد وراء الآخر، واضطر الأمين إلى طلب الأمان والتسليم. وطلب أن يسلم نفسه إلى القائد هرثمة بن أعين، ربما لكبر سنه، أو لانه كان قائد أبيه، وشارك في نكبة البرامكة كما كانت له ميول عربية خالصة.

وقبل أن يتوجه الأمين ليسلم نفسه إلى هرثمة في حراقة، وهى مركب صغير تسير في نهر دجلة فإنه ضم ابنيه وقبلهما، ودمعت عيناه، فلما دخل الأمين الحراقة، وقف القواد إكباراً له، واحتضنه هرثمة وجعل يقبل يديه ورجليه وعينيه، ويقول له : يا سيدى ومولاى وابن سيدى ومولاى . إلا أن رجال طاهر الفارسي قاموا برمى الحراقة بالسهام والحجارة فمالت وغرقت بكل من فيها إلا هرثمة والأمين ونفر من القادة، فسبح الأمين إلى الشاطئ، حيث قبض عليه رجال طاهر وأودع السجن ثم قرر طاهر قتله[2]". فدخل عليه بعض رجاله وبأيديهم السيوف، فلما رآهم الأمين وقف وقال: إنا لله وإنا

---

(١) أنظر الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٨ ص ٤٤٦ ، ٤٤٨ ، ٤٥٥ ، ٤٦٥، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٥ ص ٣٩٤ ، ٣٩٧ .

(٢) الطبرى : المصدر السابق ، جـ ٨ ص ٤٨٢ . المسعودى: مروج الذهب جـ ٣ ص ٤٢٠. البلخى : البدء والتاريخ ، جـ ٦ ص ١١٠.

إليه راجعون، ذهبت والله نفسي في سبيل الله. وقد حاول الأمين أن يدافع عن نفسه فقام بقتل أحدهم ويدعى حماراوية، فتكالب عليه بقية الرجال ثم ركبوه وذبحوه ذبحا من قفاه. وحملوا رأسه إلى طاهر[1]. ثم حملت إلى المامون مع شارات الخلافة مثل البردة والقضيب والخاتم. فلما رآها المأمون أخذ في البكاء. لكن وزيرة الحسن بن سهل قال له : إن محمداً(يقصد محمد الأمين) كان يتمنى أن يراك بحيث رأيته. فأمر للمأمون بنصب الرأس على خشبة وآمر بلعنه، ثم عطر الرأس ودفن مع جسمانه[2]. وبهذا خلص الأمر للمأمون فأصبح خليفة لمشرق الدولة العباسية ومغربها معاً ، فتم النصر في هذه الجولة للعنصر الفارسي.

ولما كانت أم المأمون فارسية فقد حاولت الشعوبية الفارسية في ذلك الوقت أن تبرر موقفه فى صراعه ضد الأمين الذى وصفته بأنه كان سئ التدبير، كثير التبذير ، ضعيف الرأى، أرعن لا يصلح للإمارة، يقبل على حياة اللهو والمجون، يبعث في طلب الملهين من جميع البلدان، يستخف بأخويه وبقواده، مسرف في الإنفاق على متعه وملذاته. كما ذكروا أن أول أمر له بعد توليه الخلافة كان بخصوص بناء ميدان بجوار قصر المنصور للعب الكرة[3].

وبعث طاهر بن الحسين بكتاب إلى المأمون يشرح له سير المعارك التى انتهت بالنصر وقتل الأمين ويبشره بالفتح ويهنئه بإنفراده بالخلافة ويطعن في أخلاق الأمين وسلوكياته فيقول:" أما بعد فإن المخلوع وإن كان قسيم أمير المؤمنين في النسب واللحمة فقد فرق حكم الكتاب بينه وبينه في

(١) اليعقوبى : تاريخه ، جـ ٢ ص ٤٤١ . المسعودى: مروج الذهب ، جـ ٣ ص ٤٢٢ .
(٢) المسعودى : المصدر السابق ، جـ ٣ ص ٤٢٢ ، ٤٢٤ .
(٣) أنظر : ابن عمرانى : الأنباء ، ص ٤٩ ، ٥٠ . ابن طباطبا : الفخرى ، ص ٢١٢.

الولاية والحرمة لمفارقة عصمة الدين وخروجه من الامر الجامع للمسلمين... وقد قتل الله المخلوع، واسلمه بغدره ونكثه، وأحصد أمير المؤمنين أمره.. والحمد لله الراجع إلى أمير المؤمنين حقه.. حتى رد به الألفة بعد فرقتها وجمع به الأمة بعد شتاتها"(١).

غير أن المامون لم يرق له ما أقدم عليه طاهر من قتل أخيه، فمن الواضح أنه لم يكن يريد أن يصل الامر بينهما إلى هذا الحد، فيذكر أنه تأسف على قتل أخيه وحزن عليه حزناً شديداً ولعن قتلته وعزم على الانتقام منهم وقال:" اللهم إنى أقول كما قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه لما بلغه قتل عثمان.. والله ما قتلت ولا أمرت ولا رضيت .. اللهم جلل قلب طاهر حزناً(٢).

ثالثاً- خلافة عبد الله المأمون :

ولد المأمون عام ١٧٠هـ/٧٨٦م في اليوم الذى ولى فيه أبوه الخلافة، وولاه العهد وعمره ١٣ سنة بعد أخيه الأمين، وولاه خراسان وما يتصل بها تحت حكم أخيه، وأعطاه كما رأيناه بمقتضى الشروط التى عقدها استقلالا يكاد يكون تاماً بها(٣)، ولما توفى الرشيد، لم يف له أخوه بعهده بل أراد أن يقدم عليه في ولاية العهد ابنه موسى، ودارت الحرب بين الأخوين حتى انتهت بقتل الأمين في ٢٥ محرم ١٩٨ هـ/٥ سبتمبر ٨١٣م(٤).

وأم المأمون أم ولد فارسية اسمها مراجل، اشتراها الرشيد لتلد له بعد أن تأخرت زوجته زبيدة في الحمل فولدت له المأمون، ثم حملت زبيدة بعد

---

(١) اليعقوبى : تاريخه ، جـ ٢ ، ص ٤٢٢ .
(٢) المسعودى : مروج الذهب،ن جـ ٣، ص ٤٢٤ .
(٣) انظر : اليعقوبى : تاريخه ، جـ٢ ص ٤٠٦ ، ٤٠٧. ابن الأثير: الكامل ، جـ ٥ ، ص ٣١٧.
(٤) اليعقبوى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٤٤١ ، المسعودى مروج الذهب ، جـ ٣ ص ٤٢٢.

ذلك وأنجبت له محمد الأمين. وأصبح المأمون يمثل الحزب الفارسى، أما الأمين فكان يمثل الحزب العربى.

١- الصراع بين العرب والفرس في خلافة المأمون:

انفرد المأمون بالخلافة في المحرم سنة ١٩٨هـ/ ٨١٣م[١] بعد قضائه على الأمين، وسادت البلاد حالة من الهدوء والاستقرار لفترة طويلة، ثم عادت الفتن والصراعات إلى الظهور من جديد، وبدأت حلقة جديدة من حلقات الصراع بين العرب والفرس في عهده.

فقد ارتكب المأمون خطأ سياسياً كبيراً ببقائه في مرو بعد انتهاء الفتنة، وكان العرف والصواب يقتضى أن يعود إلى بغداد العاصمة المركزية للخلافة العباسية كما كان الحال على عهد اسلافه. غير أن الفرس أحاطوا به وحرضوه على البقاء بينهم وألحوا عليه في ذلك، محاولة منهم في نقل السلطة المركزية من بغداد عاصمة العرب إلى خراسان عاصمة الفرس وبلاد المشرق، وعلى أمل إعادة الامبراطورية الفارسية إلى سابق عهدها[٢].

ومن الطبيعى أن لا يقف العرب مكتوفى الأيدى أمام تلك السياسات الفارسية بل رفضوها واستنكروها، وأعلنوا المعارضة الثورية ضدها في أقاليم عديدة، دفاعاً عن كيان الدولة ومركزها وعروبتها، ومن أبرز العناصر الفارسية المتطلعة إلى السيطرة والتسلط في خلافة المأمون اسرة بنى سهل والأسرة الطاهرية . وقد تصدى العرب لتلك العناصر وقمعوا محاولاتهم المناهضة للعروبة والإسلام.

---

(١) اليعقوبى : تاريخه ، جـ٢ ص ٤٤٤ ، أبو البسام : : النبراس ، ص ٤٨.
(٢) انظر : رشيد الجميلى: دراسات فى تاريخ الخلافة العباسية ص ٨٦ ، سيد أمير على: مختصر تاريخ العرب ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

أسرة بنى سهل:

تنتمى تلك الأسرة إلى سهل بن زادان فروخ السرخسى[١]، وهو من اسرة فارسية مجوسية من سلالة ملوك الفرس[٢] وسهل وبنيه حديثى عهد بالإسلام، فقد اسلم سهل على يد الخليفة المهدى[٣] وقيل على يد الرشيد[٤]، أما الفضل فقد تأخر إسلامه كثيراً، فمن الواضح أنه التحق بخدمة الأسرة العباسية وهو ما زال مجوسياً حيث كان صديقاً للبرامكة فنجحوا في ضمه إلى خدمة المأمون وخاصته على عهد الخليفة الرشيد[٥].

وكان الفضل سياسيا ذكيا داهية" عالما بآداب الملوك بصيراً بالحيل جيد الحدس"[٦] كما كان طموحا محبا للهيمنة والتسلط، فحرص على تدعيم مركزه لدى الخليفة والاسرة الحاكمة ونيل ثقتهم ومودتهم، كى يتمكن من تحقيق ما يصبو إليه من آمال وطموحات، فأدرك أنه لا سبيل إلى ذلك إلا باعتناق الإسلام ، فأشهر إسلامه على يد المأمون سنة ١٩٠هـ/٨٠٥ م فازدادت حظوته وعظم شأنه[٧].

ومنذ ذلك الوقت، بدأ الفضل يخطط لصالحه وصالح اسرته وقومه الفرس من خلال صحبته للمأمون وتحت ستار العمل لصالحه، فقد نصحه بمرافقة أبيه الخليفة الرشيد أثناء خروجه إلى خراسان في شعبان سنة

---

(١) نسبة إلى سرخس : وهى مدينة من مدن خراسان ، تقع بين نيسابور ومرو ، بينها وبين مرو ٣٠ فرسخا ، ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ٢٨٩ .
(٢) ابن طباطبا : الفخرى ص ٢٢١ .
(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ ص ٢٠٩ .
(٤) ابن طباطبا : المصدر السابق ، نفس الصفحة .
(٥)ابن خلكان : المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة ، ابن طباطبا المصدر السابق ، نفس الصفحة .
(٦) ابن طباطبا : المصدر السابق ، نفس الصفحة .
(٧) ابن خلكان : المصدر السابق ، جـ ٣ ص ٢٠٩ .

١٩٢هـ / ٨٠٧م [1] وأن يستقر بها هناك بين أخواله ويتخذها عاصمة لمنطقة المشرق الإسلامي، كمركز قوى ومنطقة نفوذ مماثلة ومنافسة لمنطقة نفوذ أخيه الأمين في بغداد. وبالفعل نجح الفضل في خطته وتم له ما أراد[2].

وفى خراسان تولى الفضل منصب الوزارة التفويضية والتى كانت تكنى بلفظ الكتابة آنذاك، وتمكن من الاستحواذ على شخص المأمون حيث أصبحت له السلطة الفعلية فى إدارة منطقة المشرق الإسلامى، ولم يبق للمأمون منها سوى الاسم[3].

ثم كان للفضل دور كبير في احداث الصراع بين الأمين والمأمون- كما سبق ذكره، فلما آلت الخلافة إلى المأمون فوض المأمون إليه أمور الخلافة كلها، واصبحت له السلطة المطلقة في إدارة شئون الدولة، وجمع بين السلطتين العسكرية والمدنية(السيف والقلم). لذلك لقب بذى الرئاستين ولقب أيضا بالوزير الأمير[4].

ولم يكتف الفضل بذلك، بل أنه فرض نفوذه على الخليفة المامون ذاته، وغلبه على أمره وسلبه إرادته، فقد قيل أنه اسكنه في قصر بمرو وحدد إقامته به وفرض الحراسة عليه، ومنعه من مقابلة الاشراف ورجال الدولة من العرب عامة وأهل بيته خاصة. كما حجب عنه اخبار القسم العربى للدولة وتطورات الاوضاع به ، أو يبلغها له على عكس الواقع بما يخدم

---

(١) وقد خرج الرشيد من بغداد إلى خراسان لقمع ثورة رافع بن الليث بن نصر بن سيار بها. انظر : الطبرى: تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ٣٣٨ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ٣٥٠ .

(٢) الجهشيارى: الوزراء والكتاب ص ٢٦٦ .

(٣) الطبرى : المصدر السابق جـ ٨ ص ٣٣٨ ، الجهشيارى: المصدر السابق ص ٢٦٦.ابن الأثير : المصدر السابق جـ ٥ ص ٣٥٠ .

(٤) الجهشيارى : المصدر السابق ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٣ ص ٢٠٩، ابن طباطبا : الفخرى ص ٢٢١ .

اغراضه[١] وقد صرح الفضل لاحد اصحابه بانه يأمل أن يتـولى الزعامـة الفعلية للعالم الإسلامى كله تحت ستار عمله باسم المأمون حيث قال له:" والله ما صحبته لأكتسب منه مالا قل أو جل، ولكن صحبته ليمضى حكم خـاتمى هذا في الشرق والغرب، قال (صاحبه): فوالله ما طالت المدة حتى بلـغ مـا أمل"[٢].

واتسعت دائرة السلطة لتشمل أهل الفضل وأقاربه، فقد عـين أخـاه الحسن والياً عاماً لمنطقة الغرب الإسلامى[٣]- وتولى الحـسن إدارة أمـور الحرب والصلاة، وعين ابن خالته[٤] على بن ابى سعيد على أمور الخراج[٥] ، أما المنطقة الشمالية الغربية[٦] فقد تولى إدارتها طاهر بن الحسين ، وكان كل من الحسن وطاهر ممثلاً للخليفة المأمون ونائباً له فى منطقـة عملـه، وبذلك اصبح العالم الاسلامى كله تحت السيطرة الفارسية[٧].

ونتيجة لذلك اجتاحت العرب بعامة والأسرة الحاكمة بخاصة موجـة عارمة من السخط والاستياء ضد المأمون والزعمـاء الفـرس المتـسلطين باسمه، فقد استنكر بنو العباس استبداد الفضل بن سهل على الامور وموقف المأمون المتخاذل والمهين فرموه بالسحر والجنون[٨] ثم بدأ بعض الزعمـاء

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل، جـ ٨ ص ٥٢٨، ابن الأثير: الكامل ، جـ ٥ص ٤١٦، وانظر سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب ص ٢٣٩ ، ٢٣٨ .
(٢) ابن طباطبا : الفخرى ، ص ٢٢١ ، ٢٢٢.
(٣) وتشمل فارس وكور الجبل والأهواز والعراق والحجاز واليمن .
(٤) ابن أخته عند الطبرى وابن الأثير، انظر : تاريخ الرسل والملوك جـ٨ ص ٥٢٧، الكامل جـ٥ ص ٤١٢ .
(٥) اليعقوبى: تاريخه جـ ٢ ص ٤٥٢، الجهشيارى :الوزراء والكتاب ، ص ٣٠٥ .
(٦) وتشمل الموصل والجزيرة وبلاد المغرب وكانت مدينة الرقة هى العاصمة الإدارية لتلك المنطقة .
(٧) أنظر الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٨ ص ٥٢٧ ، الجهشيارى : الوزراء والكتاب، ص ٣٠٥ .
(٨) الطبرى : المصدر السابق ، جـ ٨ ص ٥٦٤ ، ابن مسكويه: تجارب الأمم (ضمن كتاب العيون والحقائق) طبعة ليدن سنة ١٨٦٩ م ، نشر مكتبة المثنى، بغداد د.ت جـ ٦ص ٤٤١.

العرب يتخذون مواقف إيجابية مباشرة تجاه المأمون وحزبه وذلك بتوجيه النصح والارشاد له، وإطلاعه على الاوضاع المتردية للدولة وما يدبره الفرس في الخفاء، ومن ابرز هؤلاء الزعماء هرثمة بن أعين وهو من الامراء البارزين ورجال الدولة المخلصين ومن ذوى الحظوة والمركز المرموق لدى الخليفة(١)، لذلك لم يستطيع السكوت على تلك الأوضاع، فقرر الرحيل إلى مرو لمقابلة الخليفة ليكشف له عما خفى عنه، وليأت به إلى بغداد " دار خلافة آبائه وملكهم ليتوسط سلطانه ويشرف على أطرافه"(٢) فوصل إلى مرو في ذى القعدة سنة ٢٠٠ هـ/٨١٥ م(٣).

ودخل هرثمة على الخليفة المأمون ثائراً غاضباً ، وحاول المأمون أن يمتص غضبه ويهدأ من روعه، فرحب به وأحسن استقباله، إلا أنه أصر على إبلاغه بحقائق الامور، ودخل الفضل بن سهل على المجلس فجلس على كرسى مجنح كعادة ملوك الفرس الأكاسرة المجوس، فاشتاط هرثمة غضباً لذلك وقال" الحمد لله الذى لم يمتنى حتى رأيت هذا المجوسى- يعنى ذا الرياستين – في هذا المجلس على كرسى"(٤) ، وعندئذ غضب المأمون وأمر هرثمة بمغادرة المجلس والعودة إلى بغداد فأبى هرثمة وقال له :" لا والله أو يدفع إلينا هذا المجوسى، فننزل به ما يستحقه"(٥) ولم يحتمل الفضل تلك

(١) انظر : تاريخ حياة هرثمة فى كتاب البخلاء للجاحظ ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، الطبرى : المصدر السابق جـ ٨ ص ٥٤٢، انظر أيضا: يوسف العش : تاريخ العش : تاريخ عصر الخلافة العباسية ص ٨٥ ، محمد نجيب أبو طالب : الصراع الاجتماعى فى الدولة العباسية ص ١٦١.

(٢) الطبرى : المصدر السابق جـ ٨ ص ٥٤٢ ابن مسكويه : المصدر السابق جـ ٦ ص ٤٢٨.

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك، جـ ٨ ص ٥٤٢، ويذكر اليعقوبى أن ذلك كان سنة ٢٠١هـ تاريخ اليعقوبى جـ ٢ ص ٣١٧.

(٤) الجشيارى : المصدر السابق ، ص ٣١٦ ، ٣١٧.

(٥) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٣١٧ ، ويذكر اليعقوبى أن هرثمة قال للمأمون: " قدمت هذا المجوسى على أوليائك وأنصارك؟ فأمر المأمون بسحب رجل هرثة ، وحبسه ، فأقام فى محبسه ثلاثة أيام ومات . تاريخه جـ ٢ ص ٤٥٠ .

التعديات فقبض عليه وحبسه ثم أمر بقتله بعد عدة أيام وذلك في ذى القعدة سنة ٢٠٠ هـ/ سنة ٨١٥م[١].

وكان لمقتل هرثمة رد فعل عنيف من جانب بعض رجال الوفد المرافق له، فقد غضبوا وثاروا لمقتله، وقال أحدهم للمأمون" يا أمير المنافقين"[٢] وقال له آخر" يا أمير الكافرين" [٣] وقد قتل كلا الرجلين لهذا السبب[٤].

ولم يقف الامر عند هذا الحد من المعارضة القولية، بل أعلن العرب معارضة ثورية شاملة ضد المأمون ونظام حكمه في أقاليم عديدة من العالم الاسلامى، وقرروا التخلص من الولاة والعمال الفرس في القسم العربي والاستعانة بولاة وعمال عرب بدلا منهم، فقد شغب أهل بغداد على الحسن بن سهل، طردوا عامله منها، وعينوا اسحاق بن موسى الهادى عليها[٥].

ولعل أخطر الثورات تلك التى قام بها أبو السرايا أو السرى بن منصور الشيبانى في عام ١٩٩هـ/٨١٥م أى بعد مقتل الأمين بعام واحد، وكان مركز هذه الثورة مدينة الكوفة في جنوب العراق، وانضم إليها عدد كبير من العلويين الذين كانوا يكرهون بنى العباس، واستطاع أبو السرايا أن ينتصر على الجيوش التى أرسلها إليه والى العراق الحسن بن سهل. ولكن الحسن بن سهل هذا تمكن في نهاية الامر من القضاء على تلك الثورة وقتل قائدها سنة ٢٠١ هـ/ ٨١٦م. [٦].

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٢ ص ٥٤٣ ، ابن الأثير: الكامل جـ ٥ص ٤٢٤، ٤٢٥ .

(٢) هو محمد بن سعيد بن عامر . الجهشيارى: المصدر السابق ، ص ٣١٧ .

(٣) هو يحيى بن عامر بن اسماعيل الحارثى. اليعقوبى : تاريخه جـ ٢ ص ٤٤٩.

(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ٥٤٥ .

(٥) الطبرى : المصدر السابق جـ ٨ ص ٥٤٣ ابن مسكويه : تجارب الأمم جـ ٦ ص ٤٢٩ .

(٦) اليعقوبى : المصدر السابق، جـ ٢ ص ٤٤٥، الطبرى : المصدر السابق، جـ ٨ ص ٥٤٢. ابن الأثير : الكامل ، جـ ٥ ص ٤٢٤ ، ٤٢٥ .

وقد اتبع الخليفة المأمون سياسة تتسم باللين والعطف والتسامح مع العلويين. ومن المرجح أن هذه السياسة التى اتبعها المأمون تتفق وميوله الفارسية إذ كانت أمة فارسية، وزوجته فارسية. كذلك كان الفرس يرون ان العلويين هم أحق الناس بالخلافة وذلك بسبب صلة النسب التى تربطهم بالبيت العلوى منذ أن تزوج الحسين بن على بن أبى طالب من ابنة يزدجرد الثالث ملك الفرس.

وقد قام المأمون عام ٢٠١هـ/٨١٦ م بإحضار على بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، وبايعه بولاية العهد، ولقبه بالرضا من آل محمد، وزوجه من ابنته ام حبيب، وامر جنوده بترك السواد شعار العباسيين واتخذ اللون الأخضر شعار العلويين(١).

وقد نشأ على هذا نشأة صالحة، وكان على جانب كبير من الورع والتقوى وطول الباع في العلم، قيل يوماً للشاعر أبى نواس:" علام تركت مدح على بن موسى والخصال التى تجمعن فيه؟ فقال : لا أستطيع مدح إمام كان جبريل خادماً لأبيه، والله ما تركت ذلك إلا إعظاماً له ، وليس قدر مثلى أن يقول في مثله:

قيل لى أنت أحسن الناس طراً ... فى فنون من الكلم النبيه
فعلام تركت مدح ابن موسى ... والخصال التى تجمعن فيه؟
قلت: لا استطيع مدح إمام ... كان جبريل خادماً لأبيه

ومن المرجح أن يكون المأمون قد أقدم على هذه الخطوة مدفوعاً في ذلك إلى محاولة كسب رضاء العلويين باعتبار أنهم أحق من العباسيين بها،

---

(١) انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٨ ص ٥٥٤ ، ٥٦٨ ، ابن طباطبا: الفخرى ، ص ٢١٩ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٦٥ ، ٣٦٦.

أم أن الدوافع السياسية هى التى دفعته إلى البيعة لعلى الرضا. وهى الدوافع التى أملاها عليه وجوده بخراسان بين أهلها أصحاب الفضل عليه حتى آلت الخلافة إليه ، فهو بهذا إنما كان يعمل على إرضاء ميولهم(١).

على أننا نلاحظ أن المأمون لم يكن مخلصاً في هذا الأمر فقد تراجع عن كل هذه الإجراءات عندما دعته الحاجة إلى ذلك. فإن أهل العراق عندما بلغهم نقل الخلافة إلى العلويين ثاروا ورفضوا مبايعة على بن موسى الكاظم، كما رفضوا خروج الخلافة عن العباسيين، بل نجد اكثر من هذا قاموا بخلع الخليفة المأمون وبايعوا عمه إبراهيم بن المهدى بالخلافة ولقبوه بالمبارك(٢).

وتذكر المصادر التاريخية(٣) ان أخبار هذه الفتنة التى قام بها العراق لم تصل إلى مسامع المأمون فقد كان الفضل بن سهل يعمل على إخفائها عنه، حتى اننا نجد أن القائد هرثمة بن أعين عندما حاول الوصول إلى المأمون بمرو ليطلعه عليها، دبر له الفضل حيلة لقتله(٤). لكن المأمون علم بأمر هذه الفتنة من على الرضا نفسه، فأفاق لنفسه وخرج من مرو قاصداً مدينة طوس، ليستمد القوة بالصلاة على ضريح والده هارون الرشيد. وفى الطريق قام بقتل الفضل بن سهل حيث أمر بعض حراسه بذلك فهجموا عليه وقتلوه وذلك في شعبان سنة ٢٠٢هـ/٨١٧ م بمدينة سرخس وهى مسقط رأس الفضل بن سهل وأسرته(٥).

---

(١) أنظر التفاصيل فى : سميرة الليثي : جهاد الشيعة ، ص ٣٤٤ ، ٣٦٣ .
(٢)انظر : اليعقوبى : تاريخه ، ٢ ص ٤٥٠- ٤٥١ ، ابن الأثير: الكامل جـ ٥ ص ٤٢٨.
(٣)انظر الطبرى : تاريخ الرسل والملوك، جـ ٨ ص ٥٢٨ ، ابن خلدون: العبر جـ ٣ ص ٢٩٧، ٢٩٨.
(٤)الطبرى : المصدر السابق ، جـ ٨ ص ٥٤٣ ، ابن الأثير: المصدر السابق ، جـ ٥ ص ٤٢٤ ، ٤٢٥. وقتل هرثمة فى ذى القعدة سنة ٢٠٠هـ.
(٥)ابن الأثير : الكامل ، جـ ٥ ص ٤٤٥ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان جـ ٣ ص ٢١٢ ، وقيل أن مقتل الفضل كان فى سنة ٢٠٣ هـ .

وتضيف الرواية التاريخية أن عليا الرضا لم يلبث أن مات في مدينة طوس، عندما بلغها نتيجة مرض أصيب به، وإن كانت الشيعة تتهم الخليفة المأمون بقتله وذلك بأن دس له سماً في شراب أو عنب. ودفن على الرضا بجوار قبر الرشيد[1]. وسرعان ما قامت حوله مدينة مشهد التى حلت محل مدينة طوس، وتعتبر تلك المدينة من اهم المدن المقدسة بالنسبة للشيعة[2].

على أيه حال فقد زالت الأسباب التى دفعت أهل العراق إلى قيامهم بالثورة ضد الخليفة المأمون . فقرر العودة إلى بغداد التى وصلها عام ٢٠٤هـ/٨١٩ م حيث احتفى به الناس وأقبلوا على مبايعته. وعفا عن عمه إبراهيم بن المهدى وعزل الحسن بن سهل عن ولاية العراق، ثم أمر الناس بلبس السواد شعار العباسيين مرة أخرى وهكذا تخلص المأمون من بنى سهل[3]، وهذا يذكرنا بموقف الرشيد من أسرة البرامكة.

الأسرة الطاهرية :

تنسب الأسرة الطاهرية إلى مؤسسها طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق بن ماهان[4] البوشنجى[5] من نسل رستم بن دستان الشديد ملك الفرس. أما من حيث الانتماء والموالاة فهي تنتمي إلي قبيلة خزاعة الأزدية اليمنية[6]. ويروي طاهر بن الحسين جانبا من تاريخ حياته وحياة أسرته فيقول: "خرجت من خراسان وأنا رجل من أهلها إن لم أكن من أوضعهم

(١)انظر اليعقوبى : تاريخه ، جـ ص ٤٥٣ ، ابن طباطبا : الفخرى ، ص ٢١٨ .
(٢)القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٣٩٢ ، ٤١١ .
(٣)انظر : اليعقوبى : تاريخه ، جـ٢ ص ٤٥٣ ، ٤٥٤ . المسعودى: مروج الذهب جـ ٤ ص ٢٨ . ابن عمرانى : الأنباء ، ص ٦١ .
(٤)ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٢٠١ .
(٥)بوشنج : هى إحدى مدن خراسان .
(٦)ابن قتيبة : المعارف ص ٤١٩،المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٣٠٠ .

حالا، وليس بخراسان أهل بيت من بيوتاتها، ولا أهل نعمة إلا بيننا وبينهم معاشرة ومخاتنة أو مصاهرة ومجاورة فهذا توسطنا بين القوم(١).

وظهر طاهر علي مسرح الأحداث خلال الصراع بين الأمين والمأمون، فقد كان قائدا لجيوش المأمون، وعلي الرغم من النصر الذي أحرزه لصالح المأمون، إلا أن المأمون غضب عليه وجفاه بسبب إقدامه علي قتل الأمين بدون إذنه وعلي غير رضاه. لذلك عزم المأمون علي الانتقام منه، وقد ظهر ذلك كثيرا علي فلتات لسانه(٢)، فيذكر أن طاهر بن الحسين دخل علي المأمون يوما، فلما رآه المأمون تغرغرت عيناه بالدموع فسأله طاهر عما يبكيه فأجابه بقوله:

"أبكي لأمر ذكره ذل وستره حزن ولن يخلو أحد من شجن" فلما أنفض المجلس سأله أحد خدمه عن حقيقة الأمر فأفصح له المأمون عما جاش بصدره من تذكره لأخية الأمين وما فعله به طاهر بن الحسين، وصرح له بعزمه علي الانتقام منه حيث قال له: "لن يفوت طاهر مني ما يكره"(٣). غير أن المأمون أرجا عقاب طاهر وآثر التأني حتي يجد الفرصة المناسبة والمبررات الكافية لذلك، كي لا يتهم بالغدر لمن ناصروه ونصروه.

وكان طاهر قد تولي إدارة الأقاليم التي استولي عليها من الأمين(٤)، فلما انتهت الفتنة واستقر الأمر هناك بعث المأمون الحسن بن سهل إلي بغداد وكتب إلي طاهر يأمره بتسليم تلك الأقاليم للحسن. وكلفه بالتوجه إلي بلاد

---

(١) ابن طيفور: بغداد ص ٦١ ، ٦٢ .
(٢) انظر : المسعودى :مروج الذهب جـ ٣ ص ٤٢٢ ، ٤٢٤ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ٤٠٨ ، ٤٥٤ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ .
(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ٥٧٨ ، ٥٧٩ ،ابن الأثير : المصدر السابق جـ ٥ ص ٤٥٤ .
(٤) وتشمل كور الجبال فارس والأهواز والبصرة والكوفة والحجاز واليمن ، الطبرى تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ص ٥٢٧ .

الشام لإخماد ثورة نصر بن شبث العقيلي القائمة بحلب آنذاك، وعقد له علي ولاية الموصل والجزيرة وبلاد الشام والمغرب[١].

لكن طاهر لم يتقبل هذا الأمر بالرضا، بل شعر بأن ذلك أمرا مهينا له، حيث كان يرغب في الاستقرار ببغداد وإدارة القسم الغربي نيابة عن الخليفة، لذلك أعلن رفضه وتذمره وقال للحسن مستنكرا:" حاربت خليفة وسقت الخلافة إلي خليفة وأؤمر بمثل هذا، وإنما ينبغي أن توجه لهذا قائدا من قوادي"[٢].

ومع ذلك اضطر طاهر إلي تنفيذ الأمر، وسار إلي بلاد الشام، فوصل الرقة في جمادي الأولي سنة ١٩٩هـ/٨١٤م[٣]، واتخذها عاصمة ومقرا له وظل هناك طيلة ست سنوات، إلي أن استدعاه المأمون للقدوم إليه في بغداد وقت عودته من مرو فالتقيا بالنهروان ودخلا سويا إلي بغداد في منتصف صفر سنة ٢٠٢هـ/٨١٩م[٤].

وفي بغداد ظل طاهر مبعد عن ممارسة أي عمل لمدة عام كامل، ثم عينه المأمون رئيسا للشرطة في المحرم سنة ٢٠٥هـ/٨٢٠م، فأحس بضعف مركزه وتدني حظوته لدي الخليفة، فترك مجالسته، ثم نما إلي علمه برغبة الخليفة في الإنتقام منه ثأراً للأمين، فخشي علي نفسه وعزم علي مغادرة بغداد والبعد عن حضرة الخليفة[٥].

---

(١) الطبرى: المصدر السابق ، جـ ٨ ص ٥٢٧، ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ٤١٢ .
(٢) ابن طيفور : بغداد ص ١٨ ، الطبرى : المصدر السابق جـ ٨ ص ٥٧٩، ٥٨٠.
(٣) الطبرى : المصدر السابق جـ ٨ ص ٥٢٨ .
(٤) المصدر السابق جـ ٨ ص ٥٧٤ ، ٥٧٧ ، ابن الأثير: المصدر السابق جـ ٥ ص ٤٥٢ .
(٥) ابن طيفور : بغداد ص ١٣، الطبرى: تاريخ الرسل جـ ٨ ص ٥٧٨، ٥٧٩، ابن الأثير: الكامل جـ ٥ ص ٤٥٤ ، ٤٥٥ .

وكان أحمد بن أبي خالد الأحول[١] وزيرا للمأمون آنذاك وصديقا لطاهر ابن الحسين أيضا، فتولي الوساطة بين الخليفة وطاهر، فسعي لدي الخليفة بأن يولي طاهر خراسان والمشرق، غير أن الخليفة كان يساوره الشك وعدم الثقة بطاهر ويخشي تمرده وخلع طاعته، فتعهد له وزيره أحمد الأحول بضمان ولائه وطاعته وتبعيته المطلقة له، فوافق المأمون، وغادر طاهر بغداد متوجهاً إلى خراسان في ذي القعدة سنة ٢٠٥هـ /٨٢٠م[٢] وزيادة في الاحتياط وهب أحمد الأحول خادماً لطاهر، وأمره بمراقبته ومتابعة أخباره وقتله إذا ما بدرت منه آية محاولة عدائية ضد الدولة [٣].

وبدأ طاهر يفكر في الاستقلال بخراسان والمشرق منذ أن تولى إمارتها، فلم يمض على ولايته سوى سنة ونصف السنة حتى قطع الخطبة باسم الخليفة وألغي الدعاء له بها[٤]، فيذكر ابن طيفور أن طاهرا "كان يتمني أن يخطب علي منبر مرو، فوليها سنة خمس وست ومائتين وخطب سنة سبع لم يصل بالناس إلي ذلك اليوم[٥]، فإنه صعد المنبر فحمد الله وأثني عليه، ولم يدع للمأمون"[٦].

وكان كلثوم بن ثابت النخعي[٧] صاحب البريد بخراسان شاهدا لتلك الصلاة، فبعث علي الفور بتلك الأخبار إلي الخليفة، فاشتاط غضبا، واستدعي

---

(١) أحمد بن أبى خالد : فارسى من أهل الشام، مولى لبنى عامر ابن لؤى ، تولى الوزارة للمأمون بعد الحسن بن سهل ، وكان سيئ السيرة ، توفى سنة ٢١٠هـ. ابن طيفور: المصدر السابق ص ١١٩ ، ١٢٤، ابن طباطبا : الفخرى ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٢) ابن طيفور : المصدر السابق ص ١٧، الطبرى: المصدر السابق جـ ٨ ص ٥٧٩، ابن الأثير: المصدر السابق جـ ٥ ص ٤٥٥ .

(٣) ابن طباطبا : الفخرى ص ٢٢٤ .

(٤) الكرديزى : زين الأخبار ص ٢١٥ ، ابن مسكويه : تجارب الأمم جـ ٦ ص ٤٥٥

(٥) ويبدو أن الخليفة المأمون عين طاهر على الحرب والخراج فقط ، ولم يجعل له إمامة الصلاة خشية تحريض الناس على خلع الطاعة .

(٦) ابن طيفور : بغداد ص ٦٤ ، وانظر : اليعقوبى : تاريخه جـ ٢ ص ٤٥٧ ، ابن مسكويه : المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

(٧) النخعى : نسبة إلى النخع بطن من مذحج الأزدية اليمنية. السمعانى : الأنساب جـ ٥ ص ٤٧٣ .

وزيره أحمد الأحول وحمله مسئولية غدر طاهر وأتهمه بالتواطؤ معه وحصوله علي رشوة منه مقابل توليته خراسان حيث قال له: "بعتني بثلاثة آلاف ألف درهم أخذتها من طاهر"(١) وأمره بالتوجه فورا إلي خراسان ليأتي إليه بطاهر حيا أو ميتا، وبينما أحمد يعد العدة للرحيل حتي وصلت الأنباء بموت طاهر بن الحسين(٢)، وقيل أن أحمد الأحول بعث جيشا بقيادة محمد بن فرخ العمركي وأمره بقتل طاهر، فلما وصل خراسان أقام بها شهرا ثم سقاه سما فمات(٣).

أما الرأي الأرجح والأقرب إلي الصحة أن خادم طاهر هو الذي دس له السم في الطعام في نفس اليوم الذي قطع فيه الدعاء والخطبة للخليفة تنفيذا لأمر الوزير أحمد الأحول(٤)، وكان ذلك في جمادي الأولي– وقيل الآخرة– سنة٢٠٧هـ/٨٢٢م(٥). ولما علم المأمون بذلك اغتبط وقال: "لليدين والفم! الحمد لله الذي قدمه وأخرنا"(٦). ورضي المأمون عن وزيره ابن ابي خالد واعظم شأنه(٧).

وعلي الرغم مما سبق ذكره، فقد أقر الخليفة المأمون طلحة بن طاهر علي أعمال أبيه بخراسان والمشرق عملا برأي وزيره(٨)، وقد أثبت طلحة ولاءه وإخلاصه للخليفة منذ موت أبيه لأنه أيد صاحب البريد علي إخبار

---

(١) اليعقوبى: المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .
(٢) الطبرى : تاريخ الرسل ، جـ ٨ ص ٥٩٥ ، ابن مسكويه : المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ٥ ص ٤٦٨ ، ٤٦٩ .
(٣) اليعقوبى: المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٤٥٧ .
(٤) ابن طباطبا : الفخرى ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ .
(٥) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٨ ص ٥٩٥ ، الكرديزى : زين الأخبار ص ٢١٥، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٢٠٥ .
(٦) الطبرى : المصدر السابق نفس الجزءوالصفحة ، ابن مسكويه : تجارب الأمم جـ ٦ ص ٤٥٥.
(٧) ابن طباطبا : المصدر لاسابق ، نفس الصفحات .
(٨) الطبرى : المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

الخليفة بما فعل طاهر، وأشار عليه بإبلاغه بموته، وكافأه علي عمله، وظل طلحة واليا علي خراسان والمشرق حتي توفي سنة٢٣١هـ/٨٢٨م فخلفه عليها أخوه عبد الله بن طاهر(١).

ومن الواضح أن الخليفة المأمون كان يعلم كل شئ عن شخصية عبد الله بن طاهر، وكان يثق به ويطمئن إليه ويقول عنه: "غرس يدي وخريج أدبي"(٢)، والواقع أن عبد الله كان جديرا بثقة الخليفة حيث كان مثالا طيبا خلقا ودينا وسياسة، ولم يكن مغرورا أو طامعا كغيره من الزعماء، الفرس، بل علي العكس كان متواضعا مخلصا للخليفة ونظام الحكم عارفا لقدر نفسه(٣)، معترفا بفضل العباسيين عليه وعلي أهل بيته حيث يقول"إنما نبت شعرنا علي رؤوسنا ببني العباس"(٤)، لذلك أقره المأمون علي خراسان والمشرق خلفا لأخيه طلحة، فظل عليها حتي توفي في ربيع الأول سنة٢٣٠هـ/٨٤٤م(٥).

وقد قام العرب بثورات عديدة في الأقاليم المختلفة بسبب أحداث الصراع بين الأمين والمأمون من جهة، وبسبب تسلط الفرس وإزدياد نفوذهم من جهة أخري.

ففي مصر علي سبيل المثال انقسم الناس إلي فرق ثلاث، أولها تؤيد الأمين، والثانية تؤيد المأمون، والثالثة يعمل أصحابها لحسابهم الخاص(٦).

---

(١) ابن طيفور : بغداد ص ٧٢ ، الكرديزى : المصدر السابق ص ٢١٥ ، ٢١٦ .
(٢) ابن طيفور : المصدر السابق ص ٩١ .
(٣) من أمثلة ذلك أنظر : الجاحظ : التاج فى أخلاق الملوك ص ٨٢ ، ٨٣، ابن الأثير: الكامل جـ ٥ ص ٤٥٧، ٤٦٥ .
(٤) ابن طيفور : بغداد ص ٩١ ، وانظر أيضاً : ابن مسكويه : تجارب الأمم، جـ ٦، ص ٤٦٢ ، ٤٦٣ .
(٥) اليعقوبى : تاريخه جـ ٢ ص ٤٦٣، الكرديزى :زين الأخبار ص ٢١٥ .
(٦) انظر الكندى : ولاة مصر وقضاتها ، ص١١٩ ، ١٢٠.

وزاد من تعقد الأمور في مصر إنه قد وصل إلي الإسكندرية جماعة من الأندلسيين كانوا ممن ثاروا علي الأمير الحكم بن هشام الأموي في قرطبة بالأندلس، وهي الفتنة التي عرفت في التاريخ باسم فتنة أهل الربض(١). كما عرف الحكم باسم الحكم الربضي.

وأرغم هذا الأمير عددا كبيرا من الثوار علي الخروج من الأندلس، فاتجهت جماعة منهم في أربعين مركبا إلي الإسكندرية، فوصلوها في سنة١٩١هـ/٨١٤م، وقد ظلت مراكبهم خارج الميناء في أول الأمر، لكنهم سرعان ما استولوا علي المدينة بمعاونة أعراب البحيرة، وأسسوا فيها إمارة أندلسية مستقلة عن الخلافة العباسية دامت أكثر من عشر سنوات(٢).

وقد أرسل المأمون الجيوش لطردهم من الإسكندرية دون جدوي، حتي أنهم اعتبروا أخوف علي المدينة من الروم. ثم قرر المأمون أن يرسل ضدهم قائده عبد الله بن طاهر بن الحسين، الذي قصد الإسكندرية سنة٢١٢هـ/٨٢٧م وحاصر المدينة بضع عشرة ليلة وبعث إليهم يهددهم بالحرب إن لم يدخلوا في الطاعة. وأخيرا تم الإتفاق بين الجانبين علي أن يغادر هؤلاء الإسكندرية وتعهدوا بعدم الاتجاه إلي الأراضي التابعة للعباسيين، واشترط عليهم أبن طاهر أن لا يأخذوا في مراكبهم أحدا من مصر. فاتجهوا إلي جزيرة كريت(٣)، وكانت تابعة للدولة البيزنطية واستولوا عليها بقيادة أبي حفص عمر البلوطي، وأصبحت كريت منذ ذلك الوقت مركزا من مراكز المواجهة مع الدولة البيزنطية.

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٢٦، ١٢٥ ، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة،جـ ٢ص ١٥٨ .
(٢) الكندى: المصدر السابق ، ص ١٤٤، أبو المحاسن : المصدر السابق، جـ ٢ ص ١٩٢ .
(٣) الكندى : ولاة مصر ، ص ١٢٠. أبو المحعاسن : النجوم الزاهرة، جـ ٢ ص ١٥٨.

علي أن الأمور لم تستقر في مصر بعد ذلك إذ سرعان ما قام الأقباط في سنة ٢١٦هـ/٨٣١م بثورة خطيرة ظلت ثمانية أشهر وامتدت في أنحاء كثيرة من الوجه البحري بسبب تعسف الولاة وتشددهم مع الأقباط في جمع الجزية والضرائب. واضطر الخليفة المأمون أن يتوجه بنفسه إلى مصر ليعمل علي تهدية الأحوال، وعلي الرغم من إنه حاول ذلك باللين في بداية الأمر حيث وسط بينه وبينهم أحد الأساقفة، ولما فشلت تلك الوساطه اضطر إلي استخدام الشدة لإخماد ثورة الأقباط[١].

فعهد إلي الأفشين بمحاربتهم وخاصة قبط البشرود من أهل الحرف فقتل منهم الأفشين عددا كبيرا، وسباهم فنزلوا علي حكم المأمون، وتروي المصادر أن المأمون قد استفتي في أمرهم فقهياً مالكيا بمصر يدعي الحارث بن مسكين فقال: "إن كانوا قد خرجوا لظلم نالهم فلا تحل دماؤهم وأموالهم فقال المأمون: أنت تيس ومالك أتيس منك، وهؤلاء كفار لهم ذمة إذا ظلموا تظلموا إلي الإمام، وليس لهم أن يستنصروا بأسيافهم، ولا يسفكوا دماء المسلمين في ديارهم"[٢].

كذلك قام أهل الشام والجزيرة بعدة ثورات ضد النفوذ الفارسى، وقد تمكن القائد عبدالله بن طاهر من القضاء على هذه الثورات[٣].

كما قام الزط بثورة في جنوب العراق، ويرجع أصل هؤلاء الزط إلي بلاد السند ثم انتقلوا إلي سواحل الخليج العربي[٤]، وتمكن هؤلاء من فرض

---

(١) انظر التفاصيل فى : الكندى : المصدر السابق ، ص ١٥٠ ، ١٥١. أبو المحاسن: المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢١٥، ٢١٦ .

(٢) اليعقوبى : تاريخه جـ ٢ ص ٤٦٦، وانظر : الكندى : ولاة مصر ص ٣٥٧.

(٣) انظر التفاصيل فى : اليعقوبى : تاريخه ، جـ ٢ ص ٤٦٠. ابن الأثير: الكامل جـ ٥ ص ٤١٢ ، ٤١٣، ٤٢٠ . ابن خلدون : العبر، جـ ٣ ص ٢٩٣ ، ٢٩٧ .

(٤) انظر : البلاذرى : فتوح البلدان ، جـ ٢ ص ٤٦٢ . ابن الأثير: الكامل جـ ٥ ص ٤٥٥ . السيد عبد العزيزسالم : دراسات فى تاريخ العرب، جـ ٣ ص ٨٧ ، ٨٨ .

سيطرتهم علي جنوب العراق، وأرسل إليهم العباسيون عددا من الحملات للقضاء عليهم، حتي تمكن أخيرا القائد العربي عجيف بن عنبسة من الانتصار عليهم ثم قام بنفيهم إلي منطقة الثغور في آسيا الصغري، ومن هناك انتشروا في مختلف البلاد الأوربية[١].

ففي جمادي الآخرة ١٩٩هـ/٨١٤م، تزعم محمد بن إبراهيم العلوي المعروف بابن طباطبا[٢] أول ثورة علوية ضد المأمون ونظام الحكم. ومن أهم الأسباب التي دعت ابن طباطبا لإعلان الثورة، إنه نقم علي المأمون بقاءه بمرو خراسان واستسلامه للفرس والسماح لهم بالسيطرة علي شخصيته وعلي مقاليد أمور الدولة يسيرونها وفق أغراضهم "فغضب لذلك بالعراق من كان بها من بني هاشم ووجوه الناس، وأنفوا من غلبة الفضل بن سهل...فكان أول من خرج بالكوفة ابن طباطبا"[٣]. وأعلن ابن طباطبا دعوته بالبيعة بالزعامة للرضا من آل محمد والعمل بالقرآن والسنة. [٤]

لكن أحداث تلك الثورة تثبت أن ابن طباطبا لم يكن جديرا بالزعامة السياسية والعسكرية، إما لمرضه أو لعدم خبرته، كما يبدو إنه لا يوجد في تلك الأثناء زعيم علوي يتولي قيادة الثورة، لذلك سوف نري أن القيادة الفعلية للثورة كانت بيد زعيم عربي من شيبان الربعية هو السري بن منصور المعروف بأبي السرايا[٥].

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ٦ ص ١٦ ، ١٢٤ .
(٢) محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن الحسن بن على بن أبى طالب .ابن الأثير : الكامل جـ٥ ص ٤١٦ .
(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٨ ص ٥٢٨ ، ٢٢٩ .
(٤) ابن الأثير : الكامل، جـ ٥ ص ٤١٦، مجهول : العيون والحدائق جـ٣ ص ٣٤٥، ٣٤٦.
(٥) السرى بن منصور الشيبانى من بنى هانئ بن قبيصة بن هانىء بن مسعود بن عامر ابن عمرو بن أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان الربعية الترارية : الطبرى: المصدر السابق جـ٨ ص ٥٢٨ ، ابن الأثير : المصدر السابق جـ ٥ ص ٤١٦، ٤١٧.

علي أية حال، فقد لقيت الثورة العلوية قبولا عظيما من أهل الكوفة فقد توافد أعرابها بأعداد كبيرة وأعلنوا ولاءهم وتأييدهم للثورة، وتمكن الثائرون من السيطرة علي قصر الإمارة وطرد الأمير العباسي العباس بن موسي منه، وتم لهم الاستيلاء علي الكوفة(١).

وفي اليوم التالي من بدء الثورة (أول رجب ١٩٩هـ) توفي ابن طباطبا الزعيم الروحي للثورة، فأختار أبو السرايا زعيما علويا آخر، كي تظل الثورة ذات صبغة علوية حرصا منه علي نجاحها وتأييد الشيعة لها، وتعمد أن يكون الزعيم حدثا صغيرا كي تظل القيادة الفعلية بيده ، فوقع اختياره علي محمد بن محمد زيد بن علي بن الحسين(٢).

وقد اشتبك أبو السرايا مع الجيش العباسي في عدة معارك كانت له الغلبة والظفر، وظل مسيطرا علي الكوفة؛ وألغي العملة العباسية وسك عمله بأسمه(٣) ثم عزم علي التوسع وبسط سيطرته علي العراق وبلاد الحجاز، فبعث جيشا إلي البصرة، وآخر إلي واسط، وتمكن الجيشان من الإستيلاء علي المدينتين في سهولة ويسر(٤). كما بعث حسين الأفطس العلوي(٥) إلي مكة، ومحمد بن سليمان العلوي(٦) إلي المدينة فاستوليا عليهما بدون قتال(٧).

---

(١) الطبرى : المصدر السابق ، جـ ص ٥٢٩، ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ٥ ص ٤١٧.

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل ، جـ ٨ ص ٥٢٩ ، ٥٣٠ . ابن الأثير: الكامل، جـ ٥ ص ٤١٧، ٤١٨، مجهول : العيون والحدائق جـ ٣ ص ٣٤٦ .

(٣) الطبرى : المصدر السابق ، جـ ٨ ص ٥٣٠ ، ابن كثير: البداية والنهاية جـ ١٠ ص ٢٤٤.

(٤) الطبرى المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة، ابن الأثير: المصدر السابق، جـ ٥ ص ٤١٨.

(٥) حسين الأفطس بن حسن بن على زين العابدين بن الحسين .

(٦) محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن على .

(٧) الطبرى: المصدر السابق، جـ٨، ص٥٣٠، ٥٣٢، ابن الأثير : المصدر السابق، جـ٥، ص٤١٨، ٤١٩، ابن كثير: المصدر السابق، جـ١، ص٢٤٤، ٢٤٥.

وظل أبو السرايا قائدا للثورة العلوية ومسيطرا علي الكوفة لمدة عشرة أشهر، وفشل الأمراء العباسيين في وقف نشاطه وإنهاء ثورته، فاضطر الحسن بن سهل نائب الخليفة المأمون" في المغرب الإسلامي" – إلي الاستعانة بالقائد العربي المخضرم هرثمة بن أعين، الذي تمكن من هزيمة أبي السرايا وإعادة الكوفة إلي السيادة العباسية في منتصف المحرم ٢٠٠هـ/٨١٥م[١]، وتم للجيش العباسي استعادة البصرة وكافة مدن العراق[٢].

ومع ذلك ظلت الثورات العلوية قائمة في أقاليم أخري، فقد استولي إبراهيم بن موسي الكاظم علي اليمن، وعاث بها خسائر كبيرة من الأموال والأرواح حتي لقب بالجزار"لكثرة من قتل باليمن من الناس وسبي وأخذ الأموال"[٣].

وفي الحجاز، انتهج حسين الأفطس نفس سياسة عامل اليمن، فقد أكثر السلب والنهب والتدمير، ففر منه كثير من الشيعة وانحرفوا عنه، وتوجهت أنظارهم إلي محمد بن جعفر الصادق، فأختاروه زعيما لهم وبايعوه بالخلافة في الحجاز وذلك في ربيع الآخر ٢٠٠هـ/٨١٥م ولقب بأمير المؤمنين، وكان الزعيم العلوي الوحيد الذي لقب بذلك[٤].

---

(١) الطبرى: تاريخ الرسل، جـ٤ ص٥٣٥، ابن كثير البداية والنهاية، جـ١٠، ص٢٤٥.
(٢) اليعقوبى : تاريخه جـ٢، ص٤٢٧، وكان زيد بن موسى الكاظم قد استولى على البصرة، فنهب أموالها وأحرقها وأسر من بها من العباسيين، لذلك عرف يزيد النار، انظر الطبرى: المصدر السابق، جـ٨، ص٥٣٥، ٥٣٧.
(٣) الطبرى : المصدر السابق، جـ٨، ص٥٣٦، ابن الأثير: الكامل ، جـ٥، ص٤٢٢.
(٤) الطبرى : المصدر السابق، جـ ٨ ص ٥٣٠، ٥٣٢، ابن الأثير: المصدر السابق جـ ٥ ص ٤١٨، ٤١٩ ، ابن كثير : المصدر السابق جـ ١٠ ص ٢٤٤ ، ٢٤٥.

لكن خلافة محمد بن جعفر لم تدم طويلا، فقد حوصر بمكة حصارا شديدا من قبل الجيش العباسي، فاضطر إلي عرض الصلح وطلب الأمان وذلك في العشرين من ذي الحجة ٢٠٠هـ/٨١٥م وجيئ به إلي الخليفة المأمون بخراسان فعفا عنه وأحسن إليه وأسكنه بجرجان،فلم يزل بها حتي توفي٢٠٣هـ/٨١٨م(١) وانتهت الثورة العلوية بالحجاز ورحل عنها العلويون وتفرقوا في البلاد(٢).

والواقع أن الخليفة المأمون كان متعاطفا مع العلويين حريصا علي أمنهم وسلامتهم راغبا في التودد لهم والإحسان إليهم، علي الرغم من الثورات التي أعلنوها ضده، فقد أحتضن جميع الزعماء، الثائرين وقربهم إليه وعفا عنهم(٣) وقد توج علاقته بالبيعة لعلي الرضا بن موسي الكاظم بولاية العهد من بعده وكان ذلك في رمضان٢٠١هـ/٨١٦م(٤) وأعلن للناس أن الرضا أفضل الهاشميين وأجدرهم بالخلافة من بعده، وأمر الولاة والعمال بالدعاء له علي المنابر وسك العملة باسمه(٥) وارتبط معه برباط الصهر والنسب حيث زوجه من أبنته أم حبيبه، وزوج ابنته الأخرى أم الفضل لمحمد بن علي الرضا(٦).

ومات علي الرضا بطوس في آخر صفر٢٠٣هـ/٨١٨م(٧) خلال

(١) اليعقوبى : تاريخه جـ ٢ ص ٤٢٨، المسعودى : مروج الذهب : ، جـ ٤ ص ٢٧ .
(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٨ ص ٥٣٩ ، ٥٤٠.
(٣) ابن طباطبا: الفخرى ص ٢٢٠.
(٤) الطبرى : المصدر السابق ، جـ٨ ص ٥٥٤، ابن الأثير : الكامل جـ٥ ص ٤٣١ .
(٥) اليعقوبى : المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة، المسعودى: المصدر السابق، جـ ٤ ص ٢٨، ابن طباطبا : المصدر السابق، ص ٢١٩ ، السيوطى: تاريخ الخلفاء ص ٣٦٥ ، ٣٦٦ .
(٦) أم حبيبة بنت المأمون من زوجة ، وأم الفضل من زوجة أخرى . انظر : المسعودى: المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .
(٧) الطبرى : تاريخ الرسل ، جـ ٨ ص ٥٦٨ ، وقيل مات فى رمضان، وقيل فى ذى القعدة وقيل فى ذى الحجة . انظر البيرونى: الآثار الباقية، ص ٣٣٢ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٤٣٢ .

مرافقته للمأمون في رحلة العودة من مرو إلي بغداد، فحزن عليه المـأمون حزنا شديدا وصلي عليه ودفنه بجوار قبر أبيه هارون الرشيد هناك[١].

كذلك حرص المأمون علي التفاوض مع الزعيم العلوي عبد الرحمن ابن أحمد[٢] الثائر باليمن٢٠٧هـ/٨٢٢م وإنهاء ثورته بالطرق الودية السلمية فنجح في ذلك حيث قدم إليه عبد الرحمن في بغداد فأكرمه المأمون وأحسن إليه[٣].

ومن أهم الثورات العربية بالشام ثورة نصر بن شبث العقيلي[٤] التي أعلنها بمحل إقامته وإقامة قومه بني عقيل بقرية كيسوم شمالي حلب[٥] وذلك في المحرم١٩٨هـ/٨١٣م[٦].

وكان ابن شبث من أنصار الأمين ومؤيديه وقت الصراع بينه وبين المأمون، وبمجرد أن علم بمقتله في نفس التاريخ المذكور، أعلن ثورته ضد المأمون غضبا واحتجاجا علي سياسته المتحيزة للفرس علي حساب العرب، فقد اعتبر أن مقتل الأمين وبقاء المأمون بمرو وسيطرة الفرس عليه وعلي سياسة الدولة وإدارتها نصرا للفرس وعلي حساب العرب وضد مصلحتهم[٧].

وقد أعلن ابن شبث لأصحابه أهداف ثورته وبرنامج عمله، فوضح لهم إنه لم يهدف إلي معارضة الحكم العباسي في حد ذاته، بل علي العكس

---

(١) وقد جعل المأمون قبر الرشيد وقبر على الرضا فى قبة واحدة . ولم يستطع أهل طوس التمييز بين القبرين . اليعقوبى: تاريخه ، جـ ٢ ص ٤٥٣ ، القزوينى : آثار البلاد أخبار العباد ص ٣٩٢ ، ابن طباطبا : الفخرى . ص ٢١٨.

(٢) عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب. ابن كثير: البداية والنهاية جـ ١٠ ص ٢٦١ .

(٣) الطبرى : المصدر السابق، جـ ٨ ص ٥٩٣ .

(٤) من بنى عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن قيس عيلان بن مضر. ابن حزم : جمهرة أنساب العرب جـ ٢ ص ٢٩٠ ، ٢٩١ .

(٥) اليعقوبى : تاريخه جـ ٢ ص ٢٤٥ ، ٢٥٦ . ابن خردذبة : مسالك الممالك ص ٩٧ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٥ ص ٤١٢ .

(٧) ابن الأثير : الكامل، جـ ٥ ص ٤١٢، ابن خلدون : العبر ، جـ ٣ ص ٢٩٧.

فإنه من انصارهم ومؤيديهم لكنه يهدف إلي معارضة المأمون وسياسته، ويهدف أيضا إلي الدفاع عن كيان العرب ومركزهم وسيادتهم، وقد أراد بعض أصحابة أن يختبر مدي ولاءه السياسي والمذهبي فدعاه إلي البيعة بالخلافة لأحد الأمويين أو العلويين فأبي ذلك وقال:"إنما هواي في بني العباس، وإنما حاربتهم محاماة عن العرب لأنهم يقدمون عليهم العجم"[١].

لذلك لقيت ثورة ابن شبث دعما وتأييدا من أهل الشام والجزيرة فعمت وانتشرت في ربوعها وأصبحت مصدر قلق وخطر وتهديد للخلافة العباسية والخليفة المأمون، فقد تمكن زعيمها من السيطرة علي كيسوم وما يجاورها من البلاد، ثم عبر إلي الشاطئ الشرقي لنهر الفرات واستولي علي بعض مدن الجزيرة وحاصر عاصمتها حران[٢] ويذكر اليعقوبي أن نصرا كان من أصعب القوم شوكة وأشدهم امتناعا"[٣].

وفي تلك الأثناء كان طاهر بن الحسين واليا للقسم الغربي من الدولة العباسية فأمره المأمون بتسليم الإمارة للحسن بن سهل والتوجه إلي بلاد الشام لإخماد الثورة العربية هناك، فاضطر طاهر إلي تنفيذ أمر الخليفة علي كره ومضض[٤] لذلك نجده لم يخلص النية في تلك المهمة، فقد تهاون في أمر الثورة، ولم يرغب في القتال، فبعث إلي نصر يدعوه إلي الطاعة وترك الخلاف، فلم يجبه إلي ذلك فتقدم إليه طاهر والتقوا بنواحي كيسوم، واقتتلوا قتالاً شديدا أبلي فيه نصر بلاءاً عظيما، وكان الظفر له، وعاد طاهر شبه

---

(١) الأزدى : تاريخ الموصل ص ٤٣٤ ، ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ٥ ص ٤١٢ ، ابن خلدون : المصدر السابق بنفس الجزء والصفحة .
(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ٥ ص ٤١٣، ٤٢٠.
(٣) اليعقوبي : تاريخه جـ ٢ ص ٤٤٥.
(٤) وكان طاهر يرغب فى البقاء على إمارة القسم الغربى نيابة عن الخليفة المأمون وقد شعر بأن تكليفه بقمع ثورة ابن شبث يعد إهانة له وتحقيراً لشأنه . أنظر: الطبرى: تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ٥٧٩، ٥٨٠ .

المهزوم إلي الرقة[١] وظل طاهر مقيما بالرقة حتي استدعاه الخليفة المأمون إلي بغداد فقدمها في صفر ٢٠٤هـ/٨١٩م[٢].

ثم كلف المأمون عبد الله بن طاهر بأمر الثورة[٣] فعجز هو الآخر عن إخمادها ودامت المناوشات والمصادمات بينهما خمس سنوات دون جدوي، ويئس ابن طاهر من القضاء عليها بالقوة، فلجأ إلي أسلوب التفاوض، فبعث إلي زعيم الثورة وسيطا من نفس عشيرته[٤] لكن الوسيط فشل في إقناع ابن شبث بالإذعان للصلح حيث رفض ابن شبث أن يمثل بين يدي الخليفة ويقدم له فروض الطاعة والولاء ورد عليه ردا عنيفا حيث قال" ويلي عليه! هو لم يقوم علي اربعمائة ضفدع تحت جناحه- يعني الزط- يقوم علي حلبة العرب! [٥].

وغضب الخليفة غضبا شديدا. وبعث برسالة توبيخ وتأنيب لعبد الله ابن طاهر لعدم قدرته علي إنهاء الثورة فجد ابن طاهر في الأمر وحاصر ابن شبث وقاتله عنيفا، كما عمل علي استمالة أهل الشام وكسب ودهم"ونظر في مصالح البلدان وحط عن بعضها الخراج، فلم يبقي مخالف ولا خالع إلا خرج من قلعته وحصنه[٦].

وأمام تلك الضغوط السياسية والعسكرية لم يجد ابن شبث بدا من الإذعان للصلح والتفاوض، حيث خشي علي نفسه واصحابه من النقمة التي

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٥ ص ٤١٣ .
(٢) ابن طيفور : بغداد ص ١ ، ٢ .
(٣) أورد الطبرى وابن الأثير عدة روايات عن تاريخ هذا الحدث فقيل فى رمضان ٢٠٥هـ وقيل ٢٠٦هـ ٢٠٧هـ . تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ٥٨١، الكامل جـ ٥ ص ٤٥٧ .
(٤) هو جعفر بن محمد العامرى ، من بنى عامر بن صعصعه بن بكر بن هوزان القيسية المضرية، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب جـ ٢ ص ٢٩٠ .
(٥) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ٥٩٩، ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ٤٧٣ .
(٦) اليعقوبى : تاريخه جـ ٢ ص ٤٦٠ .

ستحل بهم حال الهزيمة، فأعلن استسلامه لابن طاهر، ثم أوفده ابن طاهر إلي الخليفة المأمون ببغداد في صفر ٢١٠هـ/٨٢٥م[١] وانتهت ثورته عند هذا الحد، وعاد الأمن والاستقرار إلي بلاد الشام، وظلت حالة الأمن والإستقرار سائدة ببلاد الشام حتي العام الأخير من خلافة المعتصم ٢٢٧هـ/٨٤٢م ثم تفجرت في ذلك العام ثورة عربية بفلسطين تولي زعامتها تميم اللخمي المعروف بالمبرقع[٢]، والتي نتناولها فيما بعد.

٢- علاقات المأمون الخارجية:-

- مع البيزنطيين:-

لما استتب الأمر للمأمون بعد مقتل أخيه الأمين وجه اهتمامه نحو العدو التقليدي للدولة العباسية وهو البيزنطيين، ولكن الصراع هذه المرة اتخذ صفة جديدة هي اعتماد كل فريق علي العناصر المناوئة لعدوه داخل بلاده وتشجيعها علي القيام بالفتن والثورات، فاتصل المأمون بالقائد توماس الصقلي الخارج علي الإمبراطور تيوفيل وأمده بالمال والرجال وسعي لتتويجه إمبراطورا، ولكن الدولة البيزنطية اكتشفت سر هذه الاتصالات وتمكنت من القضاء علي تلك المؤامرة[٣].

وفي نفس الوقت كان بابك الخرمي الفارسي قد ثار علي المأمون سنة ٢٠١هـ/٨١٦م واعتصم بالأقاليم الشمالية الشرقية في منطقة حران واستقل بها عن الدولة العباسية اثنتين وعشرين سنة[٤]، واتصل الإمبراطور البيزنطي

---

(١) الطبرى : المصدر السابق ، جـ ٨ ص ٥٩٩ ، ٦٠٢، ابن الأثير: المصدر السابق، جـ ٥ ص ٤٧٤ ، ٤٧٥ .

(٢) ويعرف أيضا بأبى حرب وهو من قبيلة لخم اليمنية ، وقد لبس على وجهه برقعا كعلامة مميزة لمن يرغب فى الانضمام إليه . اليعقوبى: تاريخه ، جـ ٢ ص ٤٨٠، القرطبى: التعريف فى الأنساب ص ٢٥٠ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٦ ص ٦٩ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : دراسات فى تاريخ العرب ، جـ ٣ ص ٩١ .

(٤) انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٨ ص ٥٥٦. المسعودى: مروج الذهب ، جـ٤ ص ٢٩ . البلخى: البدء والتاريخ، جـ ٦ ص ١١٦ .

بالخرمية، وحمي اللاجئين إليه منهم. لكن الإمبراطور اكتشف أخيرا إنه هو الخاسر أمام استمزار هذا الصراع وطول أمده، فكتب إلي المأمون يطلب الصلح والمهادنة، ولما كان المأمون يطمع في الاستيلاء علي القسطنطينية فإنه لم يجبه إلي طلبه بل إنه خرج لقتال البيزنطيين في سنة ٢١٨هـ/٨٣٣م[١]، غير إنه توفي في مدينة طرسوس في آسيا الصغري، أثناء جهاده ضد الدولة البيزنطية، وهو في الثامنة والأربعين من عمره، بعد أن عهد بالخلافة من بعده لأخيه أبي إسحاق المعتصم[٢].

ومن الجدير بالذكر أن المأمون عني بفتح بلاد الشام وإخضاعها لسلطانه، وتولي بنفسه قيادة الحملات واحدة تلو الأخري، ففي المحرم سنة ٢١٥هـ/٨٣٠م خرج متوجها إلي أرض الروم فغزا الصائفة وافتتح أنقرة نصفا بالصلح ونصفا بالسيف وهرب حاكمها منها.

ثم عاود الغزو في العام التالي سنة٢١٦هـ/٨٣١م فافتتح اثني عشر حصنا، وبلغه أن تيوفيل ملك الروم قد تحرك لمهاجمة الدولة فبعث بأبنه العباس فلقيه وهزمه، فبعث تيوفيل رسولا إليه يطلب الصلح وكتب إله كتابا بدأ فيه بنفسه، فقال المأمون: لا أقرأ له كتابا يبدأ فيه بأسمه ورد الكتاب[٣]، ثم عاد تيوفيل الكرة من جديد فكتب إليه" لعبد الله غاية الناس بالشرف ملك العرب، من توفيل بن ميخائيل ملك الروم...الخ. وسأله أن يقبل منه مائة ألف دينار والأسري الذين عنده وهم سبعة آلاف أسير، وأن يدع للروم ما سبق فتحه من بلادهم ويكف عن حربهم خمس سنوات فرفض المأمون تلك

---

(١) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٨ ص ٦٢٣. ابن الأثير: الكامل ، جـ٥ ص ٤٩٨ .
(٢) الطبرى : المصدر السابق ، جـ ٨ ص ٦٤٦، ٦٥٠. ابن الأثير: المصدر السابق ، جـ٦ ص ٨ . وتوفى المأمون فى منتصف رجب سنة ٢١٨ هـ .
(٣) اليعقوبى: تاريخه ، جـ ٢ ص ٤٦٥ .

العروض وعزم علي مواصلة الفتوح(١) فعاود الغزو في سنة٢١٧هـ/٨٣٢م وحاصر حصن لؤلؤة ثم ترك قيادة الجيش لعجيف ابن عنبسه الضبي، ففتح الحصن، وأسكنه الجند، ثم غزا في العام التالي واستعد لحصار عمورية وفتحها وقال:"أوجه إلي العرب فآتي بهم من البوادي، ثم أنزلهم كل مدينة أفتتحها حتي أضرب إلي القسطنطنية"(٢) وأدرك ملك الروم الخطر الداهم فبعث رسولا من قبله إلي المأمون ودعاه إلي الصلح والتفاوض فلم يقبل، غير أن المنية عاجلت المأمون وحالت دون تحقيق أهدافه فقد توفي بعد قليل.

- مع الترك:

كان الخلفاء العباسيون قبل المأمون- قد بذلوا جهودا مضنية في سبيل بسط سيادتهم علي بلاد الترك وإخضاع أهلها لنفوذهم ونشر الإسلام بينهم، ويظهر دور العرب واضحا في ذلك من خلال الحملات التي أرسلها الخلفاء إلي تلك البلاد، حيث يتبين أن معظم القادة والجند أيضا كانوا من العرب، وقد كللت جهود الخلفاء العباسيين بالنجاح، وجني المأمون ثمار ذلك النجاح. (٣) فيذكر أن النفوذ العباسي في عهده قد تغلغل في قلب أسيا الوسطي، وأن الأتراك كانوا علي درجة كبيرة من الضعف بحيث لم تكن لهم القدرة علي مقاومة النفوذ العباسي، لذلك أثروا السلامة وركنوا إلي الصلح والتفاوض وأذعنوا بالطاعة ، وقد تتابعت حملات المأمون علي بلاد الصغد وأشروسنة وفرغانة وكللت بالنجاح وتوافد الرسل إلي بغداد لتقديم فروض الولاء والطاعة، وامتد نفوذ العباسيين في عهد المأمون إلي حدود الصين(٤).

---

(١) اليعقوبى : تاريخه ، جـ ٢ ص ٤٦٥، ٤٦٦.
(٢) المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٤٦٩ .
(٣) انظر التفاصيل فى حسن أحمد محمود : العالم الإسلامى فى العصر العباسي، ص ١٧٤.
(٤) انظر : حسن أحمد محمود : العالم الإسلامى، ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

من جهة أخري فمن الواضح أن المأمون أعجب بالعنصر التركي من خلال اتصاله بهم فحرص علي استخدامهم في إدارة بعض شئون الدولة وشئونه الخاصة أيضا، فكان لذلك أثره في الاحتكاك المباشر بين الترك والعرب، واصبح الترك عنصرا رئيسيا من عناصر المجتمع العباسي بجانب العرب والفرس. وقد استخدمهم المأمون في حراسته الخاصة فجعل طولون رئيسا للحرس وظل كذلك حتي إنتهاء خلافة المأمون وبعض خلافة المعتصم أيضا(١)، وعين بعض أهل بخاري في إدارة شرطة الفسطاط(٢)، واستعان بزعمائهم في قيادة الجيوش فعين الأفشين علي قيادة الجيش الذي بعثه لقمع فتن وثورات أهل مصر(٣)، وعين أشناس علي قيادة الجيش المحارب للروم، وعلي أية حال فمن المؤكد أن جيوش المأمون كانت تضم أعدادا كبيرة من الجند الأتراك تحت قيادة امرائهم(٤).

وكان المأمون بحق نجم بني العباس في العلوم التي أخذ منها بقسط وافر حتي أن البرامكة مع علو كعبهم في العلوم فإنهم اعتبروا أشبه بالجهلة بالنسبة له، كما كانت له مناظرات تعقد في الشتاء والصيف. وقد اهتم المأمون بترجمة الكتب العلمية الأجنبية إلي اللغة العربية. كما أنشأ في بغداد دار الحكمة أو دار العلم في سنة ٢١٥هـ/٨٢٠م جمع فيها عددا كبيرا من النساخ والمترجمين وألحق بها مكتبة عرفت بخزانة المأمون أو خزانة الحكمة، وكانت تعتبر من أكبر مكتبات بغداد(٥). وقد أفاض السيوطي في

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٨ ص ٦.
(٢) الكندى : ولاة مصر ، ص ١٥١ ، ١٥٢ .
(٣) المصدر السباق ، ص ١٤٩ .
(٤) انظر : ابن الأثير : الكامل ، جـ ٦ ص ٢٢٩، عبد البارى الطاهر: فرسان الخلافة، ص ١٣٨.
(٥) ابن النديم : الفهرست ، ص ١٤٧ . ابن طباطبا : الفخرى، ص ٢١٦. السيد سالم : المرجع السابق ، ص ٩١ ، ٩٠ .

وصف المأمون فقال[١] "قرأ العلم في صغره، وسمع الحديث من أبيه وهشيم وعباد ابن العوام وطبقتهم. وأدبه اليزيدي، وجمع الفقهاء من الآفاق وبرع في الفقه والعربية وأيام الناس ولما كبر عني بالفلسفة وعلوم الأوائل ومهر فيها فجره ذلك إلي القول بخلق القرآن. وكان أفضل رجال بني العباس حزما وعزما وحلما وعلما ورأيا ودهاءا وهيبة وشجاعة وسؤددا وسماحة وله سيرة طويلة ولم يل الخلافة من بني العباس أعلم منه، وكان فصيحا مفوها".

---

(١)تاريخ الخلفاء ، ص ٣٦٤ ، ٣٦٥ .

الفصل الرابع

الانحدار إلى الهاوية وتغلغل العناصر الأجنبية

أولاً : الخليفة المعتصم بالله :

١- نفوذ الترك وإنشاء سامرا كعاصمة جديدة.

٢- أهم الأحداث الداخلية والخارجية في عهده.

ثانياً : الخليفة الواثق بالله :

١- سياسته الداخلية وأهم الأحداث في عهده.

٢- سياسته الخارجية ووفاته.

أولا: الخليفة أبو إسحاق المعتصم بالله:

هو أبو اسحاق محمد بن هارون الرشيد، وامه أم ولد تركية اسمها ماردة، ولد في رجب سنة ١٧٩ هـ ونشأ على حب القتال والفروسية فصار في خلافة أخيه المأمون قائدا عسكرياً مبرزاً وفارساً مغواراً (١)، ويبالغ المؤرخون في وصف قوته البدنية وشجاعته الفائقة فيذكرون أنه أشجع بني العباس قاطبة فلم يكن فيهم اشجع منه ولا أشد قلباً ولا أتم تيقظاً في الحروب منه، وكان يلوى العمود الحديد حتى يصير طوقاً، ويشد على الدينار بأصبعه فيمحو كتابة، وكانت همته في الحروب مناسبة لجبلته ، وأنه لكم اسداً بيده فصرع، وغير ذلك من الحكايات التى تنسج حول شجاعته وقوته الخارقة(٢).

وتتشابه أوصاف المعتصم الخلقية والبدنية مع اخواله الترك إلى حد كبير، والأتراك لهم صفات خلقية وبدنية متميزة عن غيرهم من الاجناس، فمن الناحية الخلقية نجد التركى يتسم بالحزم والجدية فلا يعرف التملق ولين الكلام ولا يعرف النفاق والمراء ولا التصنع ولا الرياء. ومن الناحية البدنية يتميز بالفروسية والقوة المفرطة في كل حاسة من حواسه، فيذكر الجاحظ(٣) أن التركى يتميز بحدة البصر حتى يخيل للناس أن له أربعة أعين، عينان في وجهه وعينان في قفاه، وأنه خفيف البدن سريع الحركة، فليس لبدنه ثقل على ظهر الدابة، وليس لمشيه على الأرض وقع. وللتركى مهارة حربية ومقدرة فائقة ، فهو يرمى بسهمه فيصيب الهدف وهو مدبر مثلما يصيبه وهو مقبل، بل أن إدباره أشد من إقباله، لأنه إذا ادبر كان السم الناقع والحتف القاضي على حد قوله.

---

(١) ابن حزم موجز تاريخ الإسلام ، ص ٤٥ . السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٣٤، ٣٣٥.

(٢) المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٣ ص ٤٦٠ ـ ٤٦٣ . ابن الأثير: الكامل ، جـ٦ ص٦.

(٣) رسائل الجاحظ ، جـ ١ ص ٦٠ : ٦٥ .

لذلك حظى الاتراك بالتقدير والاعجاب من قبل الخلفاء، فاستعان بهم المأمون في إدارة الدولة وفى شئونه الخاصة- كما سبق ذكره- واستكثر منهم المعتصم بشكل واضح، بل جعل جل اعتماده عليهم في كل أمور الخلافة، فهم بطبيعة الحال أخواله وأقرب إلى قلبه وعقله، وبينه وبينهم شبه كبير في الاخلاق والسلوكيات . وهناك أسباب أخرى دعته إلى الاعتماد عليهم وتفضيلهم على غيرهم من العناصر الأخرى، فيذكر أن احداث الصراع بين الأمين والمأمون وما ظهر خلالها من صراع بين العرب والفرس، وكذلك محاولة الفرس الاستئثار بالسلطة والنفوذ وقيامهم ببعض الحركات العدائية المناهضة للدين والدولة ، كل ذلك جعل المعتصم يكره العنصرين ويفقد الثقة بهما فحرص على تقويض نفوذهما وابعادهما عن ممارسة الاعمال السياسية والادارية، واسقط العرب من ديوان الجند والعطاء، وقدم الترك وجعلهم العنصر البديل لكل من العرب والفرس[1].

١- تزايد نفوذ الترك وإنشاء سامرا كعاصمة بديلة لبغداد:

كان المعتصم يقود حملة عسكرية ضد الروم وقت وفاة أخيه المامون، فأجمع الخاصة والعامة على البيعة له بالخلافة ولقبوه بالمعتصم بالله وذلك في رجب سنة ٢١٨هـ/ ٨٣٣م، فعاد المعتصم مسرعاً إلى بغداد لتولى الخلافة. وما أن استتب الأمرله حتى بدأ في استقطاب الترك بأعداد كبيرة حتى تكدست بغداد وضاقت بهم، وحرص المعتصم على تمييزهم عن العناصر الاخرى شكلياً وعملياً، فجعل لهم زياً خاصا بهم وسمح لهم بدخول العاصمة بغداد على ظهور الخيل[2]، واسند إليهم المناصب الرئيسية والمهمة

---

(١) انظر : السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٣٦ . عبد البارى الطاهر: فرسان الخلافة، ص ١٤٦ ، ١٤٧، ١٥٤، ١٥٥ .

(٢) المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٣ ص ٤٩٥ – ٤٩٩ . ابن الأثير: الكامل ، جـ٦ ص٢٢.

في الدولة، فقد عزل القائد العربى عجيف بن عنبسه الضبى عن حرسه الخاص وعين القائد التركى الافشين بدلا عنه، وعين سندان ووصيف التركيان على الحجابة[١]، وجعل معظم اعتماده على الترك في الجندية وقيادة الجيوش، وأسند إدارة بعض الاقاليم إليهم فعين اشناس على مصر، غير أن أشناس ظل مقيماً ببغداد وملازماً للخليفة وأقر المظفر بن كيدر الصغدى نائباً له على مصر. [٢]

وجدير بالذكر ان المعتصم أمر بإسقاط العرب من ديوان الجند والعطاء وبدأ بتطبيق هذا القرار في مصر نظراً للثورات العربية المتكررة ضد الخلافة، ومن ثم حرص على اقرار الامن والنظام بها وذلك بتعيين الأمراء الاتراك الموالين له. [٣]

وعلى أية حال، فقد اصبح الترك عنصراً متميزاً عن العناصر الأخرى في خلافة المعتصم استأثروا بسلطات واسعة ونفوذ مطلق، وحاولوا استغلال تلك المكاسب في تأكيد سيادتهم وإثبات تميزهم فظهرت منهم بعض المساوئ والسلبيات التى أدت إلى الصدام بينهم وبين العناصر الأخرى، فقد كان الأتراك يصولون بخيولهم في شوارع بغداد ويجولون دون مبالاة فيدهسون الرجل أو المرأة أو الصبى تحت أقدام الخيول فأهلكوا الكثيرين من العامة، فتأذى الناس منهم وأعلنوا تذمرهم وسخطهم من أفعالهم، فاعترض شيخ من أهل بغداد ركب الخليفة وقال له : يا أبا إسحاق- لا جزاك الله عن الجوار خيراً، جئت بهؤلاء العلوج فأسكنتهم بين أظهرنا، فايتمت بهم صبياننا، وأرملت بهم نسواننا، وقتلت بهم رجالنا[٤] واجتمع جماعة آخرين

---

(١) المسعودى : المصدر السابق ، جـ ٣ ص ٤٦٣ .
(٢) الكندى : ولاة مصر وقضاتها ص ١٥٢ ، ١٥٣ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١٥١ .
(٤) المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٤ ص ٥٣ .

بالخليفة وحذروه من سوء سلوم الاتراك وهددوه بالحرب إن لم يوقف تعدياتهم فقالوا له: إن لم تخرج عنا بجندك حاربناك[١].

عندئذ أدرك المعتصم خطورة الموقف وخشى من تفاقمه ففكر في فصل الأتراك عن غيرهم من أهل بغداد وإنشاء سامراً كعاصمة بديلة لبغداد ونقل الأتراك إليها لتستوعب الأعداد المتزايدة منهم، ولمنعهم من الاحتكاك والصدام مع أهل بغداد. —

والواقع أن الصدام بين الترك وأهل بغداد لم يكن السبب الوحيد في إنشاء سامراً، بل كانت هناك أسباباً أخرى، منها رغبة الخليفة هارون الرشيد، وحرصه على إنشاء حاضرة جديدة للخلافة تكون رمزاً لعهده وتخلد ذكره، وكذلك حب المعتصم للعمارة والإنشاء كمظهر حضارى مميز له.[٢]

وبالفعل شرع المعتصم في إنشاء مدينة سامراء، وتقع إلى الشرق من بغداد بحوالى مائة كيلو متر تقريباً وإلى الشرق من نهر دجلة أيضا، ويمر بها أحد فروع دجلة وهو نهر الفاطول، ومعنى ذلك أنها محاطة بحزام مائى لم يتوفر لغيرها من الأماكن ويعد ذلك أحدى مميزات العاصمة الجديدة وقد أحسن الخليفة في اختيار موقعها.

وقد بدأ العمل في تخطيط المدينة وإنشائها عام ٢٢١هـ/ ٨٣٥م[٣] فأقيم قصر للخليفة، ثم قسمت المدينة إلى قطائع ليقيم بكل قطيعة منها عنصر من عناصر جنده، فللترك قطيعة.. وللخراسانين قطيعة .. وهكذا، كما أقيمت

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٣٦ .

(٢) انظر : الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ٦٦٧ ، جـ ٩، ص ١٧. المسعودى: المصدر السابق ، جـ ٤ ص ٤٧ .

(٣) اختلفت المصادر فى تحديد تاريخ إنشاء سامرا بين ٢١٩ هـ / ٢٢١هـ .

أسواق خاصة للتجار وأصحاب الحرف، وبنى في أطراف المدينة مسجدها الجامع" ثم أخذت المدينة في النمو والتقدم تدريجياً [(١)].

وتروى المصادر ان تلك المدينة أطلق عليها في بداية الأمر اسم "سرمن راى" ثم سميت بعد ذلك " ساء من رأى " بعد تخريبها بعد عدة سنوات ثم حرف الاسم إلى " سامرا" وقد ظلت سامرا مركزا للحكم أكثر من نصف قرن تناوب على الحكم خلالها خلفاء ثمانية من البيت العباسى كان أولهم المعتصم وآخرهم المعتمد[(٢)]. ولما نشبت ثورة الزنج في عصر المعتمد، ترك الموفق- أخو الخليفة وولى عهده- الخليفة المعتمد في سامرا وانتقل إلى بغداد واتخذها مقراً لعملياته العسكرية ضد الزنج[(٣)]، وقد مهدت إقامة الموفق في بغداد إلى عودة الخلفاء إلى عاصمتهم القديمة، فقد عاد المعتمد إليها ، وبعد وفاته استقر الخليفة الجديد المعتضد بن الموفق فى بغداد، وهكذا غدت تلك المدينة مرة اخرى عاصمة للدولة العباسية وظلت كذلك إلى أن سقطت في يد التتار بعد ذلك بأربعة قرون.

وقد أصبحت مدينة سامرا منذ أوائل القرن السابع الهجرى أطلالا خربة وصفها ياقوت الحموى في كتابه المسمى معجم البلدان فقال" وسائر ذلك خراب يستوحش الناظر إليها، بعد أن لم يكن في الأرض كلها أحسن منها ولا أجمل ولا أعظم، ولا آنس ولا أوسع ملكاً منها، فسبحان من لا يزول ولا يحول".

---

(١)انظر : ابن الأثير : الكامل ، جـ ٦ ص ٢١ ، ٢٢. القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٣٨٥، ٣٨٦. ابن طباطبا : الفخرى ، ص ٢٣١ .

(٢)نخبة من المؤرخين : العراق فى التاريخ ، ص ٤٢٤ : ٤٢٨ .

(٣)ابن الأثير: الكامل ، جـ ٦ ص ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٩، ٣١٥، ٣١٩.

- أهم الأحداث الداخلية والخارجية في عهده:

كان المأمون على علاقة طيبة بالعلويين، لذلك أوصى أخيه وولي عهده المعتصم بإكرامهم والإحسان إليهم حيث قال له:" هؤلاء بنو عمك من أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فأحسن صحبتهم، وتجاوز عن مسيئهم، واقبل من محسنهم وصلاتهم فلا تغفلها في كل سنة عند محلها، فإن حقوقهم تجب من وجوه شتى(١).

لكن المعتصم لم يلتزم بوصية أخيه، واستهل خلافته بعدائهم واضطهادهم وتصفية العناصر البارزة منهم، فقد حرض أم الفضل بنت أخيه المأمون على قتل زوجها محمد الجواد بن على الرضا بن موسى الكاظم، فقتلته سماً، وذلك ٢١٩ هـ/ ٨٦٤م(٢) فكان هذا أحد اسباب تفجر الثورات العلوية ضده .

وكان محمد بن القاسم(٣) هو الزعيم العلوى البارز آنذاك، فلما علم بخبر الجواد خشي على نفسه من غدر المعتصم فهرب من الكوفة ولحق بالمدينة واعتكف بالمسجد النبوى، حتى حان موسم الحج فتقابل مع بعض الحجاج من عرب خراسان، فحرضوه على الثورة وبايعوه بالإمامة والزعامة ودعوة للرحيل إلى خراسان ليعلن ثورته هناك(٤).

لكن ابن القاسم آثر التوجه إلى الرقة واتخاذها معقلاً للثورة، حيث كانت حديثة عهد بالثورات العربية، وأهلها ناقمين على سياسة المأمون ذات الصبغة الفارسية، ومستعدين للإنضمام إلى الثورات المعارضة له(٥) وبالفعل

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل، جـ ٨ ص ٦٤٩، ٦٥٠، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٦ ص ٧٠٨ .
(٢) المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٤ ص ٢٨ ، ٥٢ .
(٣) محمد بن القاسم بن على بن عمر بن على بن الحسين .
(٤) المسعودى : مروج الذهب، جـ ٤ص ٥٢، ابن الأثير: الكامل ، جـ ٦ ص ١٥ .
(٥) وكانت قد اندلعت بالرقة ثورة مضر بن شبث العقيلى، ولقيت تأييداً ، وقبولاً كبيراً من عرب الجزيرة آنذاك. انظر الأزدى: تاريخ الموصل ٣٣٤، ابن الأثير: الكامل جـ ٥ ص ٤١٢.

لقيت ثورة ابن القاسم قبولاً وتأييداً من عرب الجزيرة، فقيل أن عدد مؤيديه بلغ أربعين ألفا، وبعد ان استتب الأمر له بالجزيرة، ورحل إلى المشرق واستقر بالطالقان(١) فأحكم سيطرته عليها ولذا عرف بصاحب الطالقان(٢).

وكان عبد الله بن طاهر أميراً على خراسان والمشرق آنذاك، فوقع على عاتقه التصدى للثورة العلوية وقمعها، فجر جيوشه واحداً تلو الآخر وتمكن من إخمادها والقبض على زعيمها ابن القاسم، وبعث به إلى الخليفة المعتصم، لكن ابن القاسم تمكن من الهروب واختفى عن الأنظار ولم يعثر له على آثر(٣).

أما الخليفة الواثق فقد اتبع سياسة سلفه المأمون في علاقته بالعلويين، حيث ارتبط معهم بعلاقات طيبة حميمة وأحسن معاملتهم وإكرامهم وقربهم إليه، ومنحهم الأمن والسلام وأغدق عليهم الأموال والهبات(٤) وظلت العلاقة بين العباسيين والعلويين على تلك الحال حتى توفى الواثق فى ذى الحجة ٢٣٢هـ/ ٨٤٧م(٥) فلم تحدث في عهده آية ثورات علوية.

وهكذا تبين جلياً الدور البارز والمؤثر والفعال للعلويين وأنصارهم الشيعة العرب في أحداث الدولة العباسية خلال العصر الأول، وعلى الرغم من أنه دور سلبى معارض، إلا أنه يوضح جانباً من جوانب الدور العربى عموماً في أحداث الدولة، ويثبت تواجد العنصر العربى وحضوره الدائم.

---

(١) الطالقان إحدى مدن خراسان بينها وبين مرو ٦٥ فرسخاً . ابن خرداذية : المسالك والممالك ص ٣٢ .
(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٩ ص ٧ ،المسعودى : مروج الذهبجـ ٤ ص ٥٢
(٣) اليعقوبى : تاريخه جـ ٢ ص ٤٧٢ .
(٤) ابن طباطبا : الفخرى ص ٢٣٦ .
(٥) ابن حزم : موجز تاريخ الاسلام ص ٤٦ .

- **ثورات عرب مصر :**

وظلت الثورات العربية بمصر مشتعلة ضد الولاة الجائرين، وعانى الخليفة المأمون من تلك الثورات المتتالية، وأدرك عدم قدرة الولاة على إقرار الأمن بها، فقرر التوجه بنفسه إليها فوصلها في العاشر من المحرم سنة ٢١٧ هـ/٨٣٢م[١]، وبدأ العمل على إصلاح السياسة الإدارية والمالية بها وتلافى اسباب المعارضة، فعزل الوالى عيسى بن منصور الرافقى[٢]، وحمله مسئولية تلك الثورات بسبب فساده وسوء إدارته[٣] .

ثم تفرغ المأمون لقمع الثورات العربية المنتشرة في الوجه البحرى والصعيد، فبعث جيشاً إلى الصعيد لقتال ابن عبيدس الفهرى[٤] فتم لجيش المأمون القبض عليه وقتله وإنهاء ثورته[٥]. وبعث إلى الوجه البحرى بجيش آخر، فأعلن الاقباط استسلامهم وطاعتهم له ورضوا بحكمه فيهم" فحكم بقتل الرجال وبيع النساء والأطفال فبيعوا وسبى أكثرهم[٦] وبسط المأمون سيطرته التامة على جميع انحاء مصر، وأقر الأمن والنظام بها، ثم رحل متوجهاً إلى بغداد في صفر سنة ٢١٧ هـ/٨٣٢ م [٧].

وفى خلافة المعتصم واصل عرب مصر ثوراتهم ضده وضد رجاله بمصر ويرجع السبب في ذلك إلى رفضهم واستنكارهم لسياسته المواليـة

---

(١) الكندى : ولاة مصر ، ص ١٥٠ .

(٢) تولى مصر بدلا من عبدويه بن حبلة الأبناوى فى مستهل سنة٢١٦هـ ، وكان كسابقيه سيء السير والسلوك تجاه الرعية فتتحالف عرب مصر والقبط على قتاله فى جمادى الأولى من نفس السنة، وطردوا عماله وخلعوا طاعته .

- الكندى : ولاة مصر ، ص ١٤٨، ١٤٩، اليعقوبى : تاريخه ، جـ ٢ ص ٤٦٦ ، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، جـ ٢ ص ٢١٢ .

(٣) الكندى : المصدر السابق ، ص ١٥٠ .

(٤) يذكر الطبرى وغيره أن اسمه عبدوس الفهرى .

(٥) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٨ ص ٦٢٧، ابن الأثير : الكامل،جـ ٥ ص ٤٩٨.

(٦) الكندى : المصدر السابق ، ص ١٥٠ ، ١٥١، وانظر: ابن الأثير : المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة، أبو المحاسن : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢١٦ .

(٧) الكندى : المصدر السابق ، ص ١٥١ .

للعنصر التركي، واستعانته بهم في أجهزة الدولة كعنصر أساسى وبديل عنهم، ليس هذا فحسب، بل أسقط العرب من ديوان الجند وحرمهم من الأرزاق والاعطيات[١] لذلك دعا يحيى بن الوزير الجروى أهله من لخم وجذام إلى القيام بثورة مناهضة للمعتصم وقال لهم :" هذا أمر لا نقوم في أفضل منه لأنه – المعتصم– منعنا حقنا وفيئنا"[٢].

ومن الواضح أن العرب بمصر قد وهنوا وضعف شأنهم من جراء سيطرة الأتراك على أجهزة الحكم والادارة بها، كما يبدوا أنهم ملوا من طول الصراع ويئسوا من جدوى المعارضة. لذلك لم تجد دعوة ابن الوزير قبولاً كبيراً حيث لم يؤيده سوى خمسمائة رجل منقومه، فكان القضاء عليهم سهلاً وميسوراً، وقضى عليهم بالفعل في جمادى الاولى سنة ٢١٩ هـ/٨٣٤ م[٣].

من جهة أخرى، بدأ عرب مصر يتجهون إلى ممارسة الاعمال الحرفية كالزراعة وغيرها، كمصدر للعيش والكسب بعدما فقدوا أعمالهم الادارية والحربية[٤] واندمجوا مع الأقباط وأقلعوا عن المعارضة، وركنوا إلى الدعوة والسلام منذ أن فشلت ثورة يحيى بن الوزير وحتى إنتهاء العصر العباسى الأول[٥].

---

(١) انظر : الكندى : ولاة مصر قضاتها ، ص ١٥١، ١٥٣، البلخى: البدء والتاريخ جـ٦ ص ١٠٨ ، ١٠٩ ، المقريزى : البيان والاعراب ص ١٠٤ .
(٢) الكندى : المصدر السابق ، ص ١٥٢ .
(٣) الكندى : المصدر السابق ، نفس الصفحة .
(٤) انظر : محمد أمين صالح : دراسات اقتصادية فى تاريخ مصر الإسلامية ص ٢١، ٢٨، ٢٩، ٤٢ .
- FAROUK OMER; THE COMPOSTION OF ABBASID SUPPORT, P. 170
(٥) انظر: الكندى : المصدر السابق ، ص ١٥٣، ١٥٤ .

- **ثورة عرب الشام :**

كانت سياسة المعتصم المتحيزة إلى العنصر التركى وما ترتب عليها من ممارسات سلبية ضد العامة والعرب بخاصة من أهم الأسباب التى دعت العرب إلى المعارضة الثورية، ففى سنة ٢٢٧ هـ/ ٨٤٢م تفجرت ثورة عربية بفلسطين تولى قيادتها تميم اللخمى المعروف بالمبرقع[١]، وكان أحد أفراد أسرة المبرقع قد تعرض لأذى بعض الجند الأتراك، فاستل المبرقع سيفه وقتل التركى، ثم فر هارباً خوفاً من بطش الترك أو الخليفة، ولجأ إلى جبال الأردن وبدأ يعد العدة للثورة المسلحة[٢]، وادعى المبرقع أنه أموى وهو السفيانى المنتظر، وأضفى على ثورته طابعاً دينياً، حيث أعلن لأصحابه أنه يدعو إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ويعارض الخليفة المعتصم لسوء سيرته وسلوكه[٣] وقيل إنه أدعى النبوة[٤].

على أية حال، فقد لقيت ثورة المبرقع قبولاً وتأييداً من قومه اللخمية وإخوانهم من جذام وعاملة[٥]، وكان هؤلاء عصب الثورة وعمادها، وبلغ عدد جنده مائة ألف رجل[٦].

وظلت ثورة المبرقع قائمة حتى توفى الخليفة المعتصم في ربيع الأول ٢٢٧هـ/٨٤١ م واهتم الخليفة الواثق بأمرها، فأعد جيشاً بقيادة رجاء بن أيوب الحضارى، واشتبك الفريقان في معركة قصيرة ، تمكن فيها رجاء من إيقاع الهزيمة بالمبرقع، وأسره وساقه إلى الخليفة الواثق بسامرا، فحبسه الواثق حتى مات أواخر ٢٢٧هـ/٨٤١ م[٧].

---

(١) انظر اليعقوبى : تاريخه ، جـ ٢ ص ٤٨٠.
(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٩ ص ١١٦، ابن الأثير : الكامل،جـ ٦ ص ٦٩.
(٣) الطبرى : المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة، ، ابن خلدون : العبر،جـ ٣ ص ٣٣١.
(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ٢٤٨ .
(٥) انظر أنساب تلك القبائل فى القرطبى : التعريف فى الأنساب ص ٢٥٠، ٢٥٥ ، ٢٥٦ .
(٦) ابن الأثير : المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .
(٧) اليعقوبى : تاريخه جـ ٢ ص ٤٨٠، ابن الأثير: الكامل ، جـ ٦ ص ٦٩ ، ٧٠ .

- ثورة بابك الخرمى :

بعد نجاح الخليفة المهدى في القضاءعلى حركة المقنع الخراسانى، لم يقم الزنادقة بحركات أخرى ثورية مسلحة طوال عهود الخلفاء الهادى والرشيد والأمين . وإن كانت تعاليم الزنادقة استمرت كامنة في القلوب والعقول، واعتنقها كثير من عامة الناس ووجوهم، ولكن لم تتخذ هذه التعاليم الشكل الإيجابى المسلح، وخاصة بعد إنشاء المهدى ديوان الزنادقة الذى بث الرعب في قلوب الزنادقة فجعلهم ينكمشون على أنفسهم ولا يجهرون بعقائدهم الفاسدة. وكانت أول حركة مسلحة قام بها الزنادقة بعد القضاء على حركة المقنع الخراسانى، هى حركة بابك الخرمى.

وكانت حركة بابك الخرمى من اخطر حركات الزنادقة التى شهدها العصر العباسى الاول، فقد عاشت هذه الحركة عشرين عاماً أقلقت مضاجع العباسيين، وغذت تيارات الشعوبية بين العرب الفرس، مما هدد وحدة المجتمع العباسى، وأنعشت العقائد المجوسية والتعاليم الاباحية وأدت إلى نوع من الفوضى الاجتماعية وزاد من خطورة الحركة أنها حاولت التحالف مع الدولة البيزنطية، التى وقفت دائما من الدولة العباسية موقف العداء، كما شغلت هذه الحركة خليفتين عباسيين هما المأمون والمعتصم.

واختلف المؤرخون في أصل بابك ونسبه وهدف ثورته، فيذكر البعض أنه من سلالة أبى مسلم الخراسانى، وأن هدف ثورته الثأر والانتقام لمقتل أبى مسلم، ومن ثم فإن ثورته تعد امتداداً لثورة الروالندية والمقنعية ويذكر البعض الآخر أنه فارسى مجوسى أسلم ظاهراً وظل على مجوسته في الباطن، وحدثته نفسه إلى قلب نظام الحكم العربى الإسلامى واستعادة الحكم الفارسى والدين المجوسى.(١)

---

(١) انظر : المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٤ ص ٥٥ ابن خلدون: العبر، جـ ١ ص ١٣٥.

وهكذا كانت لشخصية بابك، والظروف التى أحاطت بحياته أثرها في إحياء تعاليم المزدكية الخرمية، ودخولها في دور جديد، وقيام حركة جديدة خطيرة من حركات الزنادقة في العصر العباسى الأول .

بدأ بابك يمارس زعامته لطائفة الخرمية، ونجح بابك في بلورة تنمية تعاليم المزدكية، وأدخل عليها بعض الآراء الجديدة مما يتناسب مع تطور الأحداث السياسية والحياة الدينية في العصر العباسى الأول. فقد استغل إقدام العباسيين على قتل أبى مسلم الخراسانى فى إثارة مشاعر الفرس ضد العرب، فدعا إلى تقديس أبى مسلم. ولعن الخليفة أبى جعفر المنصور. كما ذهب بابك إلى أن الرسل على اختلاف شرائعهم وأديانهم يحصلون على روح واحدة، حتى يمكن لهم خلق مؤيدين لحركتهم عند كل أصحاب الأديان والمذاهب الأخرى.

وتتضح هذه المبادئ في نص للمقدسى[١] حيث يقول :

" هم فرق وأصناف، غير أنهم يجمعهم القول بالرجعة، ويقولون بتغيير الأسم وتبديل الجسم[٢]. ويزعمون أن الرسل كلهم على اختلاف شرائعهم وأديانهم يحصلون على روح واحدة، وأن الوحى لا ينقطع أبداً، وكل ذى دين مصيب عندهم إذا كان راجى ثواب وخاشى عقابه ولا يرون تهجينه، والتخطى إليه بالمكروه ما لم يرم كيد نحلتهم وخسف مذاهبهم، ويعظمون أمر أبى مسلم ويلعنون أبا جعفر على قتله، ويكثرون الصلاة على فيروز، لأنه من ولد فاطمة بنت أبى مسلم، ولهم أئمة يرجعون عليهم في الاختتام، ورسل يدورون بينهم ويسمونهم(فريشتكان)، ولا يتبركون بشئ مثل

---

(١) البدء والتاريخ ، جـ ٥ ص ١٣٤ .
(٢) أى القول بتناسخ الأرواح .

تبركهم بالخمر والأشربة، وأصل دينهم القول بالنور والظلمة ووجدنا منهم من يقول بإباحة النساء"[١].

وهكذا اصبح بابك وأتباعه خطراً يهدد كيان الدولة العباسية وتجلت أخطارهم في إحياء عقيدة مجوسية فاسدة، تقول بالنور والظلمة، وتدعو إلى شيوعية هدامة، وفوضى خلقية شاملة، فيذكر أن الخرمية رفضوا جميع الفروض الدينية كالصلاة والصوم والحج والزكاة، وأباحوا لأنفسهم شرب الخمر، ونادوا بإباحة المحرمات والشيوعية في النساء، وهى كلها تعاليم مزدك، وقد بذل هؤلاء دائما كل ما يستطيعون من جهد للقضاء على الإسلام قضاء مبرماً، كما أنهم لم يشعروا بأى ميل أو عاطفة إزاء أحد من أهل البيت: وان كانوا قد اتخذوا من اسمائهم سبيلاً إلى جذب الأنصار إليهم لنشر دعوتهم التى ترمى إلى هدم العقائد الإسلامية [٢].

أما الأخطار التى هددت المجتمع الإسلامى نتيجة ذيوع تعاليم جماعة بابك الخرمى فتبدو واضحة فيما نادت به هذه الفئة من إباحية وفوضى أخلاقية وإجتماعية هددت القيم الروحية والمثل العليا التى يحث عليها الإسلام، ويبدو في التقاليد العربية فقد استباحوا جميع المحرمات. واقدموا على قتل كل من خالفهم من المسلمين، وبثوا بذلك الرعب في القلوب[٣].

وتحدث فان فلوتن[٤] عن هذه الجماعة فقال: إن هناك صلة بين اسم الخرمية الذى قد يكون مشتقا من (خرم) ومعناه (اللذيذ) فإذا ما تحدثنا عن (خرم دنيا) فإننا نعنى أن هؤلاء كانوا لا يعرفون دينا غير اللذة .

---

(١) المقدسى : البدء والتاريخ ، جـ ٥ ص ١٣٤ .
(٢) انظر : حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الاسلام جـ ٢ ص ٩٩ -١٠٠ .
(٣) البغدادى : الفرق بين الفرق ص ١٦٧ .
(٤) السيادة العربية ص ٩٩ — ١٠٠ .

كذلك كانت فرقة بابك الخرمي تمثل خطر داهما يهدد الدولة العباسية من الناحية السياسية. فقد أرادت تحويل السلطان من العــرب إلـــى الفــرس واتخذت الزندقة والإلحاد سبيلا إلى ذلك. فيقول المقدسى(١):" فإن الخرميــة احتالوا فى إزالة الملك إلى العجم فموهوا هذه النحلة وزينوها للجهال ودعوا إليها في السر ومحصول أمرهم التعطيل والإلحاد".

واتخذت الخرمية من أسماء آل بيت على بن أبي طالب ستاراً لتحويل عواطف الناس عن العباسيين وذلك دون أن يشعر أى فرد من تلك الطائفــة بأى ميل أو حسب لأبناء هذا البيت العربى وعمل بابك على تنظيم جماعتــه تنظيماً دقيقاً بأن جعــل لكــل جماعـــة مـــنهم رؤســـاء يرجعـــون إلـــيهم، وهؤلاءالرؤساء يأتمرون بدورهم بأوامر بابك نفسه الذى دأب علـــى انفـــاذ رسله باستمرار إلى تلك الجماعات ليعرف أخبارها ويوحد حركاتها(٢)

وتبدو خطورة الخرمية السياسة واضحة في استفادة هذه الجماعة من الاضطرابات الداخلية التى تخللت عهد الخليفة المأمون سواء خلال إقامته في مرو بخراسان أو في بغداد بالعراق وخاصة الإضطرابات التـــى صـــاحبت تولية المأمون "عليّ الرضا" عهده والمؤامرة التى دبرها الفضل بـــن ســـهل. وبدت خطورة الخرمية السياسية واضحة في عهد الخليفة المعتصم حينما أقدم بعض الخرمية على التحالف مع الدولة البيزنطية عـــدوة الدولـــة العباســـية اللدودة .

وهكذا أصبحت فرقة الخرمية البابكية مصدر كثير من الأخطار التى تهدد الدولة العباسية، وتتعارض مع سيادتها وهيبتها. ويوضـــح البغـــدادى(٣)

---

(١) البدء والتاريخ جـ ٥ ص ١٣٤ .
(٢) Browne : Lit Hit of Persia, 328
(٣) الفرق بين الفِرَق ص ٢٦٣ - ٢٦٧ .

مظاهر هذه الخطورة فيقول " ظهر - بابك - في جبل البدين بناحية أذربيجان، وكثر بها أتباعه واستباحوا المحرمات وقتلوا الكثير من المسلمين" كما يبرز المقدسى خطورة هذه الفئة فيقول : (١)

" وانضوى إليه- أى بابك- القطاع والخراب والذعار وأصحاب الفتن وأرباب النحل الزائفة وتكاثفت جموعه حتى بلغ فرسان رجاله عشرين ألف فارس سوى الرجالة واحتوى على مدن وقرى وأخذ بالتمثيل بالناس والتحريق بالنار والانهماك في الفساد وقلة الرحمة والمبالاة وهزم جيوشاً كثيرة للسلطان وقتل عدة قواد وذكر في بعض الكتب أنه قتل فيما حُفِظ ألف ألف إنسان من بين رجل وإمراة وصبى" (لاحظ المبالغة) .

ولذا أصبح من واجب الدولة العباسية من أجل المحافظة على دينها وتقاليدها وكيانها السياسى والاجتماعى أن تقضى على حركة بابك الخرمى، ولكن الأمر لم يكن سهلاً ميسوراً فقد اقتضى ذلك جهداً كبيراً واستتر النضال بين الفريقين طوال عهدى الخليفتين المأمون والمعتصم.

ودخل الصراع بين العباسيين وحركة بابك الخرمى دوراً جديداً في خلافة المعتصم فبعد أن نجح المعتصم في الخلاص من ثورة الزط سنة ٢١٩ هـ/ ٨٣٤م، تفرغ لقتال الخرمية في سنة ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م فأعد جيشاً كبيراً ونصب عليه القائد أباب سعيد محمد بن يوسف وأمره بالتوجه إلى أردبيل " وأمره أن يبنى الحصون التى خربها بابك فيما بين زنجان وأردبيل، ويجعل فيها الرجال مسالح لحفظ الطريق لمن يجلب الميرة إلى أردبيل"(٢) .

---

(١) البدء والتاريخ جـ ٥ ص ١٣٤ .
(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٢٢٧.

سارت الجيوش العربية وفق خطة مرسومة تدل على منعة حصون بابك واعتماده في الحرب على عنصر المفاجأة والغدر. ذلك ان القادة العرب جعلوا نصب أعينهم تطهير الجهات التى تجتازها قواتهم من الأطلال والحصون القديمة التى قد تخفى فيها كمدائن بابك، ثم القبض على أكبر عدد من قادة الخرمية وهم على قيد الحياة ، لمعرفة أيسر المسالك إلى مقر رئيسهم الأعلى، والاستفادة والتحقيق من الأقوال التى قد يدلى بها رجال الخرمية ممن يقعون في الأسر [١].

دار قتال مرير بين الجيش العباسى وجيش بابك، ونجح العباسيون في تطهير المنطقة بين زنجان وأردبيل، ولحقت بقوات بابك الهزيمة في كثير من المواقع، ووقع في الأسر عدد كبير من أتباعه، استفاد العباسيون من أقوالهم في الكشف عن خطط بابك الحربية ومواقعه وحصونه وعدد قواته، مما حقق النصر للعباسيين، وتوجوا نصرهم بالقبض على طرخان الساعد الأمين لبابك، وقتله[٢].

وإزاء هذه الهزائم المتتالية، رأى كثير من أتباع بابك الفرار إلى أراضى الدول البيزنطيية حيث لقوا الترحيب، وألحقهم الروم بجيوشهم ليستفيدوا منهم في هجومهم الدائم على الأطراف الشمالية لبلاد الشام والعراق، صيفاً وشتاءً وشارك هؤلاء البابكية في الهجوم العنيف الذى قام به الروم في سنة ٢٢٣هـ/ ٨٧٣م.

ورأى الخليفة المعتصم أن يوجه ضربة إلى بابك الخرمى، فعهد بقيادة الجيش العباسى إلى الأفشين، وهو قائد قد اصطفاه المعتصم وقربه

---

(١) العدوى : المجتمع العربى ومناهضة الشعوبية ص ١٢٢ .
(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٢٢٧ ــ ٢٢٨ .

إليه، ونجح الأفشين في أن يحصر بابك في مقر دعوة الخرمية الاصلية في مدينة البد.

ولما شعر بابك باقتراب نهايته بعث إلى إمبراطور الروم، وهو تيوفيل يخبره أن الجيوش العربية كلها وخيرة قادتها قد خرجت لقتال الخرمية، وأن البلاد العربية صارت خالية من كل أسباب الدفاع عنها، وأن الوقت مناسب ليقوم الروم بإغارة كبرى على شمال العراق، لتحقيق هدفين: أولهما تخفيف الضغط عن الخرمية حيث يحمل الجيوش العربية على سحب جزء من قواتها وإرسالها لمواجهة زحف الروم وثانيا إنزال أكبر قدر من الاذى بالبلاد العربية وهى خالية من جندها المدافع عنها.

واستجاب ثيوفيل أمبراطور الروم لدعوة بابك الخرمى، وأعد جيشاً كبيراً بلغ عدد جنده مائة ألف، انضم إليه أتباع بابك الذين هربوا إليه، ليكونوا أدلاء للجيش عبر المناطق الجبلية، وخرج ثيوفيل نفسه على رأس هذا الجيش.

كانت خطة ثيوفيل ترمى إلى الاتجاه إلى أعالى الفرات أملا في الاتصال بثوار الخرمية في أرمينيا وأذربيجان ومد المعونة المطلوبة لبابك. غير أن ثيوفيل لم يستطيع أن يتقدم إلا إلى مدينة زيطره بأقصى شمال العراق، حيث قتل الكثير من أهلها وأشعل النار فيها. ذلك أن القوات العباسية المرابطة في حصون شمال العراق والشام بادرت إلى التجمع حين بلغتها أخبار حملة ثيوفيل. وبادرت إلى الزحف لنجدة أخوانهم من أهل زبطرة حتى تأتى الجيوش الرئيسية العباسية للدفاع عنهم. فاضطر ثيوفيل إلى رفع الحصار عن زبطرة والعودة إلى بلاده دون أن يحقق الهدف من حملته وهو الاتصال بقوات بابك(١).

---

(١) العدوى : الدولة الإسلامية وامبراطورية الروم ص ٢٠١ .

رأى المعتصم أن يدع الخطر البيزنطى جانباً، ليتفرغ للقضاء على حركة بابك الخرمي، واقتربت الجيوش العربية من معاقل بابك حتى أصبحت على بعد ستة أميال، وسيطر العباسيون على جميع الطرق الجبلية المؤدية لهذه المعاقل ، كما صعدوا إلى قمم الجبال المجاورة لمراقبة حركات جند بابك. ثم بدأت المعركة الفاصلة، فهاجم العباسيون معقل بابك في البد ونجحوا في اختراق الأسوار، واقتحموا الحصن، واشعلوا فيه النار، ووقع أبناء بابك ومعظم أنصاره أسرى، أما بابك فقد اسرع بالفرار(١).

تنكر بابك وبعض أتباعه في زى التجار، ورحل إلى أرمينية ، وخشى الأفشين أن يعتصم بابك ببعض الجبال المنيعة، أو يتحصن ببعض القلاع أو ينضاف إلى بعض الأمم القاطنة ببعض تلك الديار، فيكثر جمعه وينضاف إلى فلول عسكره، فيرجع إلى ما كان من أمره. فأخذ الطرق ، وكاتب البطارقة في الحصون والمواضع من بلاد أرمينية وآذربيجان والران والبيلقان، وضمن في ذلك الرغائب(٢).

وشاء حظ بابك العاثر، أن يشترى شاه من أحد الرعاة، وأسرع هذا الراعى إلى سهل بن سنباط يفضى له بحقيقة بابك. وطمع ابن سنباط في القبض على بابك والفوز بالمكافأة، ورأى أن يحتال على بابك حتى يأسره. فخرج إلى موضع بابك، فترجل له وسلم عليه بالملك، وقال له : أيها الملك قم إلى قصرك الذى فيه وليك، وموضع يمنعك فيه الله من عدوك. وخدع بابك بهذه الدعوة، وتوجه معه إلى قلعته، حيث أجلسه ابن سنباط على سريره، وأعد له سماطا حافلا، ثم جلس إلى جانبه يأكل ولكن زهو بابك جعله يقول لابن سنباط : أمثلك يأكل معى ! فغادر ابن سنباط المائدة

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٢٣٥ ـ ٢٥٢ .
(٢) المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٤ ص ٥٥ .

وقال:أخطأتِ أيها الملك، وأنت أحق من احتمل عبده إذ كانت منزلتى ليست بمنزلة من يأكل مع الملوك.

ثم استدعى ابن سنباط حدادا، وقال لبابك: مد رجليك أيها الملك. ثم أوثقه هو وأتباعه بقيود حديدية . فصاح بابك: أغدرا يا سهل؟ فقال سهل : يا ابن الخبيثة أنما أنت راعى غنم وبقر، ما أنت والتدبير للملك ونظم السياسيات؟

وسلم سهل بن سنباط بابك الخرمي وأتباعه إلى الأفشين، فكافأة الأفشين مكافأة عظيمة، ورفع منزلته وأسقط عنه الخراج[1] وأطلق الأفشين الحمام الزاجل ليبشر المعتصم بالفوز العظيم فازدانت سامراً بأبهى الزينات،

وأعلن الأهالى فرحهن بالتكبير وتبادل التهانئ وتوالت هدايا المعتصم على الأفشين طوال رحلته إلى سامراً. وأمر المعتصم عمال البريد أن يحملوا له أولاً بأول أخبار رحلة قائدة الأفشين. ومن الطريف أن بابك أراد أن يعرف ما حل بعاصمته البد ، فقال للأفشين: أشتهى أن أنظر إلى مدينتى ، فوجه معه الأفشين قوما في ليلة مقمرة إلى البد حتى دار فيه، ونظر إلى القتلى والبيوت إلى وقت الصبح ثم رده إلى الأفشين[2].

وصل الأفشين بأسراه إلى مدينة سامرا في شهر صفر سنة ٢٢٣ هـ/ ٨٣٧ م ونزل الموضع المعروف بالقاطزل، على بعد خمسة فراسخ من سامرا، وخرج هارون بن المعتصم وكبار العباسيين ورجالات الدولة لأستقبال الأفشين وحملوا معهم هدايا للأفشين .

---

(١) المسعودى : المصدر السابق ، جـ ٤ ص ٥٦ .
(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٢٦٠ .

رسم المعتصم الصورة التى يدخل عليها بابك الخرمى إلى سامرا: بحيث يعبر ذلك عن سروره وفرحة المسلمين عامة، كما يعبر عن التشهير ببابك، وإبراز قوة الدولة العباسية ونجاحها في التغلب على أعدائها، وحتى يكون ذلك كله عظة وعبرة لمن تسوله نفسه الخروج عن طاعة الدولة العباسية والعبث بدينها ونظمها. فيقول الطبرى(١).

" وأراد المعتصم أن يشهره ويريه للناس. فقال : على أى شئ يحمل هذا ، وكيف يشهر. فقال حزام: يا أمير المؤمنين لا شئ أشهر من الفيل.

فقال : صدقت فأمر بتهيئة الفيل، وأمر به فجعل في قباء ديباج وقلنسوة سمور ومدورة وهو وحده، فقال محمد بن عبد الملك الزيات:

قد خضب الفيل كعاداته ... يحمل شيطان خراسان
والفيل لا تخضب أعضاؤه ... إلا لذى الشأن من الشأن

وقدم رسل المعتصم على بابك يحملون له دراعه من الديباج الأحمر، منسوجة بالذهب ، قد رصع صدرها بأنواع الياقوت والجوهر، وقلنسوة زينت باللؤلؤ والأحجار الكريمة . واستحسن بابك الدراعة وقال: هذه كرامة ملك عظيم جليل إلى أسير، فقد العز، ذليل أخطأته الأقدار، وزالت عنه الحدود. وتورطته المحن، إنها الفرحة تقتضى ترحه(٢).

واصطف الجند صفين، على طول الطريق بين القاطول وسامرا، وقدم الموكب، وبابك على ظهر الفيل، وأخوه على ظهر ناقة" وبابك ينظر إلى ذات اليمين وذات الشمال ويميز الرجال والعدد. ويظهر الأسف والحنين على ما فاته من سفك دمائهم، غير مستعظم لما يرى من كثرتهم(٣).

---

(١) المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٤ ص ٧ .
(٢) المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٤ ص ٥٧ .
(٣) المسعودى : المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

ودخل الأفشين على المعتصم، وقد صحب معـه بابـك. فقـال لـه المعتصم: أنت بابك فلم يجب . وكرر المعتصم السؤال دون أن يجيبه بابك، فقال الأفشين له : الويل لك أمير المؤمنين يخاطبك وأنت ساكت؟ فقال بابك: نعم أنا بابك فسجد المعتصم شكراً لله عز وجل. ثم أمـر المعتـصم خدمـه بتجريد بابك مما عليه من ملابس وزينة. ووصف المسعودى[١] ما حل ببابك فقال:" وقطعت يمينه وضرب بها وجهه. وفعل مثل ذلـك بيـساره، وثلـث برجليه وهو يتمرغ في النطع في دمه. وقد كان تكلم بكلام كثير يرغب فـي أموال عظيمة قبله. فلم يلتفت إلى قوله. وأقبل يضرب بما تبقى من زنديـه ووجهه. وامر المعتصم السياف أن يدخل السيف بين ضلعين من أضـلاعه أسفل القلب. ليكون أطول لعذابه.. ففعل . ثم أمر بجز لسانه وصلب أطرافه مع جسده. ثم حمل الرأس إلى مدينة السلام ونصب على الجسر.

وحمل إلى خراسان بعد ذلك يطاف به كل مدينة من مدنها وكورهـا لما كان في نفوس الناس من استفحال أمره وعظيم شـأنه وكثـره جنـوده وإشرافه على إزالة ملك وقلب مملكة وتبديلها. وحمل أخـوة عبـد الله مـع الرأس إلى مدينة السلام. ففعل به إسحق بن إبراهيم ما فعـل بأخيـه بابـك بسامرا. وصلب جثة بابك على خشبة طويلة في أقاصى سامراً.

وأغدق المعتصم الصلات على أفشين، فألبسه تاجا ووشـاحين كمـا كأفا جنده ودخل الشعراء على المعتصم يتبارون في انشاد قصائدهم. مبـدين ابتهاجهم، مهنئين الخليفة بفوزه العظيم وبهذا النصر تخلصت الدولة العباسية من خطر داهم كاد أن يعصف بها ويعجل بزوالها.

---

(١) المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

- **حركة المازيار والأفشين:**

على الرغم من قضاء المعتصم على الثورة البابكية الخطيرة، غير أن تلك الثورة قد خلفت ورائها حركة أخرى تعد نيلا لها واستمراراً للحركات الأعجمية المعادية للدين والعروبة، ونعني بها حركة المازيار والأفشين، وهي الحلقة الأخيرة من سلسلة حركات الزنادقة في العصر العباسي الأول.

والمازيار رجل من الفرس ، أسمه الأصلي مازيار بن قارن بن بندار هرمس[1].

تظاهر بالإسلام وتسمى محمداً ، ليخفى أغراضه السيئة ويموه على السلطات العباسية وكان من الدهاقين حازنقة المأمون فولاه ولاية شروين بأطراف طبرستان وكان يخضع مباشرة للخليفة العباسي دون ولاة خراسان من آل طاهر.

ظل المازيار طوال خلافة المأمون ينظم صفوف أتباعه في طبرستان، ويولي حكاما في تلك الجهات من المخلصين له، والمؤمنين برسالته ضد العرب، وذلك دون أن يفطن له أحد من رجال السلطات العربية.

انتهز المازيار فرصة إنشغال الدولة العباسية بحرب بابك الخرمي، فأتصل به وبالأفشين سراً، وعمل ثلاثتهم على محو الإسلام من بلادهم والتخلص من حكم العرب، فهذه الثورة وأمثالها كانت في الواقع دينية وسياسية معاً، يراد بها الاستقلال عن الدولة العباسية وهي في الوقت نفسه حركة شعوبية، تعمل على حط شأن العرب وإزالة دينهم ودولتهم [2] .

---

(١) المسعودي : مروج الذهب ، جـ ٤ ص ٦١ .
(٢) حسن إبراهيم : تاريخ الاسلام جـ ٢ ص ١٠١ .

ورغم اتصال المازيار ببابك الخرمى إلا أنه لم يقم أى تحالف حقيقى بين المازيارية وأتباع بابك لأن المازيار كان لا يزال في دور الاستعداد يترقب الفرص المواتية وظل أمر تآمر المازيار مجهولا طوال عصر المأمون حتى تولى المعتصم الخلافة.

شن المعتصم حرباً شعواء على الخرمية، وكانت عيون المعتصم منبثة في كل مكان تكشف عن الزنادقة فكان من الطبيعى أن يتكشف سر المازيار وفطن المعتصم إلى خيانة المازيار واتصاله سرا ببابك ورئاسته لجماعة دينية تعتنق التعاليم المزدكية فيقول البغدادى[١] عن هذه التعاليم عند حديثه عن المازيارية" ينسبون أصل دينهم إلى أمير كان لهم في الجاهلية إسمه شروين ويزعمون أن أباه كان من الزنج وأمه من بعض بنات ملوك الفرس ويزعمون أن شروين كان أفضل من محمد ومن سائر الأنبياء وقد بنوا في جبلهم مساجد للمسلمين يؤذن فيها المسلمون وهم يعلمون أولادهم القرآن لكنهم لا يصلون في السر ولا يصومون في شهر رمضان ولا يرون جهاد الكفرة".

وعلم المعتصم أن قائده الذى وثق فيه وهو الأفشين قد بدأ يتصل سراً بالمازيار كما حرص الأفشين على أن يرسب كل ما استولى عليه خلال القتال من أموال وأسلحة ومتاع إلى مسقط رأسه فى أشروسنة لتكون هذه كلها عدة له في ثورته المرتقبة ضد الدولة العباسية ودينها ونظمها العربية. وكان الأفشين حريصا حتى لا يفتضح أمره فكان يبعث المال إلى أشروسنة في أحزمة يضعها اتباعه حول أوساطهم وكان على هؤلاء الاتباع أن يجتازوا في رحلتهم أراضى خراسان. ولكن السر انكشف بعد فترة وفطن

---

(١)الفرق بين الفرق ص ٢٦٩ .

أمراء خراسان من آل طاهر إلى حقيقة الأمر فسأل عبد الله بن طاهر حاكم خراسان هؤلاء الاتباع من أين لكم هذا المال؟ فقالوا : هذه أموال الأفشين، فقال عبد الله : كذبتم، لو أراد أخى الأفشين أن يرسل بمثل هذه الأموال لكتب إلى ليعلمنى ذلك الأمر لحراسته لأن هذا مال عظيم وإنما أنتم لصوص!!

وصادر عبد الله الأموال وفرقها بين جنده، ثم كتب إلى الأفشين يخبره بما قاله هؤلاء النفر ثم قال أنا أنكر أن تكون وجهت بمثل هذا المال إلى اشروسنة ولم تكتب إلى تعلمنى فإن كان هذا المال ليس لك فقد أعطيته الجند مكان المال الذى يوجه إلى أمير المؤمنين في كل سنة وأن كان المال لك كما زعم القوم فإذا جاء المال من قبل أمير المؤمنين رددته إليك". وكتب الأفشين إلى عبد الله بن طاهر يعلمه بأن المال ماله والرجال أتباعه ويطلب منه أن يطلق سراحهم ليكملوا رحلتهم إلى أشروسنة(١).

ووقف المعتصم على حقيقة الأمر ولكنه آثر السكوت مؤقتا حتى يفرغ من القضاء على حركة بابك الخرمى وليمنع تحالف بابك مع الأفشين والمازيار، وفى نفس الوقت كتب المعتصم إلى آل طاهر بخراسان يأمرهم بالحذر والحرص ومراقبة حركات الزنادقة دون أن يثيروا مخاوف أو شكوك المازيارية .

ولما فرغ المعتصم من القضاء على حركة بابك الخرمى صوب نظره تجاه المازيار أولا حيث كان الأفشين مقيما في حاضرة الدولة تحت رقابة رجال الخليفة وبعث المعتصم إلى المازيار بأمره بتسليم أموال الخراج إلى عبد الله بن طاهر، غير أن المازيار رفض أمر الخليفة وأصر أن يحمل هذه الاموال إلى الخليفة نفسه" ونافر - أى المازيار - آل طاهر حتى تفاقم

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٣٠٣ .

الأمر بينهم (١) ومن جهة أخرى حرص الإفشين على الاستفادة من هذا النزاع، وكان يطمع في أن يتولى حكم خراسان بدلا من آل طاهر وقد دخله الزهو والخيلاء بعد انتصاراته على بابك الخرمسى ولـذا رأى الأفـشين أن يشجع المازيار على المضى فى العصيان والمخالفة وفى نزاعه مع آل طاهر فيقول الطبرى(٢).

فلما ظفر الأفشين ببابك ونزل من المعتصم المنزلة التى لم يتقدمه فيها أحد طمع في ولاية خراسان وبلغته منافرة مازيار آل طاهر فرجا أن يكون ذلك سببا لعزل عبد الله بن طاهر فدس الأفشين الكتب إلى المازيار يستميله بالدهقنة ويعلمه ما هو عليه من المودة وأنه قد وعد ولاية خراسان.

وشجعت كتب الأفشين المازيار على رفع راية العصيان فامتنع عن حمل أموال الخراج إلى عبد الله بن طاهر ، وأمر عماله بجمع الأموال من الاهالى في ولايته استعداداً للقتال، وحث الناس على الهجوم على ضياع العرب المجاورة، واخذ رهائن من هؤلاء العرب أو الموالين لهم، وبدأ اتباعه يسيئون معاملة العناصر العربية، ويصف الطبرى(٣) ما أقدم المازيار عليه فيقول: أن المازيار لما عزم على الخلاف دعا الناس إلى البيعة فبايعوه كرهاً، وأخذ منهم الرهائن فحبسهم في برج الاصبهبذ وأمراً كـرة الـصياع بالوثوب بارباب الضياع وأنتهاب اموالهم وكان أشد أتباع المازيار قوة وإرهابا رجل رجل يدعى سرخستان قبض على أكثر من عشرين الفا كبلهم بالحديد ووضعهم في معتقل على جبل هرمز أباذ.

(١) المصدر السابق ، جـ ٧ ص ٢٨٣ .
(٢) تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٧ ص ٢٨٣ .
(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٢٨٤ .

وبدأ المازيار ثورته المسلحة فأصبح يجمع الخراج لحسابه وضاعف الخراج وأخذ البيعة من الاهالى كرها وأعد الجيوش وخالف أوامر المعتصم وأرهب الناس وأثار رعبهم وخرب كثيراً من المدن[١] ويصف المسعودى [٢] الموقف بقوله:" وكثرت عساكره واتسعت جيوشه وكتب المعتصم إليه يأمره بالحضور فأبى ولذا رأى المعتصم أن يستأصل هذا الشر الذى استفحل".

كلف الخليفة المعتصم واليه عبد الله بن طاهر بالقضاء على حركة المازيار، فبعث عبد الله عمه الحسن بن مصعب على رأس جيش كثيف إلى جرجان لقتال سرخستان وإلى المازيار، كما وجه حيان بن جبلة على رأس جيش أخر إلى قومس ليقاتل جيش المازيار المحتمى بجبل شروين. كما بعث المعتصم بجيش كبير بقيادة محمد بن ابراهيم بن مصعب إلى مدينة الرى للاستيلاء على طبرستان من ناحيةأخرى ، كما بعث جيشاً آخر بقيادة ابن الساج إلى اللاروز ودنباوند. ونجحت هذه الجيوش كلها في الاحاطة بجيوش المازيار.

وشعر المارياز بخطورة الموقف، فبعث برجاله إلى أهالى المدن الذين اعتقلهم يزعم لهم أنه طلب من المعتصم أن يفتديهم بالمال ليطلق سراحهم ولكنه رفض ذلك، ثم قال " وهذا الرجل- أى المعتصم- لا يكترث بعشرين الفا ولا يبعث إلى يسأل فيكم، وأنى لا أقدم على حربه وأنتم ورائى فأدوا إلى خراج سنتين وأخلى سبيلكم، ومن كان منكم شابا قوياً قدمته للقتال ومن كان شيخاً أو ضعيفاً صيرته من البوابين[٣].

وفى نفس الوقت ، بدأ سرخستان ساعد المازيار الايمن في القبض على شباب العرب، وبعث إلى الدهاقين الفرس يأمرهم بمعاونتهم في اعتقال

(١) من هذه المدن : آمل وسارية ، وقوهيار ، وطميس.
(٢) مروج الذهب جـ ٤ ص ٦١ .
(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٢٨٨ .

العناصر العربية ثم قتلهم، وقال لهم :" إن الأبناء [١] هـواهم مـن العـرب والمسودة ، وليست آمن غدرهم ومكرهم،.وقد جمعت أهل الظنة مع أخـاف ناحيته، فأقتلوهم لتأمنوا ولا يكون في عسكركم من يخالف هواه هواكم"

ونفذ هؤلاء الفرس أوامره، ومالبث أن أمرهم أيـضا بقتـل أربـاب الضياع وإنتهاب أموالهم، فقال لهم:" إني قد ابحتكم منازل أربـاب الـضياع وحرمهم، إلا ما كان من جارية جميلة من بناتهم فإنها تصير للملك، صيروا إلي الحبس فاقتلوا أرباب الضياع جميعهم قبل ذلك، ثم حوزوا بعد ذلك مـا وهبت لكم من المنازل والحرم".[٢]

وبدأت الجيوش العباسية بالقضاء علي سرخستان الذي كان متحصنا في مدينة طميس قرب حدود جرجان، ونجح القائد الحسن بن الحـسين بـن مصعب في اقتحام أسوار الحصن بعد حصار طويل. واستطاع سرخـستان الهرب، ولكنه عاني من الجوع والعش ووقع في أيدي العباسيين، ولقي حتفه جزاء علي ما أقدم عليه من قتل وإرهاب.

وممن قبض عليهم العباسيون من أنصار سرخستان الشاعر الغطريف ابن حسين المعروف بأبي شاس الذي كان بمثابـة المستـشار لسرخـستان وعاونه في حملته التي شنها ضد العرب ومن الطريف أن أبا شاس هذا كان قد نجح في الهرب، وحمل علي عاتقه جره وتظـاهر بأنـه سـقاء ولكـن العباسيين قبضوا عليه وحملوه إلي الحسن بن الحسين، وقال له أحـد أتبـاع القائد: قل في الأمير قصيدة: فقال الشاعر: والله لقد أمتحي ما في صدري من كتاب الله من الهول، فكيف أحسن الشعر؟ ونجح القائد العباسي حيان بن جبلة في أن يستميل إليه قارن بن شهريار وهو ابن أخي المازيار ورغبـة فـي

---

(١) الأبناء هم الجيل المهجن من أباء عجم وأمهات عربيات .
(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٢٨٩ .

الطاعة وضمن له أن يملكه علي جبال أبيه وجده وأبدي قارن هذا إخلاصه للعباسيين بأن قبض علي عبد الله بن قارن أخي المازيار وبعض قواده، وسلمهم للجيش العباسي مما أثار ألم وأسف المازيار[١].

وكان لمقتل سرلخستان، وانضمام قارن إلي العباسيين أثره في خروج أهالي كثير من المدن علي طاعة المازيار ولم يجد المازيار من رجاله من يعتمد عليهم غير ابن عمه قوهيار الذي كان يحكم جبال طبرستان، ثم تنازل عن حكمها للمازيار وصار تابعا له. حتي إذا اقتربت الجيوش العباسية من حصون المازيار، استدعي إليه أبن عمه قوهيار ووعده بأن يرد إليه الأقاليم التي كان يحكمها من قبل علي أن يعاونه ضد العباسيين، وأطلعه علي رسائل الأفشين إليه التي حرضته فيها علي عصيان الخليفة وآل طاهر علي السواء. ولكن قوهيار خيب ظن ابن عمه، إذ لم يعد يثق فيه، فراسل القواد العباسيين وأطلعهم علي تحالف الأفشين مع المازيار، ونقل هؤلاء القواد هذه الأخبار إلي الخليفة المعتصم[٢] وسمح للجيوش العباسية بأن يهاجموا المازيار من ناحية منطقته الجبلية فبعث القائد العباسي الحسن بن الحسين بجيش لقتال قوات المازيار الرئيسية، كما بعث بجيش آخر للهجوم علي جيش المازيار من الخلف وأصبح المازيار بين شقي الرحا، فوقع في الأسر.

وحاولت المازيارية أن تنتقم لأسر زعيمها، فثارت بزعامة ابن عم للمازيار هو شهريار بن المصمغان، ونجحت في قتل قوهيار لتحالفه مع العباسيين ثم بدأت تناوش الجيوش العباسية، ولكن هذه المحاولات اليائسة كان مصيرها الإخفاق التام.

---

(١) المصدر السابق جـ ٧ ص ٢٩٢ .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٢٩٢ .

ومثل المازياريين بين يدي عبد الله بن طاهر والي خراسان، وبدأ ابن طاهر بمصادرة كنوز المازيار التي حملت معه[(١)] ثم سأله عن الكتب التي بعث بها الأفشين إليه يحثه فيها علي العصيان والثورة. علي أمل أحياء الدين المجوسي القديم بدلا من الإسلام"فأقر علي الأفشين إنه بعثه علي الخروج والعصيان، لمذهب كانوا اجتمعوا عليه ودين اتفقوا عليه من مذاهب الثنوية والمجوس. [(٢)]

وسلم المازيار كتب الأفشين إليه لعبد الله بن طاهر، الذي بعثها بدوره مع المازيار إلي المعتصم، وأوصي ابن طاهر قائد الحرس المرافق للمازيار بالمحافظة علي هذه الكتب وتسليمها شخصيا للخليفة.

وقبل وصول المازيار إلي العاصمة سامرا بيوم واحد، قبض المعتصم علي الأفشين، فقد انكشف أمره نتيجة خلاف وقع بينه وبين أحد قادته، وهو منكجور الأشروسني، حول الغنائم التي حازها أثناء قتاله لبابك الخرمي. فقد احتفظ منكجور هذا ببعض الغنائم دون أن يخطر بها المعتصم أو الأفشين علي السواء. وكتب عامل البريد إلي الخليفة بالأمر. وانكر منكجور الأموال التي حازها، مما أغضب الخليفة عليه فأمر الأفشين بعزله، فبعث الأفشين بقوة عسكرية لإرغام منكجور علي التخلي عن منصبه، وأعلن منكجور العصيان واعتصم بحصن من حصون آذربيجان كان لبابك من قبل ، ولكن قائد الأفشين نجح في القبض عليه" فقدم به إلي سامرا، فأمر المعتصم بحبسه، فاتهم الأفشين في أمره[(٣)].

---

(١) بلغت ثروة المازيار ٩٦ ألف دينار، ١٧ قطعة زمرد ، ١٦ قطعة ياقوت أحمر وتاج وسيف من الذهب وصندوق كبير مملوء بالجواهر (الطبرى: المصدر السابق ، جـ٧ص ٢٩٧).

(٢) المسعودى : مروج الذهب جـ ٤ ص ٦١ .

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٣٠٢ .

وأدرك الأفشين أن أمره انكشف، وإنه هالك لا محالة، فقد وقف المعتصم علي ما كان بينه وبين المازيار والأفشين، وما كان من تحريض الأفشين لمنكجور علي الثورة، وتحير الأفشين فيما يصنع لينجو بنفسه من هذا المأزق الحرج. ويصور الطبري[1] هذا الموقف بقوله: " فتحقق عند المعتصم بما كان من أمر الأفشين ومكاتبته مازيار بما كان يكاتبه به ما كان اتهمه من أمر منكجور، وأن ذلك كان عن رأي الأفشين وأمره أياه به، فتغير المعتصم للأفشين لذلك، وأحسن الأفشين بذلك وعلم تغير حاله عنده، فلم يدر ما يصنع".

وامعن الأفشين في التفكير في سبيل النجاة. واجتمع مع بعض رجاله وفكروا في الفرار من سامرا فيخرجون إلى الموصل ويعبرون نهر الزاب.

ويرحلون إلى بلاد أرمينيا ثم بلاد الخرز. ثم رأوا صعوبة تنفيذ هذه الخطة ففكروا في خطة أخرى. بأن يدعو المعتصم وقواده إلى وليمة ويعد لهم طعاماً مسموماً يقضى عليهم فيتخلصوا منهم جميعاً.

غير أن خطط الأفشين واصحابه أخفقت وباءت بالفشل، إذ أفشاها أحد قواده ويدعى واجن الأشروسنى للخليفة الذى أمره في الحال بسجن الأفشين. كما كتب إلى عبد الله بن طاهر بالقبض على الحسن بن الأفشين[2].

وبعد القبض على الأفشين بيوم واحد، وصل المارياز إلى سامرا وحرض رجال المعتصم على التشهير به كما شهروا ببابك من قبل فأركبوه على ظهر بغل. وصور الطبري[3] المجلس الذى ضم المعتصم والمازيار

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٣٠٤ .
(٢) المصدر السابق ، جـ ٧ ص ٣٠٥ .
(٣) المصدر السابق ، جـ ٧ ص ٣٠٣ .

والأفشين فقال" فجلس المعتصم في دار العامة لخمس خلون من ذي القعدة[١] وأمر فجمع بينه وبين الأفشين. وقد كان الأفشين حبس قبل ذلك بيوم. فأقر المازيار أن الأفشين كان يكاتبه ويصوب له الخلاف والمعصية، فأمر برد الأفشين إلى محبسه وأمر بضرب مازيار فضرب اربعمائة سوط وخمسين سوطا. وطلب ماء فسقي فمات من ساعته".

ويذكر البغدادي أن المعتصم أمر بصلب جثة المازيار إلى جانب جثة بابك الخرمي[٢]. ويذكر المسعودي أن الخشبة التي صلب المازيار عليها قد مالت إلى خشبة بابك فتدانت جثتهما وصور الشاعر أبو تمام حبيب بن أوس هذا المشهد في أبيات من الشعر هي :

ولقد شفى الاحشاء من برجائها إذ صار بابك جار مازيار

ثانية في كبد السماء ولم يكن لأثنين فإن أذهما في النار

فكأنما انحنيا لكيما يطويا عن باطش خبرا من الأخبار[٣]

أما الأفشين فكان من بلاد أشروسنة، أحدى أجزاء بلاد ما وراء النهر[٤] وكان هو وأبوه في خدمة الخليفة المعتصم، ووثق الخليفة به حتى انه ولاه قيادة احدى الفرق التي سيرها لغزو عمورية، وأبدى شجاعة واقداما جعلته موضع ثقة وتقدير المعتصم، حتى أنه ولاه أمر القضاء على حركة بابك الخرمي.

ولكن الأفشين خان الامانة، وتنكر للخليفة، وللدين وللدولة ، والنظم الاجتماعية. فقد كان – كما كان بابك والمازيار – يسعى إلى الاستقلال ببلاده،

---

(١) سنة ٢٢٥ هـ.

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٦٩ .

(٣) مروج الذهب جـ ٤ ص ٦١ .

(٤) وتقع بين أقاليم فرغانة شرقا وسمرقند غربا والشاس شمالاً

والخروج على الاسلام والدولة العباسية معا. كما كان يعتقد انه لا سبيل إلى نصرة المجوسية إلا علي أيديهم[١].

عقت المحاكمة علنية للأفشين في قصر الخلافة، وحضرها رجالات الدولة، مثل الوزير محمد بن عبد الملك الزيات، والقاضي أحمد بن أبي داود واسحق بن إبراهيم بن مصعب وتولي الوزير توجيه الادعاءات وحضر شهود الاثبات، وهم المازياز صاحب طبرستان والموبذ والرمزبان أحد ملوك الصغد[٢] ورجلان من أهل الصغد.

الأول أن الافشين ضرب مؤذن وإمام احد المساجد في أشروسنة ونادى الوزير شاهدى الاثبات وهما الرجلين من أهل الصغد. وكانا يرتديان ثيابا رثة، وكشفا عن ظهرهما فبان آثار الضرب الشديد وسأل الوزير الأفشين: تعرف هذين؟ فأجاب الأفشين: نعم، هذا موذن وهذا إمام، بنيا مسجدا بأشروسنة، فضربت كل واحد منهما الف سوط، وذلك أن بيني وبين ملوك الصغد عهدا، أو شرطا أن أترك كل قوم على دينهم وما هم عليه، فوثب هذان على بيت كان فيه أصنامهم- أى اصنام أهل أشروسنة- فأخرجا الأصنام واتخذاه مسجداً فضربتهما على هذا الفا الفا، لتعديهما ومنعهما القوم من بيعتهم[٣].

وتوجه الوزير بالاتهام الثانى فسأله عن كتاب يحتفظ به عنده يزينه بالذهب والجوهر وفيه كفر بالله. ودافع الأفشين عن نفسه فقال: هذا كتاب ورثته عن أبى فيه أدب من العجم وما ذكرت من الكفر فكنت استمتع منه بالادب وأترك ما سوى ذلك ووجدته محلى فلم تضطرنى الحاجة إلى أخذ

---

(١) حسن ابراهيم : تاريخ الأسلام جـ ٢ ص ١٠١ .
(٢) من بلاد ما وراء النهر .
(٣) المسعودى : مروج الذهب جـ ٤ ص ٦١ .

الجلية منه فتركته على حالة ككتاب كلية ودمنة وكتاب مزدك فى منزلك فما ظننت أن هذا يخرج من الإسلام!! (١).

أما الادعاء الثالث فقد قام بتوجيهه المبذ إذ قال أن هذا كان يأكل المخنوقة ويحملنى على اكلها ويزعم أنها أرطب لحما من المذبوحة وكان يقتل شاة سوداء كل يوم أربعاء يضرب وسطها بالسيف ثم يمشى بين نصفها ويأكل لحمها، وقال لى يوما: إنى قد دخلت لهؤلاء القوم- يعنى العرب- في كل شئ أكرهه حتى أكلت لهم الزيت وركبت الجمل ولبست النعل غير أنى إلى هذه الغاية لم تسقط عنى شعرة. يعنى لم يحلق شعر العانة ولم يختتن!!(٢).

وقبل أن يدفع الأفشين عن نفسه هذه الاتهامات اراد أن يجرح الشاهد حتى يهدم إدعاءاته، فتساءل الأفشين: خبرونى عن هذا الذى يتكلم بهذا الكلام ثقه هو في دينه؟ وكان الموبذ حينئذ مجوسيا فأجاب الحضور بالنفى فقال الأفشين في إستنكار. ما معنى قبولكم شهادة من لا تثقون به ولا تعدلونه؟

وتوالت التهم على الأفشين ولم يستطيع أن يبرء نفسه منها، فأمر الخليفة بحبسه ثم أمر بقتله فتم له ذلك، ثم أخرج جثته فصلبها على باب سامرا ثم أنزلها وأحرقها مع الاصنام التى وجدت في داره وذلك في شعبان سنة ٢٢٦هـ/ ٨٤١م(٣) وبذلك انتهت آخر المؤمرات الأعجمية المناهضة والمعادية للعروبة والإسلام، وقدر للدولة العباسية أن تظل شامخة وتبقى رمزا للحكم العربى الإسلامى رغم أنف الأعداء.

---

(١) المسعودى : مروج الذهب جـ ٤ ص ٦١ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٦ ص ٦١ .
(٣) اليعقوبى : تاريخه ، جـ ٢ ص ٤٧٨ . المسعودى : مروج الذهب جـ ٤ ص ٦٢ . ابن الأثير : الكامل ، جـ ٦ ص ٦٦.

علاقة المعتصم بالبيزنطيون:

ازدادت العلاقات العباسية البيزنطية سوءا في عهد المعتصم، الذى رأى أنه لابد لكي يتفرغ لقتال البيزنطيين أن يبدأ أولا بالقضاء على بابك الخرمى وجماعته، غير ان الإمبراطور البيزنطى انتهز فرصة انشغال المعتصم بمطاردة الخرميين وأغار على مدينة زبطرة وأحرقها، وأسر من فيها من المسلمين وقد أثار هذا العمل غضب المعتصم إذ كانت هذه المدينة مسقط رأس أمه[١].

ويذكر ابن الأثير[٢]: أنه لما خرج ملك الروم وفعل فى بلاد الإسلام ما فعل بلغ الخبر المعتصم، فلما بلغه ذلك استعظمه وكبر لديه، وبلغه أن امرأة هاشمية صاحت وهى أسيرة في أيدى الروم: وامعتصماه! فأجابها وهو جالس على سريره: لبيك .. لبيك! ونهض من ساعته، وصاح في قصره : النفير .. النفير..، ثم ركب دابته".

وبعد أن تمكن المعتصم من القضاء على بابك[٣]، سار في الحال إلى أنقرة في جيش جرار، وسرعان ما انتصر على الإمبراطور البيزنطى واستولى على أنقره، ثم اتجه إلى عمورية مسقط رأس والد الإمبراطور بغية الانتقام لما أصاب زبطرة، وقام المعتصم بحصار عمورية، وقاتلها حتى سقطت، فأسرف في قتل الأهالى، حتى قيل إنه قتل نحو ثلاثين ألفاً من سكانها ثم تركها بعد ذلك نهباً للتدمير والسلب والحرق أربعة أشهر كاملة[٤]،

---

(١) اليعقوبى : تاريخه ، جـ ٢ ص ٤٧٦ . ابن الأثير : الكامل جـ ٦ ص ١٩ .

(٢) الكامل ، جـ ٦ ص ٤٠.

(٣) انظر التفاصيل فى : اليعقوبى : تاريخه ، جـ ٢ ص ٤٧٤ . الطبرى : تاريخ الرسل والملوك، جـ ٩ ص ٢٣، ٢٩ ، ٤٤ ، ٥٦ . الدينورى : الأخبار الطوال، ص ٤٠٤. المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٤، ص ٥٥ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٦ ص ٤٠ ، ٤٥ .

وقد أشاد الكتاب والشعراء بهذا النصر، من ذلك القصيدة التي نظمها الشاعر أبو تمام[١] والتي يقول في مطلعها:

السيف أصدق أنباء من الكتب — في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف — في متونهن جلاء الشك والريب
والعلم في شهب الأرماح لامعة — بين الخميسين لا في السبعة الشهب
يا يوم وقعة عمورية انصرفت — عنك المنى جفلاً معسولة الحلب
ابقيت جد بنى الإسلام في صعد — والمشركين ودار الشرك في صبب

ويعلق محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم على ما أحدثه المعتصم في عمورية حيث يقول:" ما رأيت أشهم من المعتصم ولا أشجع منه ولا أقوى قلبا وعهدى به يوم حريق عمورية وهو أول من قفز على النار كأنه عقاب كاسر". [٢]

وكان المعتصم قد عزم على غزو بلاد الاندلس وإعادتها لحظيرة الدولة العباسية وكلف أحمد بن الخصيب باعداد الميزانية المطلوبة والترتيبات اللازمة لبدء الغزو فقال له :" إن بنى أمية ملكوا وما لأحد منا ملك ، وملكنا نحن ولهم بالاندلس هذا الأموى، فقدر ما يحتاج إليه لمحاربته"[٣].

وبالفعل شرع ابن الخصيب في تنفيذ أمر الخليفة، غير أن المنية عاجلت الخليفة، حيث كان مريضا فاشتدت علته وتوفى في الثامن عشر من ربيع الاول ٢٢٧هـ/٨٤١م[٤].

---

(١) ديوان أبى تمام ، دار المعارف . القاهرة، جـ ١ ص ٤٥ .
(٢) ابن عمرانى : الأنباء ، ص ٧١ .
(٣) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٩٦ .
(٤) اليعقوبى : تاريخه ، جـ ٢ ص ٤٧٨ . السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٣٩٦ .

ثانيا : *الخليفة الواثق بالله*:

هو أبو جعفر هارون بن المعتصم بالله المعروف بالواثق بالله، ولد سنة ١٨٦ هـ/ ٨٠٢م من جارية رومية تدعى قراطيس[١]، وبويع بالخلافة في نفس اليوم الذى توفى فيه أبيه في الثامن عشر من ربيع الأول سنة ٢٢٧هـ/٨٤١ م[٢]

وكان عمه الخليفة المأمون يحبه ويعتنى به عناية خاصة، فيذكر أنه كان يجلسه في مجلس الخلافة وأبوه المعتصم واقف، وتولى المأمون تربيته وتعليمه أمور الدين والعلم والسياسة، وكان يقول للمعتصم:" يا أبا إسحاق لا تؤدب هارون فإنى أرضى ادبه. وكان يعلمه الأدب والخط بنفسه ويقراه القرآن بنفسه"[٣] لذلك نشأ الواثق شبيها بالمأمون في كل أموره، وكان يطلق عليه المأمون الصغير"[٤].وتتفق معظم المصادر[٥] على مدح الواثق والثناء عليه فتذكر أنه كان شاعراً أديباً كريماً حليماً، حافظاً لأشعار العرب، عارفاً بالغناء، لبيباً فطناً فصيحاً، من أفاضل خلفاء بنى العباس ، ومن أكرمهم طبعاً وأجودهم بذلاً وعطاء.

ومن مظاهر تشبه الواثق بالمأمون وتقليده في أمور الدولة أنه ابتدأ خلافته بالتقرب إلى العلويين والعطف عليهم، وبالغ فى إكرامهم والإحسان إليهم ورد إليهم مظالمهم[٦]. وشمل ذلك أهل الحجاز جميعا إكراماً لهم ، فقيل أنه فرق في أهل الحرمين " اموالا لا تحصى حتى أنه لم يوجد في أيامه

---

(١) اليعقوبى : تاريخه ، جـ ٢ ص ٤٧٩ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٦ ص ٧٣ .
(٣) ابن عمرانى : الأنباء ، ص ٧٥ .
(٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة .
(٥) اليعقوبى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٤٨٣، ابن عمرانى: المصدر السابق ، ص ٧٥، ٧٦، ابن طباطبا : الفخرى ، ص ٢٣٦ .
(٦) اليعقوبى : تاريخه ، جـ ٢ ص ٤٨٣ . ابن طباطبا: الفخرى ، ص ٢٣٦ .

بالحرمين سائلا ولما توفى كان أهل المدينة تخرج من نسائهم كل ليلة إلى البقيع فيبكين عليه ويندبنه ففعلوا ذلك مناوبة بينهم حزناً عليه(١). كذلك اتبع الواثق سياسة عمه المأمون وأبيه المعتصم في مسألة خلق القرآن فعمل على فرضها ونشرها في العراق والأقاليم الأخرى التابعة للخلافة وامتحن العلماء والأدباء في خلق القرآن وحبس الكثيرين ممن امتنع عن القول به.

ليس هذا فحسب بل امتحن الأسرى الذين كانوا بأيدى الروم خلال عملية الفداء وتبادل الأسرى التى جرت بينه وبين الروم، فجعل بعض رجاله على الحدود الفاصلة بينه وبين الروم" فكلما مر رجل من الاسرى امتحنوه في القرآن، فمن قال أنه مخلوق فودى به، ودفع إليه ديناران وثوبان ومن لم يقل ذلك ترك في أيدى الروم، وكان عدة من فودى به خمسمائة رجل وسبعمائة امرأة"(٢) بينما كان عدد أسرى المسلمين آنذاك أربعة آلاف وأربعمائة وستين أسيراً (٣).

١- سياسته الداخلية وأهم الاحداث في عهده:-

انتهج الواثق نفس السياسة الداخلية التى انتهجتها أبيه المعتصم وهى الاستعانة بالعنصر التركى والاعتماد عليه في إدارة شئون الدولة كعنصر أساسى من الدرجة الأولى وبديل عن العناصر الاخرى، وازداد نفوذ الترك وتغلغلوا في نظام الحكم والإدارة أكثر من ذى قبل. وحظوا بصلاحيات واسعة ومكانة مرموقة في المجتمع العباسى .

فمجرد أن تولى الواثق الخلافة أقر القائد التركى اشناس على ولاية مصر والمغرب، غير ان أشناس كسابق عهده ظل مقيماً بحاضرة الخلافة

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٦ ص ٩٢ .
(٢) اليعقوبى: المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة، ابن الأثير: الكامل ، جـ ٦ ص ٨٦: ٨٨ مع بعض الاختلاف .
(٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ٦ ص ٨٨ .

وعين نوابا في إدارة ولاياته(١)، ولقى أشناس الكثير من مظاهر التكريم والاجلال من قبل الخليفة الواثق، فيذكر أن الواثق أنعم عليه بلقب السلطان(٢)، وأنابه على الادارة المركزية بالعراق وألبسه وشاحين مجوهرين وتاج مجوهر وذلك سنة ٢٢٨ هـ/ ٨٤٢م، وظل أشناس منعما فى كنف الخلافة حتى توفى سنة ٢٣٠هـ/٨٤٤م(٣)، ليس هذا فحسب وإنما حظى بالتكريم بعد وفاته أيضا، فقد وهب الخليفة الواثق أمواله وضياعه وكافة ممتلكاته لأبنائه من بعده(٤).

وآلت أعمال أشناس بعد وفاته إلى قائد تركى أخر وهو إيتاخ، وحظى إيتاخ بنفس المركز والمكانة التى كان أشناس يحظى بها لدى الواثق، وكان إيتاخ قبل ذلك يتولى إدارة اليمن منذ خلافة المعتصم فأضاف إليه الواثق ولاية خراسان والسند وكور دجلة ، ثم ضم إليه أعمال أشناس(٥).

وحذا إيتاخ حذوا أشناس فظل مقيما بحاضرة الخلافة وعين العمال من قبله على إدارة أعماله، فكان معظما لدى الخليفة والرجل الأول في دولته حيث جعل إليه الاشراف على أعمال الدواوين الرئيسية والقيادة العامة للجيوش وظل على تلك الحال حتى توفى الواثق سنة ٢٣٢ هـ/٨٤٦ م وتولى المتوكل فأقره أيضا على أعماله. (٦).

ومن الشخصيات التركية المرموقة لدى الواثق نذكر القائد العسكرى والحارس الشخصى للخليفة وهو وصيف التركى، ومن أهم منجزاته الحربية

---

(١) أنظر اليعقوبى : تاريخه ، جـ ٢ ص ٤٧٩ . الكندى: ولاة مصر ، ص ١٥٣ .
(٢) انظر : عبد السلام الترمانينى : أزمنة التاريخ الإسلامى ، جـ ١ ص ٥٢٩.
(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ٢٣٥. السيوطى: تاريخ الخلفاء ص ٤٠٠ .
(٤) اليعقوبى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٤٨١ .
(٥) اليعقوبى : تاريخه ، جـ ٢ ص ٤٨١ .
(٦) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٩ ص ١٦٧ .

قضاءه على ثورات الأكراد بالمشرق، وقد حاربهم وتمكن من اخماد ثوراتهم وحمل الكثيرين منهم أسرى إلى الخليفة الواثق، فسر به وأنعم عليه بمكافأة مالية قدرها ٧٥ الف دينار وقلده سيفا وكساه(١)، وقد بلغ نفوذ وصيف حدا كبيراً إلى درجة انه كان صاحب الرأى الأول في تولية الخليفة المتوكل قبل دفن الخليفة الواثق بالله(٢).

كذلك كان القائد بغا الكبير من الشخصيات البارزة في خلافة الواثق وقد لعب دورا كبيراً في حرب بابك الخرمى من قبل، ثم ولاه الواثق قيادة الجيوش وبعثه إلى الحجاز لقمع ثورات الأعراب، وتمكن بغا من ذلك وأقر الأمن والنظام ومكن الحجاج من تأدية الفريضة بامن وسلام وكافأه الواثق بان جعله أميراً للحج في ذلك العام وذلك سنة ٢٣١ هـ/ ٨٤٥ م(٣).

والحاصل أن الأتراك كانوا أصحاب السلطة الحقيقة والنفوذ المطلق في خلافة الواثق، وقد تقاسموا إدارة الدولة وتوارثوها فيما بينهم وكان لتلك السياسة أثرها السلبى السئ على الدولة حيث تحركت مشاعر الرفض والغضب لدى العرب فواصلوا حركات المعارضة الثورية ضد الخليفة وسياسته المتحيزة للترك فقام عرب الحجاز بثورة مسلحة بزعامة عزيزة الخفافى وأعلموا التخريب والارهاب حتى تخلف المسلمين عن أداء فريضة الحج وبايعوا لأميرهم بالخلافة(٤) غير أن بغا الكبير تمكن من قمع تمردهم وإخماد ثورتهم وعاد المسلمين لأداء الفريضة فى أمن وسلام كما سبق ذكره.

ولم يكن المعتصم قد قضى على ثورة المبرقع تماما حيث ظلت قائمة في خلافة الواثق فبعث الواثق إليه جيشاً بقيادة أيوب بن أبى رجاء

---

(١) المصدر السابق جـ ٩ص ١٤٠ – ١٤١.
(٢) المصدر السابق جـ ٩ص ١٥٤ – ١٥٥.
(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٩ ص ١٤٦ - ١٥٠ .
(٤) اليعقوبى : تاريخه ، جـ ٢ ص ٤٨٠ .

الحضارى، فتمكن من هزيمته وحمله أسيراً إلى سامراً وحبسه الواثق حتى مات فى أواخر سنة ٢٢٨ هـ/ ٨٤٢م(١).

وفى أرمينيه قام العرب بثورة مناهضة لسياسة الواثق، فبعث لهم الجيش تلو الآخر حتى تمكن محمد بن خالد بن يزيد الشيبانى فى نهاية الامر أن يخمد الثورة ويقر الأمن والنظام بها بعد جهد جهيد. (٢)

اما علاقة الواثق بالعلويين فكانت ودية وحميمة حيث سار على نهج عمه المأمون فأكرم العلويين وقربهم إليه وأنعم عليهم فلم يقم العلويين بأى حركات عدائية في عهده (٣).

٢- سياسة الواثق الخارجية:

من الواضح أن الواثق عانى الكثير من الفتن والثورات والاضطرابات الداخلية في أنحاء عديدة من لدولة بسبب سياسته الموالية للعنصر التركى كما سبق ذكره، فلم يكن بمقدوره أن يفتح جبهات حربية خارجية، حيث كرس جهوده لقمع الثورات الداخلية واقرار الامن والنظام في العاصمة المركزية والأقاليم التابعة للخلافة، لذلك نجد ان عهده يتسم بالهدوء والموادعة والميل إلى الصلح والسلام مع القوى الخارجية، فعلى سبيل المثال يذكر اليعقوبى(٤) ان ملك الروم كتب إليه يذكره بكثرة الاسرى المسلمين عنده ويدعوه إلى فدائهم فأجابه الواثق إلى ذلك وعقد معه معاهدة صلح وسلام وفك ألفا ومائتين من أسرى المسلمين ما بين رجل وامرأة وذلك في المحرم سنة ٢٣١ هـ/ ٨٤٥م ولم يرد بالمصادر ما يفيد أن الواثق قام بأى محاولة عدائية ضد الروم أو غيرهم في عهده.

---

(١) المصدر السابق؛ نفس الجزء والصفحة،ابن الأثير : الكامل جـ٦ ص ٦٩-٧٠
(٢) اليعقوبى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٤٨١ -٤٨٢ .
(٣) ابن طباطبا : الفخرى ص ٢٣٦ .
(٤) تاريخ اليعقوبى ، جـ ٢ ص ٤٨٢ .

ودامت خلافة الواثق خمس سنين وتسعة أشهر وعدة أيام، فقد تـوفى في الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة ٢٣٢هـ/ ٨٤٦ من ودفن فى قصره المعروف بالهارونى في العاصمة سامراً[١].

والواقع أن خلافة الواثق ووفاته تعد حداً فاصلا بين عـصرين مـن عصور الخلافة العباسية، فقد انتهى بوفاته العـصر العباسـى الأول وهـو المعروف بالعصر الذهبى وعصر الازدهار السياسى والحـضارى . وبـدأ العصر العباسى الثانى المعروف بعصر نفوذ الأتـراك وعـصر التـدهور والانهيار والتفكك، فقد بدأت مع هذا العصر ظهور دويلات إسلامية مـستقلة عن جسم الخلافة العباسية، وإذا كان مركز العرب ونفوذهم قوياً وواضحاً في العصر العباسى الأول، فإن مركزهم ونفوذهم بدأ يضمحل ويتلاشى مع بداية العصر العباسى الثانى، وبدأ نفوذ الموالى يطغى ويتعاظم[٢].

(١) اليعقوبى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٤٨٣ . ابن الأثير : الكامل ،ن جـ ٦ ص ٩٢.
(٢) انظر : حسن احمد محمود : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص ٧٦: ٧٩ ، ٣٢٢ ، ٣٢٨:. عبد البارى الطاهر : فرسان الخلافة ، ص ٢٧٣، ٢٧٤ .

الخاتمة

يطلق على العصر العباسى الثانى العصر التركى أو عصر نفوذ الأتراك وذلك لأن الأتراك تمكنوا من السيطرة على الجيش والإدارة وأصبح خلفاء بنى العباس ألعوبة في أيديهم.

ويعتبر المؤرخون هذا العصر هو عصر التدهور والانهيار بالنسبة للخلافة العباسية بعد أن كان العصر العباسى الأول هو عصر النهضة والازدهار. وهذه العناصر التركية كان موطنها الاساسى بلاد ما وراء نهر جيحون او ما يطلق عليه اسم إقليم تركستان. وكان هذا الإقليم قد تم فتحه في عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك على يد قتيبة بن مسلم، وبعد ذلك انتقلت إليه بعض القبائل العربية حيث استقرت هناك، وتزاوج العنصران التركى والعربى، وانتشر الدين الإسلامى في تلك المناطق انتشاراً واسعاً . وكذلك نزحت اعداداً كبيرة من الترك إلى الدولة الإسلامية غربا واستقروا في أقطارها المختلفة مثل مصر والشام والعراق.

ولما كان الترك عنصراً حربياً ممتازاً ، يمتازون بالقوة الجسمية والمهارة في القتال والفروسية، فقد سمح لهم العرب أول الأمر بالمشاركة في الدفاع عن بلادهم وفى عهد الدولة العباسية اشترك هؤلاء الترك في جيش الدولة الأساسى فجلبت منهم أعداداً كبيرة لهذا الغرض.

وكان الخليفة المأمون هو أول من استخدم الترك في الجيش ولما اعتلى المعتصم عرش الخلافة جعلهم عصبته، بل وأسقط العرب من الديوان، وعنى بجنده من الترك وأسلحتهم وملابسهم عناية خاصة، وقد رأينا كيف أنه سمح لهم بدخول بغداد على ظهور الخيل وكيف سخط سكان العاصمة من

ذلك وسرعان ما دب النزاع بين الفريقين فقرر المعتصم اتخاذ عاصمة جديدة هى مدينة سامراً لكى تكون مركزاً لقواته من الأتراك.

وقد اتبعت الدولة العباسية سياسة المساواة بين العرب وبين غيرهم من شعوب البلاد المفتوحة، فأيقظت هذه السياسة الروح القومية لدى تلك الشعوب، فبدأت في أطراف الدولة العباسية وأقاليمها حركات انفصالية وساعد على قيامها ضعف سلطان الخليفة العباسى في بغداد في العصر العباسى الثانى وبعض زعماء هذه الحركات أسس دولا مستقلة استقلالا تاماً عن الدولة العباسية ولم تعترف لها بالسيادة ، وبعضها لم يستقل عنها استقلالا تاماً، وإنما كان استقلالاً ذاتياً بمعنى انها ظلت تعترف بالسيادة الروحية للخليفة العباسى، فتخطب له من على المنابر وتقوم بضرب السكة باسمه وتنقش هذا الاسم على الطراز، وترسل الجزية إلى الخليفة، وتحرص على استصدار التقليد بولاية الولاية منهم. بينما كان الوالى حراً في إدارة ولايته وكان لكل ولاية جيشها الخاص.

ففى الأندلس تمكن الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك من تأسس الدولة الأموية المستقلة عن الخلافة العباسية، غير أن عبد الرحمن لم يتخذ لقب خليفة وإنما اتخذ لقب أمير وابن الخلائف وذلك من منطلق حرصه على وحدة العالم الإسلامى ووحدة الخلافة الإسلامية الممثلة في الخلافة العباسية، واحتراما لرأى الفقهاء الذين كانوا يرون عدم جواز تعدد الخلافات، كما كانوا يرون أن الخليفة الشرعى هو الذى كانت تقع فى حوزته الأماكن المقدسة في مكة والمدينة، وكانت فى ذلك الوقت ضمن أراضى الدولة العباسية.

وظل الأمر كذلك حتى تولى الحكم في الأندلس عبد الرحمن الناصر، فاتخذ لقب خليفة، وفى ذلك يقول المؤرخ ابن أبى دينار في كتابه " المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس" ودانت لعبد الرحمن البلاد، بقى ملكا ثلاثا وثلاثين سنة وتداولها بنوه من بعده، ولم يخطب أحد منهم لبنى العباس ولم يدخل تحت طاعتهم، إلى أيام عبد الرحمن الثالث الذى تلقب بالناصر لدين الله ونسمي بأمير المؤمنين".

وفى المغرب الأقصى تمكن الأمير العلوى إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب من تأسيس الدولة التى نسبت إليه ونعنى بها دولة الأدارسة، والتى دام حكمها قرابة قرنين من الزمان بدءا من ١٧٢ هـ/ ٧٨٨م، وانتهاء بسقوطها ٣٦٣ هـ/٩٧٤م ولما كان العلويون يعتبرون أنفسهم أصحاب الحق الشرعى في الخلافة وأن العباسيين اغتصبوا منهم هذا الحق تلقب الإدارسة بالخلفاء ولم يحكم إدريس الأول مدة طويلة، إذ توفى فى عام ١٧٧ هـ، وقيل أن هارون الرشيد بعث برجل يدعى سليمان الشماخ تمكن من دس السم له، وخلفه في الحكم ولده إدريس الثانى، واهم ما قام به من اعمال :إنشاء عاصمة جديدة لدولته هى مدينة فاس وفى عهده قام النزاع بين الدولة الأدريسية ودولة الأغالبية التى قامت في أفريقيا.

وقد أخذت دولة الأدارسة في الإضمحلال بعد وفاة إدريس الثانى عام ٢١٣هـ/ ٨٨٢م فقد ترك أحد عشر ولداً، وخلفه على العرش ولده الأكبر محمد. ثم قام محمد هذا بتقسيم المملكة إلى ولايات أقام على حكمها ثمانية من أخوته، ولم يلبث أن قام النزاع والصراع بين هؤلاء الأخوة مما أدى إلى إضعاف الدولة. كذلك قام موسى بن أبى العافية زعيم قبيلة مكناسة البربرية بثورة داخل الدولة ونجح في الاستقلال ببعض اجزائها. كما أخذ الأمويون

في الأندلس يوجهون أطماعهم نحو دولة الأدراسة وقد تمكنوا في عام ٣١٦ هـ من إنزال ضربة قاسمة بالأدراسة باستيلائهم على سبتة، واخذوا في مطاردة الأدراسة في كل مكان وهكذا انتهت دولتهم بعد أن ظلت تحكم المغرب الأقصى قرابة قرنين من الزمان.

وفى تونس نجح إبراهيم بن الأغلب التميمى في تأسيس دولة الأغالبة واتخاذ مدينة القيروان عاصمة لها. وكانت هذه الدولة الأغالبية مستقلة في نطاق التبعية للخلافة العباسية، أقامها هارون الرشيد لتكون دولة حاجزة لحماية أطراف الدولة من الجانب الغربى من اخطار الخوارج، والأدارسة في المغرب الأقصى، والأمويين في الأندلس والبيزنطيين.

وقد أسس إبراهيم بن الأغلب مدينةً جديدة على بعد ثلاثة اميال جنوبى القيروان أسماها العباسية لتكون عاصمة لدولته. وكان الحكم وراثياً في هذه الأسرة طوال مدة حكمها حتى تمكن الفاطميون من القضاء عليها.

واستقل أحمد بن طولون بحكم مصر سنة ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م-٢٩٢هـ/ ٩٠٥م ولم يكن يربطه بالخلافة العباسية سوى بعض المظاهر الشكلية مثل إرسال الأموال المطلوبة من مصر كل عام ونقش اسم الخليفة على السكة والدعاء له على منابر المساجد، وقد تمكن أحمد بن طولون من التوسع حتى أصبحت دولته تمتد من سوريا شمالاً حتى ليبيا غرباً، وشجعه على ذلك انشغال الدولة العباسية بالقضاء على بعض الفتن الداخلية، ثم أنه أعد جيشاً قوياً ضخماً ليعينه على تنفيذ خططه التوسعية، كذلك فقد حرص ابن طولون على إرسال الأموال والهدايا إلى كبار الحكومة العباسية في بغداد فوقفوا إلى جانبه.

وقد قام احمد بن طولون بتأسيس مدينة القطائع في مكان القلعة الحالية، وبنى فيها قصراً ضخماً وجعل أمامه ميداناً رحباً لاستعراض الجيش

وأقام حول القصر ثكنات للجند والحاشية وخصص لكل عنصر من الجنود قطيعة من المدينة، فجعل للسودان قطيعة وللروم قطيعة، ولهذا عرفت بالقطائع، وأقام بجوار القصر مسجده والمعروف باسمه وقد تم العمل فيه عام ٢٦٥ هـ/ ٨٧٩م) .

كما أنشأ أحمد بن طولون بيمارستانا (مستشفى) لعلاج المرضى بالمجان وصرف الأدوية لهم، وكان يطوف على المرضى ويتفقد المستشفى ويشرف على الأطباء والأدوية بنفسه).

وكذلك قام أحمد بن طولون بتحصين مملكته وثغورها مثل الإسكندرية ودمياط وعكا ويافا، كما أنشأ حصناً ودار صناعة في جزيرة الروضة. وفي عهد احمد بن طولون حدث نزاع بينه وبين الأمير أبى العباس الموفق، مما دفع ابن طولون إلى القيام ببعض الأعمال ضد العباسيين، من ذلك ما يروى أنه أقام ضريحاً لمعاوية بن أبي سفيان في دمشق، كما عمل على تقوية علاقته بالأمويين في الأندلس وأخذ يرحب بمن كان يفد إلى مصر من علماء الأندلس ويعينهم في بعض الوظائف المهمة أما من كان يحضر منهم بغرض تلقى العلم فقد كان يرحب بهم ويسكنهم في مسجده ويجرى عليهم الأرزاق والجرايات.

وفي عام ٢٧٠هـ/٨٨٣م توفى أحمد بن طولون ، وهو في سن الخمسين من عمره فخلفه ولده خمارويه، وكان خمارويه يميل إلى حياة الدعة والسلام ويميل إلى الترف، والنهم، وفي أوائل عهده بعث الأمير الموفق العباسي بجيش إلى مصر بقصد استردادها وقد حقق هذا الجيش فعلا بعض الانتصارات غير أن خمارويه استطاع تحقيق النصر في نهاية الأمر، ثم عقد صلح بينهما سنة ٢٧٣هـ على أن تترك الدولة العباسية مصر والشام لخمارويه وأولاده من بعده لمدة ثلاثين سنة .

وفى عهد الخليفة المعتضد العباسى بن الموفق توطــدت العلاقــات الطيبة بين مصر والدولة العباسية، وتزوج الخليفة من أسماء ابنة خمارويــة التى تعرف بقطر الندى وقد احتفظت لنا كتـب التــاريخ بوصــف لجهــاز العروس وحفل الزواج يرقى إلى مرتبة الأساطير.

وفى عام ٢٨٢هــ/٨٩٥ م توفى خمارويه قتيلاً بيد بعض جواريــه وخلفه ابنه أبو العساكر جيش، وقد غضب عليه قادة الجـيش لقتلــه بعــض أعمامه فقاموا بخلعه وإقامة هارون أخاه الأصغر في مكانه.

وفى هذه الفترة ظهر على المسرح خطران يهددان الدولة الطولونية، الأول خطر الفاطميين في الغرب والثانى خطر القرامطة الإسـماعيلية فــي الشرق وقد نجح هؤلاء القرامطة في الاستيلاء على جنوب الـشام، ومنيــت أمامهم الجيوش الطولونية بهزائم فادحة.

وفى عهد الخليفة العباسى المكتفى بالله، أرسل إلى مصر فــي عــام ٢٩٢ هــ/٩٠٥م جيشا بقيادة محمد بن سليمان المعروف بالكاتــب، يدعمــه أسطول بحرى، ونجحت جيوش الخلافة في دخول القطائع وتدميرها ما عدا مسجد أحمد بن طولون، وبهذا عادت مصر مرة أخرى إلى حظيرة الدولــة العباسية.

ثم آلت إدارة مصر إلى الأخشيد مؤسس الدولة الأخشيدية المعروفــة بدءا من سنة ٣٢٣هــ/ ٩٣٥م حتى سقطت علــى أيدــى الفــاطميين ســنة ٣٥٨هــ/ ٩٦٩م.

تنسب هذه الدولة إلى محمد بن طغج بن جف الإخشيد، وهــو مــن أصل فرغانى من بلاد ما وراء النهر، وتروى المصادر ان جده جف كــان ضابطا في سامرا في عهد الخليفة العباسى المعتصم ، أما والده طغج فكــان

في بداية أمره ضابطاً في جيوش أحمد بن طولون، ثم قام خمارويه بن أحمد بن طولون بتعيينه واليا على دمشق.

أما محمد بن طغج فقد ساهم في قتال الفاطميين عندما قاموا بمحاولاتهم المتكررة لغزو مصر. وقد أعجب الخليفة العباسى الراضى بدوره هذا فوضعه على ولاية مصر سة ٣٢٣ هـ. ومنحه لقب الأخشيد، وهو لقب ملوك فرغانة مثلما نقول كسرى الفرس ونجاشى الحبشة وقيصر الروم وفرعون مصر، ويروى أن محمد هذا كانْ من نسل الملوك الفرغانيين.

وتوفى محمد الأخشيد في دمشق عام ٣٣٤هـ ودفن ببيت المقدس وكان قد أوصى بالحكم من بعده لأبنه أبى القاسم أنوجور، ولما كان هذا الابن طفلا صغيرا فقد تم وضع كافور الإخشيدى وصياً عليه.

وفى عام ٣٥٧هـ/ ٩٦٨ م توفى كافور الإخشيد فاجتمع كبار رجال الدولة واختاروا صبيا من أسرة الأخشيد لم يكن عمره يتجاوز الحادية عشرة هو أبو الفوارس أحمد حفيد الأخشيد.

ولما كان هذا الحاكم صغيراً فى السن فقد اضطربت الأحوال في البلاد وكثر شغب الجند، ولم يفض النيل مما أدى إلى تدهور الأحوال الاقتصادية.

ولم تكن الخلافة العباسية في حالة تسمح لها بإرسال الجيوش لاسترجاع مصر إلى حظيرتها. فقد كان وجود الحمدانيين في شمال الشام والقرامطة في جنوبه يحول دون وصول القوات العباسية إلى مصر، كما أن الخلافة في بغداد كانت في حالة من الضعف لا تسمح لها بإرسال القوات لذلك.

وهكذا أصبحت الأحوال في مصر مهيأة للغزو الفاطمى فكلف المعز لدين الله الفاطمى قائده جوهر الصقلى (الصقلبى) بالخروج لفتح مصر – وخرج جوهر فى ربيع الأول عام ٣٥٨ هـ/٨٦٩م على رأس جيش فاطمى من القيروان متجها إلى الشرق حتى وصل إلى مصر وتمكن من دخول الفسطاط وإسقاط الدولة الإخشيدية. وبذلك أصبحت مصر جزءا من الدولة الفاطميية الشيعية، وسرعان ما انتقل الفاطميون إليها واتخذوا من القاهرة عاصمة لدولتهم الجديدة.

وفى المشرق الإسلامى أسس طاهر بن الحسين الدولة الطاهرية بخراسان والطاهريون ينتمون إلى أصل فارسى، وكانت لهم مكانة ونفوذ قوى فى خراسان قبل عصر المأمون.

وكان طاهر واحد من كبار قواد المأمون، لعب هو وابنه عبد الله دوراً خطيراً في النزاع الذى دب بين الأمين والمأمون، فعاونا المأمون معاونة صادقة حتى تم له الانتصار على اخيه، واعترف المأمون لهما بهذا الجميل فقام بتعيين طاهر واليا على الجزيرة ورئيسا لشرطة بغداد ولم يرض طاهر بهذا التعيين فقد كان يطمع في تولية ولاية خراسان. وقد تمكن في النهاية من تحقيق مسعاه بمساعدة الوزير أحمد بن أبى خالد حيث اتخذ من نيسابور عاصمة لدولته.

ثم قام بعد توليه بقطع الخطبة للخليفة العباسى، معلنا استقلاله عن سلطانه في بغداد غير أنه مات فجأة في نفس العام(٢٠٧هـ)، وقيل أن المأمون كان وراء هذا الموت المفاجئ ولكننا نجد ان المأمون يقوم بتعيين طلحة بن طاهر مكان أبيه وتذكر المصادر أنه أقدم على ذلك مدفوعا بعاملين أولهما أنه ربما أراد أن يقضى على الشكوك التى حامت حول دوره في موت طاهر المفاجئ، وثانيهما أنه ربما اضطر إلى ذلك لأن بنى طاهر كانوا

يتمتعون بنفوذ قوى في خراسان، فلم يتمكن المأمون من وضع وال آخر من غير الأسرة الطاهرية .

وقد أصبح الحكم وراثياً في تلك الدولة إذ بعد وفاة طلحة خلفه أخـوه عبد الله بموافقة المأمون كذلك، وقد بلغت الأسرة الطاهرية في عهد عبد الله هذا أوج قوتها ونفوذها حتى أن الخليفة المعتصم لم يكن راضياً عن عبد الله ، ولكنه لم يجرؤ على عزله، وإنما لجأ إلى المؤمرات السرية للقضاء عليـه وقد كشف عبد الله سر هذه المؤمرات فلم يعلن العصيان ولم يقم بالانفـصال التام عن الدولة العباسية. وذلك لأنه شعر أنه مادام مقيماً بين اهله وذويه فهو في مأمن من مؤمرات العباسيين.

وقد حاول الخليفة العباسى الواثق أن يعين والياً على خراسان بعـد وفاة عبد الله من غير الأسرة الطاهرية، ولكنه لم يتمكن من ذلك واضطر إلى الموافقة على تولية طاهر بن عبد الله ثم محمد بن طاهر، الذى كان آخر من تولى الحكم من هذا البيت، إذا خلفه على حكم خراسان يعقوب بـن الليـث الصفار(فى سنة ٢٥٩ هـ) مؤسس الدولة الصفارية.

وكان الطاهريون حكاما مصلحين، واهتموا بـأحوال الـشعب فـي خراسان وعملوا على إصلاح الزراعة ونشر التعليم، ورفع الظلم عن كاهل الطبقات الدنيا، حتى إنه يؤثر عن عبدالله بن طاهر أنـه أوصـى عمالـه، بمراعاة الفلاحين ومصالحهم وقال لهم أن الله يطعمنـا بأيـديهم ويرحمنـا بدعائهم .

ولم يكن استقلال الدولة الطاهرية عن بغداد استقلالا تاماً، ولكنه كان استقلالاً ذاتياً، فظلوا يدينون بالولاء للخليفـة العباسـى ويخطبـون باسـمه ويرسلون إليه الأموال السنوية، وقدموا للعباسيين مساعدات عظيمة لإخمـاد

بعض الثورات، فعلى سبيل المثال، نجد انه في عهد الخليفة المعتصم ثار في خراسان محمد بن القاسم العلوى، فقام عبد الله ابن طاهر بقتاله وأسره وبعث به إلى المعتصم كذلك فقد ثار في عهد المعتصم أيضا المازيار بن قارن في طبرستان، فقام عبدالله بن طاهر كذلك بتقديم المعونة لجند الخليفة لإخماد ثورته، وقد قدر العباسيون للطاهرين ذلك، فعاونوهم في نزاعهم ضد الصفاريين ، كما أبقوا شرطة بغداد في أيديهم إلى سنة ٣٠١هـ/ ٩١٣م.

وانتشر مذهب الخوارج في ولاية سجستان وكانت تحت حكم الدولة الطاهرية واشتد بأسهم، إلى الدرجة التى عجز معها الطاهريون عن إخضاعهم، فتكونت فرق من المتطوعة على رأسهم صالح بن النضر الكنانى السجستانى لقتال هؤلاء الخوارج وكان من بين قادته ويعقوب بن الليث الصفار الذى قام بتأسيس الأسرة الصفارية بعد أن تمكن من القضاء على الدولة الطاهرية الاستيلاء على عاصمتها نيسابور، ثم ضم إلى أملاكه خراسان وكرمان وفارس.

وفى سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م اعلن الخليفة العباسى المعتمد أن يعقوب مغتصب وخراج عن طاعة الخلافة، فأعلن يعقوب الثورة وتحدى الخليفة وتقدم بجيوشه نحو الأهواز، وأدت تلك الأحداث إلى اضطراب الخليفة فاعلن موافقته على تولية يعقوب على خراسان وطبرستان وجرجان والرى وفارس وشرطة بغداد، ولم يقتنع يعقوب بهذا بل استمر في ثورته على الخليفة وأعلن أنه سوف يتقدم نحو العراق.

إزاء هذا لم يجد الخليفة بدأ من الخروج بنفسه لقتاله وصحب معه أخاه محمد الموفق كقائد للجيش. وعندما التقى الطرفان ورأى جنود المعتمد، تركوا صاحبهم وانضموا إليه، فدارت الهزيمة على يعقوب في سنة ٢٦٢هـ

وارتد إلى نيسابور وتوفى يعقوب بعد ذلك في عام ٢٦٥هـ/٨٧٨م تاركا الأمر لأخيه عمر بن الليث، وظل الأخير أميراً بالمشرق يحكم باسم الصفاريين حتى هزم وقتل على أيدى السامانيين سنة ٢٨٧هـ/٩٠٠م .

والسامانيون أسرة فارسية نبيلة من مدينة بلخ. كانوا يدينون أصلا بالزرادشتيه ثم أسلم جدهم سلمان على يد الوالى الأموى أسد ابن عبد الله القسرى، وسمى ابنه أسدا تيمنا باسم الوالى.

وكان لأسد أربعة أبناء عينهم والى خراسان تلبية لأمر الخليفة المأمون على بعض الولايات، وبذلك بدأ سلطانهم في بلاد ما وراء النهر. ولما اضطربت الأمور في مدينة بخارى استنجد أهلها بالأمير نصر السامانى، فأجاب دعوتهم وأرسل إليهم أخاه إسماعيل وعينه واليا عليها، ثم أصدر الخليفة المعتمد تقليده بتولية نصر بن أحمد السامانى على جميع ما وراء النهر سنة ٢٦١هـ/ ٨٧٤م. فكان هذا بداية الدولة السامانية التى اتخذت من مدينة بخارى عاصمة لها.

وقد أوصى الأمير نصر قبل وفاته أن يخلف إسماعيل على هذه الولاية ووافق الخليفة على ذلك، وقد اتسع ملك السامانيين في عهد إسماعيل، فضم إليه إقليم أشروسنة، وبعد انتصاره على عمرو بن الليث ضم إليه خراسان، ثم استولى بعد ذلك على طبرستان وعلى الرغم من أنه لم يلى بعد نصر وإسماعيل شخصية قوية، فقد ظلت الولاية وراثية في البيت السامانى نحو مائة سنة أخرى ثم بدأ الضعف يهاجم تلك الأسرة لعدة أسباب منها ضعف أمراء الأسرة أنفسهم واستبداد القواد والجنود الأتراك وكثرة ثورات الأتراك، كما بدأت تظهر قوى جديدة على حدود الولاية واخذت تهاجمها وتستولى على املاكها.

وقد عاشت الدولة السامانية ما يقرب من مائة وسبعين عاما، ثم قضى عليها على يد الغزنويين من جهة خراسان، والترك القرخانية من جهة ما وراء النهر وذلك في سنة ٣٨٩هـ/ ٩٩٩م.

ويرجع تأسيس الدولة العزنوية إلى أحد مماليك السامانيين الذين تمكنوا من الوصول إلى مرتبة الإمارة، وهو الأمير ألب تكين" وقد ولاه السامانيون على خراسان ثم على ولاية غزنة، وقد استطاع ألب تكين" أن يقيم بمساعدة مماليكه من الاتراك دولة مستقلة عن السامانيين هى الدولة الغزنوية . وبعد وفاته سنة ٣٦٧ /٩٧٧م خلفه مملوكه ناصر الدين سبكتكين الذى أظهر الولاء للسامانيين مما جعلهم يتسعينون به فى أخماد بعض الثورات.

وعندما آل الأمر إلى محمود بن سبكتكين قام بإلغاء اسم الأمير السامانى من الخطبة وخطب للخليفة العباسى القادر بالله فانعم عليه بلقب يمين الدولة وأمين الملة،. وقد استطاع هذ السلطان أن يقوم بغزو الهند اثنتى عشرة مرة وأن يبسط نفوذه إلى ما وراء كشمير والبنجاب والتى جعل منها ولاية إسلامية عاصمتها لاهور. وظلت الدولة الغزنوية قائمة حتى تمكن السلاجقة والغوريون من إسقاطها سنة ٣٨٢هـ/ ٩٨٦م.

ولمام هذا النفوذ الطاغى من قبل الأتراك والسيطرة على بلاد المشرق الإسلامى، حاول الفرس القيام برد فعل مناهض ، ونجحوا في ذلك حيث تمكن أحد زعمائهم ويدعى بويه من تأسيس الدولة البويهية التى حكمت ما يربو على قرن من الزمان ابتداء من سنة ٣٣٤ هـ/٩٤٥م وانتهاء في سنة ٤٤٧هـ/ سنة ١٠٥٥م.

وقد بدأ نجم الأسرة البويهية في الظهور عندما التحق بويه وأبناؤه علي وحسن وأحمد، في خدمة مرادويج بن زياد الديلمي الذى كان قد استقل بمنطقى طبرستان والديلم. فقام بوضع الابن الأكبر على بن بويه على إقليم الكرج بين همذان وأصفهان. ولم يكتف على بذلك إذ أنه سرعان ما احتل همذان واصفهانن ومناطق أخرى بمساعدة أخويه .

وفى عام ٣٢٤هـ/ ٩٣٥ قتل مرادويج على يد بعض جنوده ، فانتهز بنو بويه هذه الفرصة، وقام على باحتلال مدينة شيراز، بينما اتجه أخوه الحسن إلى بلاد الجبال فاحتلها، أما أحمد بن بويه فقد أقام باحتلال بلاد كرمان والأهواز وأصبح بذلك بطل على العراق،.

وفى ذلك الوقت كانت الأوضاع السياسية والاقتصادية في العراق .تسير من سئ إلى أسوأ وذلك بسبب النزاع والتنافس بين الأتراك على منصب امرة الأمراء وفشلهم في نشر الأمن في ربوع البلاد وعجزهم عن دفع أرزاق الجند ورواتبهم. وتطلع أهل العراق إلى أحمد بن بويه ودعوه للمجئ ليخلصهم من ظلم الأتراك واستبدادهم.

ووجد احمد بن بويه أن الفرصة سانحة فتقدم بقواته نحو العراق ودخل بغداد عام٣٣٤هـ/٩٤٥م حيث رحب به الخليفة العباسي المستكفي واستقبله استقبالا حسنا وقلده منصب أمير الأمراء، ومنحه لقب معز الدولة، كما منح أخاه عليا لقب عماد الدولة، وأخاه الحسن لقب ركن الدولة.

ولكن سرعان ما ساءت علاقة الخليفة بالبويهيين وذلك بسبب إنعدام الثقة بين الطرفين. وأتهم أحمد بن بويه الخليفة المستكفي بأنه يعمل سرا علي القضاء علي نفوذ البويهيون وإعادة سلطان الأتراك فقام بخلع الخليفة وبايع ابن عمه المطيع بالخلافة في عام٣٣٤هـ/٩٤٦م، وهكذا نري أن البويهيين

حلوا محل الأتراك فاستأثروا بالحكم والنفوذ واتخذوا لقب شاهنشاه أو ملـــك بدلا من لقب أمير الأمراء، وأصبح خلفاء الدولة العباسية في هـــذا العـــصر خلفاء بلا نفوذ. وإن كان البويهيون قد حرصوا علي أن يظهـــروا للخليفـــة الطاعة والولاء نظرا لما كان يتمتع به من مكانة بـــين جمـــاهير المـــسلمين باعتباره"الرئيس الأعلي لجماعة المسلمين".

كان بنو بوية شيعة علي مذهب الزيدية. وتذكر بعض المـــصادر أن معز الدولة البويهي لما احتل بغداد اروادته فكـــرة القـــضاء علـــي الخلافـــة العباسية وإحلال خلافة علوية محلها.وبالفعل أعد لهذا الغرض أحد العلويين ووهو أبو الحسن محمد يحيي الزيدي، ثم عرض عليه الأمـــر، إلا أن هـــذا الشريف العلوي اعتذر عن قبول هذا العرض، وتضيف المصادر إنه نـــصح معز الدولة بأن يترك العمل علي نقل الخلافة إلي العلـــويين وذكـــر لـــه أن جماهير المسلمين قد اعتادوا الدعوة العباسية وأقبلوا علـــي طاعـــة الخليفـــة العباسي كطاعتهم الله ورسوله. ويقال أن أبا جعفر الصميري وزيـــر معـــز الدولة قد عارض هو الآخر هذا الأمر ونصح معز الدولة بقوله: "إذا بايعتـــه استنفر عليك أهل خراسان وعوام البلدان، وأطاعه الديلم ورفضوك وقبلـــوا أمره فيك، وبنو العباس قوم منصورون، تعتل دولتهم مرة، وتصبح مـــرارا، وتمرض تاره، وتستقل أطوارا، لأن أصلها ثابت وبيانها راسخ. فعدل معـــز الدولة عن تنفيذ هذه الفكرة.

ويذكر بعض المؤرخين أن معز الدولة البويهي راودته فكرة مبايعـــة المعز لدين الله الفاطمي خليفة مصر، فقال له أحد رجاله: "ليس هذا بـــرأي، فإنك اليوم مع خليفة (أي خليفة العباسي) تعتقد أنت واصحابك إنه ليس مـــن أهل الخلافة، ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه، ومتي أجلـــست بعـــض

العلويين خليفة، كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته، فلو أمرهم بقتلك لفعلوه، ولو أمرت بقتله لم تطع بذلك".

وقد حرص البويهيون علي توثيق علاقتهم بالخلافة الفاطمية الشيعية في مصر، وعملوا علي إقامة الاحتفالات، وكانت تفتح الأسواق في الليل، وتضرب البوقات، وتشعل النيران عند أبواب الأمراء وكبار رجال الفرس. وتولي الخلافة علي أيامهم خلفاء أربعة هم: المستكفي(عزل علي ايديهم عام٣٣٤هـ) ثم المطيع (٣٣٤هـ-٣٦٣هـ) والطائع(٣٦٣-٣٨١هـ) ثم القادر(٣٨١-٤٢٢هـ).

وقد برز في العصر البويهي بعض الشخصيات اللامعة نذكر منهم عضد الدولة بن الحسن بن بويه(٣٣٨-٣٧٢/٩٤٩-٩٨٢م) الذي وطد علاقته بالخليفة العباسي الطائع فتزوج ابنته، كما تزوج الخليفة من ابنة عضد الدولة كذلك، وتمكن عضد الدولة من تحقيق الأمن والاستقرار بفضل عهدة الطويل(حكم٣٥عاما) وبفضل مشروعاته العمرانية العظيمة مثل السد العظيم الذي أقامه عند مدينة شيراز بفارس ومثل سكر(سد) السهيلة عند بلدة النهروان في العراق.

كذلك شيد عضد الدولة مشهدا علي قبر الأمام علي بن أبي طالب بمدينة النجف، والمارستان العضدي في بغداد لعلاج المرضي، الذي يصفه ابن خلكان بقوله: "ليس في الدنيا مثل ترتيبه، وقد أعد له من الآلات ما يقصر الشرح عن وصفه".

ولما كانت مدينة بغداد قد أصابها الخراب نتيجة لنقل العاصمة إلي سامرا وتوالي الفتن والثورات، فقد اهتم عضد الدولة بتعميرها، وإعادة بناء ما تهدم من مسجدها وأسواقها، وأدار الأموال علي الأئمة والمؤذنون والعلماء

والقراء والغرباء والضعفاء الذين يأوون إلي المساجد. والزم أصحابالأملاك الخراب بعمارتها، وأقام الميادين والمنتزهات فامتلأت هذه الخرابات بالزهر والخضرة والعمارة بعد أن كانت مأوي الكلاب ومطارح الجيف والأقذار وجلبت إليها الغروس من فارس وسائر البلاد".

وازدهرت العلوم والفنون والآداب علي عهد عضد الدولة، فتذكر المصادر أنه"أجريالجرايات علي الفقهاء، والمحدثين، والمتكلمين والمفسرين، والنحاة، والشعراء، والنسابين، والأطباء، والحساب، والمهندسين. وبالغ في إكرام العلماء والإنعام عليهم، وصار يقربهم من حضرته، ويدنيهم من خدمته ويعارضهم في أجناس المسائل، ويفاوضهم في أنواع الفضائل، فاجتمع عنده من كل طبقة أعلاها، وجئ له من كل ثمرة أحلاها، وصنفت في أيامه المصنفات الرائعة في أجناس العلوم المتفرقة: فمنها كتاب الحجة في القراءات السبع لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي النحوي، والكناش العضدي في الطب لعلي بن العباس المجوسي، وكتاب الناجي في اخبار بني بويه لأبي إسحاق إبراهيم الصابي وغيرهم...

وفي نهاية الدولة البويهية اعتراها الضعف بسبب الانقسامات والحروب بين أفراد الأسرة نفسها وكذلك بين السنة والشيعة. ونتيجة لضعف الدولة البويهية استرد الخليفة العباسي سلطاته، وأصبح قادرا علي مناوأة الأسرة البويهية والوقوف ضد المذهب الشيعي. من ذلك ما ورد في المصادر من أن الخليفة القادر بالله(٣٨١-٤٢٢هـ) أمر في عام ٣٨٢هـ بوقف النواح والبكاء في بغداد. مما دفع الشيعة إلي القيام بثورة مسلحة في بغداد عام ٣٨٩هـ مطالبين بالدعاء للخليفة الفاطمي في مصر (الحاكم بأمر الله) كذلك خرج قراوش بن المقلد صاحب الموصل عام٤٠١هـ عن طاعة الخليفة القادر وعمل علي نشر الدعوة الفاطمية ودعا للخليفة الفاطمي الحاكم.

ولا شك أن كل هذه الفتن، التي تمكنت الدولة العباسية من القــضاء عليها، كانت بتحريض ومساعدة وتعضيد الدولة الفاطمية في مصر. ونــتج عن هذه الفتن والاضطرابات ضعف الدولة البويهيه/ ممــا هيــأ الظــروف للقضاء عليها علي يد طغرل بك زعيم الأتراك السلاجقة الذي دخل بغداد عام ٤٤٧هــ/١٠٤٥م وقضي علي دولة الملك الرحيم آخر ملوك بني بويه.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر الأصلية :

ابن الأثير الجزرى : أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيبانى الملقب بعز الدين (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) .

* الكامل فى التاريخ، مراجعة وتصحيح / محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٧٨ م .

الأزدى : أبو زكريا يزيد بن إياس بن القاسم (ت ٣٣٤ هـ/ ٩٤٥) .

* تاريخ الموصل ، تحقيق /على حبيبة ، طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة سنة ١٩٧٦م .

الأصفهانى : أبو الفرج على بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ /٩٧٦ م).

* مقاتل الطالبين ، القاهرة سنة ١٩٤٩ م .

ابن أعثم الكوفى : أحمد بن على الكوفى (ت ٣١٤هـ /٩٢٦م).

* الفتوح تحقيق / نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦م.

البغدادى: أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد (٤٢٩هـ/١٠٣٧م).

* الفرَق بين الفِرَق، تحقيق عثمان الخشت، القاهرة سنة١٩٨٨م.

البلاذرى : أبو الحسن أحمد بن بن يحيى بن جابر البغدادى (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)

* أنساب الأشراف ، طبعة فلسطين ١٩٣٨م .

* فتوح البلدان ، طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦م .

البلخى : أبو زيد أحمد بن سهل المقدسى (ت بعد سنة ٣٥٥هـ/٩٦٥م)
* البدء والتاريخ ،دار صادر بيروت، د/ت .

البيرونى: أبو الريان محمد بن أحمد (ت : ٤٤٠هـ/١٠٤٨م)
* الآثار الباقية عن القرون الخالية ، تحقيق / ادوارد سخاو، ليبزج سنة ١٩٢٣م .

الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ /٨٦٨م).
* البيان والتبيين ،تحقيق / حسين السندوبى، القاهرة سنة ١٩٣٢م .
* التاج فى أخلاق الملوك ، بيروت ، د/ت .

الجهشيارى : أبو عبدالله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١ هـ /٩٤٢).
* الوزراء والكتاب ، تحقيق /مصطفى السقا، إبراهيم الأبيارى، عبدالحفيظ شلبى، القاهرة سنة ١٩٨٠م .

الحازمى : أبوبكر محمد بن أبى عثمان الهمدانى (ت ٥٨٤ هـ /١١٨٨).
* عجالة المبتدى وفضالة المنتهى فى النسب ، تحقيق / عبدالله كنون، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة الطبعة الثانية سنة ١٩٧٣ م .

ابن حبيب : أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمر والهاشمى البغدادى (ت ٢٤٥ هـ /٨٥٩م).
* اسماء المغتالين من الأشراف فى الجاهلية والإسلام ، سلسلة نوادر المخطوطات، تحقيق/عبد السلام هارون، القاهرة سنة ١٩٦٢م .

* موجز تاريخ الإسلام، تقديم وتعليق/ بديع السيد اللحـــام ، دار المعرفة دمشق، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٨م .

ابن خرداذبة : أبو القاسم عبيدالله بن أحمد (ت ٣٠٠هـ /٩١٢م).

* المسالك والممالك، تحقيق / دى جويه ، نشر مكتبـــة الثقافــة الدينية ، القاهرة، د/ت .

الخطيب البغدادى :

* تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، القاهرة سنة ١٩٣١م .

ابن خلدون : ولى الدين أبو زيد عبد الـــرحمن بـــن محمـــد (ت ٨٠٨هـ /١٤٠٦م)

* العبر ديوان المبتدأ والخبر ، دار الكتب العلميـــة، بيـــروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٢م.

* المقدمة ، المطبعة البهية المطرية ، القاهرة د/ت .

ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م).

* وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق / إحسان عبـــاس، بيروت سنة ١٩٧٣م .

ابن خياط : أبو عمرو خليفة بن خياط العصفرى (٢٤٠هـ/٨٥٢م) .

* تاريخ ابن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمرى، بغداد ، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٧م. الرياض، الطبعة الثانية ١٩٨٥م .

ابن دقماق : إبراهيم بن محمد المصرى (ت ٨٠٩ هـ /١٤٠٦م) .

* الانتصار لواسطة عقد الأمصار فى تاريخ مصر وجغرافيتها، بولاق ١٨٩٣ م .

دياب الاتليدى : كان حياً ١١٠٠ هـ /١٦٨٩م .
* إعلام الاس بما وقع البرامكة مع بنـــى العبـــاس، المطبعـــة اليوسفية، القاهرة د-ت .

ساويرس بن المقفع :
* سيرة الآباء البطارقة ، باريس ، ١٩٠٧ م .

السمعانى : أبو سعيد عبدالكريم بن محمد بن منـــصور التميمـــى (ت ٥٦٢ هـ /١١٦٦م)
* الأنساب ، تحقيق / عبد الله عمـــر البـــارودى ، دار الكتـــب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٨م .

السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م)
* تاريخ الخلفاء ، تحقيق / محمد محيى الدين عبد الحميـــد، دار الجيل ، بيروت سنة ١٩٨٨م.

شهاب الدين الحموى : إبراهيم بن أبى الدم (ت ٦٤٢هـ/١٢٤٤م) .
* التاريخ الإسلامى المعروف بالتاريخ المظفرى ، تحقيق/ حامد زيان غانم ،دار الثقافة، القاهرة ١٩٨٩م .

ابن طباطبا : محمد بن على المعـــروف بـــابن الطقطقـــا (ت ٧٠٩ هـــ / ١٣٠٩م).
* الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار صادر، بيروت ، د/ ت .

الطبرى : أبو جعفر محمد جرير (ت ٣١٠ هـ /٩٢٢)

* تاريخ الرسل والملوك، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة الطبعة الثالثة والرابعة سنة ١٩٦٥م، ١٩٦٦م .

ابن عذارى : أبو القاسم أحمد بن عذارى المراكشى (ت بعد ٧٠٠ هـ /١٣٠٠م).

* البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، بيروت سن ١٩٥٠م .وطبعة أخرى تحقيق /ليفى بروفنسال وآخر ، دار الثقافة، بيروت ، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٠م .

ابن عمرانى : محمد بن على بن محمد (من علماء القرن السابع الهجرى)

* الأنباء فى تاريخ الخلفاء ، تحقيق / نقى بينش ، مشهد بايران سنة ١٩٤٣م.

العوتبى : سلمة بن مسلم الصحارى (من علماء القرن الرابع الهجرى)

* الأنساب ، تحقيق / محمد بن على الصليبى ، عمان، الطبعة الثانية سنة ١٩٩٠م .

ابن الفقيه : أبوبكر أحمد بن محمد الهمذانى (ت ٢٩٠ هـ /٩٠٢م).

* مختصر كتاب البلدان ، ليدن سنة ١٨٨٥ م .

ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينورى (ت ٢٧٦هـ /٨٨٩م).

* الإمامة والسياسة، تحقيق / طه الزينى، القاهرة ١٩٦٧م.

* عيون الأخبار ، القاهرة ١٩٧٢م .

* المعارف ، تحقيق / ثروت عكاشة ، القاهرة ١٩٦٩ م .

القزوينى: أبو عبد الله زكريا بن محمد (ت ٦٢٨هـ /١٢٣٠هـ) .

* آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر بيروت د/ت .

الكلبى : أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م) .

* جمهرة النسب ، تحقيق / ناجى حسن ، عالم الكتب ، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٦م .

الكندى : أبوعمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـ /٩٦١م).

* تاريخ ولاة مصر وقضاتها، مؤسسة الثقافة الدينية، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٧م.

الماوردى : أبو الحسن على محمد بن حبيب (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨م).

* الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت د/ت ، طبعة أخرى بالقاهرة سنة ١٩٧٨ م .

أبو المحاسن : جمال الدين بن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى (ت ٨٧٤هـ /١٤٦٩م).

* النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، نسخة مصورة عن دار الكتب بالقاهرة سنة١٩٦٣م .

المسعودى : أبو الحسن على بن الحسن (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) .

* التنبيه والإشراف ، دار صادر بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٧م .

* مروج الذهب ومعان الجوهر ، دار الرجاء القاهرة ، د/ت .

المقرى : أحمد بن محمد المقرى التلمسانى (ت ١٠٤١ هـ /١٦٣٢م) .

* نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق / إحسان عباس، دار صادر بيروت ١٩٨٨م.

المقريزى : تقى الدين أحمد بن على بن محمد (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م).

* المقفى الكبير ، تحقيق / محمد العلاوى ، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٩١م).
* المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، "الخطط المقريزية"، مكتبة الآداب ، القاهرة ، د/ت .
* النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم، تحقيق / حسين مؤنس ، دار المعارف،القاهرة سنة ١٩٨٤ م .

ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ـ ٧١١ هـ /١٣١١م).

* لسان العرب ، دار صادر بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م .

ابن النديم : محمدبن إسحاق (ت ٣٨٥ /٩٩٥م) .

* الفهرست ، دار المعرفة ، بيروت سنة ١٩٧٨م .

النوبختى والقمى : أبو محمد الحسن بن موسى، وسعد بن عبدالله (من علماء القرن الثالث الهجرى).

* فرق الشيعة ، تحقيق / عبد المنعم الحفنى، دار الرشاد ، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

النويرى : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢ هـ /١٣٣٢م) .

* نهاية الأرب فى فنون الأدب ، القاهرة سنة ١٩٣٤ م ، ١٩٧٨م).

ياقوت الحموى: شهاب الدين أبو عبدالله الحموى (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) .

* معجم البلدان ، دار صادر بيروت ، د/ت .

اليعقوبى : أحمد بن أبى يعقوب بن واضح (ت ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م) .

* تاريخ اليعقوبى ، دار صادر بيروت ١٩٩٢ م .

ثانيا : المراجع الحديثة العربية والمترجمة :

أحمد إبراهيم الشريف :

* دور الحجاز فى الحياة السياسية العامة فى القرنين الأول والثانى للهجرة، دار الفكر العربى القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٧٧ م .

أحمد أمين :

* ضحى الإسلام ، القاهرة سنة ١٩٧٧ م .

أحمد مختار العبادى :

* حركة الزط فى العصر العباسى الأول، الدوحة سنة ١٩٧٧م.

حسن إبراهيم حسن :

* تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى فى العصر العباسى الأول ، القاهرة سنة ١٩٤٥ م .

حسن أحمد محمد . وأحمد إبراهيم الشريف .

* العالم الإسلامى فى العصر العباسى، القاهرة، الطبعة الخامسة د/ت .

حسين عطوان :

* الدعوة العباسية مبادئ وأساليب ، الدعوة العباسية تاريخ تطور، بيروت سنة ١٩٨٤م .

دوزى :

* تاريخ مسلمى أسبانيا ، ترجمة / حسن حبشى ، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٣م .

رشيد عبد الله الجميلى :

* درسات فى تاريخ الخلافة العباسية، مكتبة المعارف، الرباط، ١٩٨٤م .

سميرة مختار الليثى :

* جهاد الشيعة ، نشر البطحاء سنة ١٤٠٤ هـ .

* الزندقة والشعوبية ، مكتبة الانجلو المصرية سنة ١٩٦٨ م .

السيد عبد العزيز سالم :

* دراسات فى تاريخ العرب (العصر العباسى الأول) مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية سنة ١٣٩٨ هـ .

سيدة إسماعيل كاشف : مصر فى فجر الإسلام ، القاهرة سنة ١٩٤٧م .

عبد الرحمن الرافعى ، سعيد عاشور :

* مصر فى العصور الوسطى، القاهرة سنة ١٩٥٢م .

عبد العزيز الدورى :

* الجذور التاريخية للشعوبية ، بيروت ، سنة ١٩٦٢م .

عبد الله بن على المسند :

* العلويون والعباسيون ودعوة آل البيت ، دار المنار ، القاهرة، ١٩٩١م.

عبد المنعم ماجد : العصر العباسى الأول ، القاهرة ١٩٨٤ م .

فان فلوتن :

* السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات فى عهد بنى أمية، ترجمة/ حسن إبراهيم حسن وآخر ، القاهرة سنة ١٩٦٥م.

مجيد خورى :

* الصلات البلوماطيقية بين هارون الرشيد وشار لمان ، بغداد سنة ١٩٣٩ م .

محمد جمال الدين سرور :

* الحياة السياسية فى الدولة العربية والإسلامية خلال القرنين الأول والثانى بعد الهجرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة، د/ت .

محمد الخضرى : الدولة العباسية ، بيروت د/ت .

محمد ماهر حمادة :

* الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر العباسى الأول، بيروت سنة ١٩٨٥ م .
* الوثائق السياسية والإدارية العائدة للجزيرة العربية ، بيروت ١٩٨٧ م .

محمد شاكر : الدول العباسية، بيروت سنة ١٩٨٧ م .

نخبة من المؤرخين العراقيين :

* العراق فى التاريخ ، بغداد سنة ١٩٨٣ م .

يوسف العش : الدولة الأموية، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية ١٩٨٥م.

فهارس الكتاب

أولاً : الأعلام .

ثانياً : القبائل والجماعات .

ثالثاً الأماكن والمواضع والبلدان .

أولاً : الأعلام

(أ)

(ب)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

ثانياً : القبائل والجماعات

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(هـ)

(ي)

ثالثاً : الأماكن والمواضع والبلدان

(أ)

(ب)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

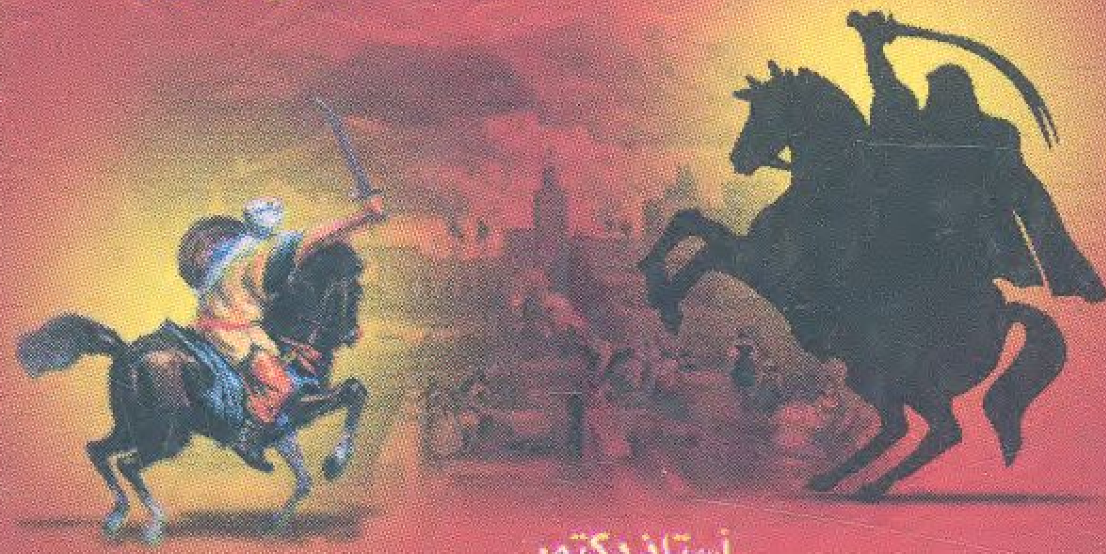
(ن)

(هـ)

فهرس الموضوعات

العرب والفرس

قراءة جديدة لدور القوميتين فى سقوط
الدولة الأموية وأحداث العصر العباسي الأول



أستاذ دكتور
عبد المنعم عبد الحميد سلطان
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية
كلية الآداب - جامعة سوهاج
وجامعة السلطان قابوس سابقا



العرب والفرس   أ.د / عبد المنعم عبد الحميد سلطان   المكتب الجامعى الحديث



المكتب الجامعى الحديث

مساكن سوتير - أمام سيراميكا كليوباترا
عمارة (5) مدخل (2) - الأزاريطة - الإسكندرية
تليفون : 4818707 / 03 - تليفاكس : 4865277 / 03 / 002
E-mail: modernoffice25@yahoo.com